

الجلد الثالث من تفسير كشاف

عدد ٢١

كشاف جلد ثالث

الجلد الثالث من الكشاف ٥
٤ الانفال والبراءة ويونس
وهود ويوسف والرعد
وابراهيم

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى
أكرمه الله تعالى بالرضا والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطايه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل
والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زايدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام
تحريضا على البلا في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم
فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفا بما وعد
منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين
في غنايم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه كيف تقسم
ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول
الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشا ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل
شرط لمن كان له بلا في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال
الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردا
لكم وفية تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه المغنم
قليل والناس كثير وان تعط هولا ما شرطت لهم حرمت اصحابك
فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن
العاص واخذت سيفه فاعجبني فجيت به الى رسول الله فقلت ان الله
قد شفا صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك
اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي
فما جاوزت الا قليلا حتى جاني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال
فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب

فخذه

فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وسات فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلعم
فقسمه بين المسلمين سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح
ذات البين وقرا ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقا حركتها
على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا ابن مسعود يسلونك الانفال اى
يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع
بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه
ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته
ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راى احد والمراد
ان الذى اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسى المقاتلة المشروط
لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا
يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين
من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين
متاخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتاسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله
وتفضل به عليكم وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا
غنايمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض
فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم
يعنى ما بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله
بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها
ذات البين كقولهم اسقني ذا انايك يريدون ما في الانا من الشراب
وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم

الايمان

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله تعالى
ان كنتم مومنين ان كنتم كاملى الايمان واللام فى قوله انما المومنون اشارة اليهم
اى انما كاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك
هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل فى القلب
كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعا يذهبه
يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه
بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد
ان يظلم او يهم لمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرى وجلت بالفتح وهو
لغة نحو وثق وفى قراة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا
وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد
حمل على زيادة العمل وعن ابى هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة
من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرايض وشرايع فمن
استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون
ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين
اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة
والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اى اولئك هم المومنون ايمانا حقا
او هو مصدر موكد للجملة التى هى اولئك هم المومنون كقولك هو عبد الله حقا اى
حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امومن انت قال الايمان ايمانان
فان كنت تسالنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة

والنار

الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها

والنار والبعث والحساب فانا مومن وان كنت تسالنى عن قوله انما المومنون
فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه مومن بالله حقا ثم
لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعنى كما لا
يقطع بانه من اهل ثواب المومنين حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وبهذا تعلق
من يستثنى فى الايمان وكان ابو حنيفة رحمة الله عليه ممن لا يستثنى فيه وحكى
عنه انه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابرهيم فى قوله والذى
اطمع ان يغفر لى فقال هلا اقتديت به فى قوله اولم تومن قال بلى لهم
درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق
كريم نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا
معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة
ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى ان
ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول
اى الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج
ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة
نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه
بالحق اى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه وان فريقا
من المومنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفين وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلعم
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ

اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل
صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات
اخت العباس بن عبد المطلب رويا فقالت لاخيها انى رايت عجبا رايت كان
ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة
الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم
ان يتنبوا حتى يتنبا نساوهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فى المثل
السابر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب
الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان
محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ما كانت
العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل فقال يا محمد
ان الله وعدكم احدى الطايفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلعم
اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو
فتغير وجه رسول الله ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على
ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فقام عند غضب النبى صلعم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله
امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت
بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون

ولكن

العدو

ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك
فضحك رسول الله ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم
قالوا حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت
الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلعم يتخوف ان لا
تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ
فقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى
بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك ما تقر به
عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله وبسطه قول سعد ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى احدى الطايفتين والله لكانى
الان انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر
عليك بالعير ليس دونها شى فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له
النبى صلعم لم قال لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد اعطاك ما وعدك
وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المومنين والحق الذى
جادلوا فيه رسول الله تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير بعدما تبين
بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال
ثم شبه حالهم فى فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة
بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد

لكراهتهم صح

لا سابه ناظر اليها لا تشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا
رجالة وروى انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم
بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة
العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها
قولهم شائك السلاح اي يتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة
لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه
بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم
للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الاخر
فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن
الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا
تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع
يصيبكم
الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين
ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم
بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرى
بكلمته على التوحيد فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت
بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات
الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا
قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين
وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم
عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد

الاغراض

الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص
وينطوي عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون
قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم
انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد
يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض
فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر والقاه على منكبه والتزمه من ورائه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني
ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله
وعن ابي عمرو انه قرا اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة
يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على
الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب
في صفة الرجال عليهم ثياب وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت
وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال
لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال
من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروى ان رجلا من المسلمين
بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه
فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري
رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني

تبعث رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى
وقيل لم يقاتلوا وانما يكثرون السواد ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف
فى اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم
لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرى مردفين بكسر
الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم
بعض الذى تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته
كقولك اتبعته اذا جيت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين
او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم لبعض
او بمعنى متبعين اياهم المومنين اى يتقدمون فيتبعونهم انفسهم او متبعين
لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على
اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملايكة اخرين او متبعين
غيرهم من الملايكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى سورة آل عمران
بثلثة آلاف من الملئكة منزلين بخمسة آلاف من الملايكة مسومين ومن قرا
مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرى مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصله مرتدفين اى مترادفين او متبعين من ارتدفه
فادغمت تاء الافتعال فى الدال فالتقا ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل
او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدى بآلاف من الملئكة
على الجمع ليوافق ما فى سورة آل عمران فان قلت ـــــ فبم يعتذر لمن قرا
على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملايكة ملايكة اخرين والمردفين
بارتدافهم غيرهم قلت ـــــ بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه
منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت ـــــ الام يرجع الضمير

فى وما جعله قلت ـــــ الى قوله انى ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم
فان قلت ـــــ ففيمن قرا بالكسر قلت ـــــ الى قوله انى ممدكم لانه مفعول
القول المضمر فهو فى معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذى يدل عليه ممدكم
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله
يريد ولا تحسبوا النصر من الملئكة فان الناصر هو الله لكم وللملايكة او وما النصر
بالملايكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ
يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما فى من عند الله من معنى الفعل
او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرى يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب
النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت ـــــ اما وجب
ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت ـــــ بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم
النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون
امنة بمعنى امنا اى لامنكم وامنة صفة لها اى امنة حاصلة لكم من الله فان قلت ـــــ
فعلى غير هذه القراة قلت ـــــ يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اى ينعسكم
ايانا امنه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت ـــــ هل يجوز
ان ينتصب على الامنة للنعاس الذى هو فاعل يغشاكم اى يغشاكم النعاس لامنه
على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازى وهو لاصحاب النعاس
على الحقيقة او على انه انامكم فى وقت كان من حق النعاس فى مثل ذلك الوقت
المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشاكم امنة حاصلة له من الله لولاها
لم يغشيكم على طريقة التمثيل والتخييل فان قلت ـــــ لا تبعد فصاحة القرآن
على احتماله وله فيه نظاير وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرى امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيى حيوة

ونحوامن امنه رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما اطمأن الله
قلوبهم وآمنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة
وسوسة من الشيطان وينزل قرى بالتخفيف والتثقيل وقرا الشعبي ما ليطهركم به
قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما الطهور ورجز الشيطان
وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرى رجس
الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المومنون
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال
انتم اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هولاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم
العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم
الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه واصحابه الحياض على عدوة الوادي و
سقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى
يثبت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء
ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة تثبت القدم في مواطن
القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم
مفعول يوحي وقرى اني بالكسر على ارادة القول او على اجرا يوحي مجرى يقول
كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا
يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب
في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة
ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به

قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون
بالملئكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول
اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين
فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقرى
بالرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها جزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس
لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام وقال واضرب هامة البطل المشيح
وقال غشيته وهو في جاوا باسلة غضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان
الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على
مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله
سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما
يثبتونهم كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او
كانهم قالوا انثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المومنون
ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله
الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب
مشاقتهم والمشاقة مشتق من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق
صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعادات فقلت لان هذا في عدوة
وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي من جانب
وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول
او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم
الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا

اعضاء الاطراف

على عليهم ذلكم فذوقوه كقولك زيدًا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم
في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل
الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرا الحسن وان للكافرين بالكسر
زحفًا حال من الذين كفروا الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف
اي يدب دبيبًا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع
زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان
تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين
هم وانتم او حال من المومنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم
عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو
الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع
الحرب ومكايدها او متحيزا ومنحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين
سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم
ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى
المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف
فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الفرار من الزحف من اكبر
الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو
او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا
الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل
منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل

يقول

يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه هذه قريش
قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل
فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني
قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم فقيل
لهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب
في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب الفزع والجزع وما رميت
انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على
الحقيقة لانك لو رميتها لم يبلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت
رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلعم
لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله
عز وعلا فكان الله فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا
وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المومنين
وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
والمعنى والاحسان الى المومنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع
لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض
ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين
وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهّن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى
الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا

رسوله

باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وفكنا للعاني الاسير ان كان
محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا انصر اعلى الجندين
واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر
واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين
وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم
واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على
ولان الله معين المومنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة
ابن مسعود والله مع المومنين وقرئ ولن يغني بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح
احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه لان
المعنى واطيعوا رسول الله لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان
طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله
فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن
هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه
وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا
بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا
توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان
تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر
الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم
عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله

في

في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا
اسماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم
اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك
وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان
مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء
به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن
ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير
ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر
احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة
البعث والتحريض وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه مر
على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله
وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما
اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع
مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان
العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة كقوله
بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته
فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة
ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة التي

واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم
على حسب سلامة القلوب واخلاص القلوب على حسب سلامة القلوب
واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه
ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا
وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب
عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء
والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره
فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المرء بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف
الهمزة فالقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول
مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق
الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او
نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب
الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر
تعزيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا
او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله
من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل
واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط
جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا المعنى لانه سمار
فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود
لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة

في اثنائها

والزبير

والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير فينا نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا
من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل
وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك
اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله
بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه
تقاتله فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر
قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا يطرحك فلذلك
جاز لا يطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله
الذين ظلموا قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى
لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من ساير الناس اذ انتم نصبت
على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين
في الارض في ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس
لان الناس كانوا جميعا اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره
بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب
اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى
الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل
في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت
عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار
السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم

والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم
فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون
انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علما
تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى ان النبي صلى الله عليه حاصر يهود
بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن
المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة
فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد
نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر
مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال
لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذى يحلني فجاءه فحله بيده فقال
ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي
فقال عليه السلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل
عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اما ناتكم ما ايتمنكم الله عليه من فرايضه
وحدوده فان قلت تخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون
جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق
وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة
لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله

لسلولم

ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا
بطلبه وبما يودي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب
الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلها لقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل
في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق
والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى
يوم الفرقان او بيانا او ظهورا اشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات
وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا
ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له
اعطاه
من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت
الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين
يتزايد
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة
دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا
فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير
كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس
بيس الراى ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم
فقال ابليس بيس الراى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة
رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم

فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم
رايا فتفرقوا على راى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبرئيل رسول الله
وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن الله له فى الهجرة فامر عليا رضى الله عنه
فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا
مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم
واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب
والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا
وقرئ ليثبّتوك بالتشديد وقرا النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس رضى الله
عنه ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله
ويخفى الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اى مكره انفذ من مكر
غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو
مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا وقاحة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم
لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا
مستطيعين ان يشاءوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح
المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا فى باب البيان خاصة وان
يماتنهم واحدا فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم
على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن
الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت
مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار
فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا
هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره

بالسجيل

بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى
كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه
ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله
هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرا الاعمش
هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهو فى القراءة الاولى فصل ويقال امطرت
السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار
فى معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا تكون الا منها قلت
كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة
من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا
بعذاب اليم اى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى ان امطار السجيل بعض
العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل
من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومى قومك قالوا
لرسول الله صلى الله عليه حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا
حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتاكيد النفى والدلالة على ان
تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم فى الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته
ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم
مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم
ان لا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم ان لا يعذبهم وهم يستغفرون
فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر
من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

اسبلت

ولكنهم لا يومنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله اى شى لهم من انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمومنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباه ان اولياوه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلى امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمى بذلك لكثرة مكايه واصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرى مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة من الصدا او من صد يصد اذا قوملك منه يصدون وقرا الاعمش وما كان صلوتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت فما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاوه ادا هم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه فى صلوته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التى لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت فى المطعمين

يوم بدر

يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزاير وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة فى العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت فى ابى سفين وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم يكون عليهم حسرة اى يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة وكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المومنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلى والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المومنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعنى لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذى انفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه من المال الطيب الذى انفقه المسلمون كابى بكر وعثمان رضى الله عنهما فى نصرته فيركمه فيجعله فى جهنم فى جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرى ليميز الله على التخفيف قل للذين كفروا من ابى سفين واصحابه اى قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهى فى قراة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم

ليسمعوه اى ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول فى الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا القتاله فقد مضت سنة الاولين
منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيآيهم
من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا
عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصى وخرجوا منها كما تنسل
الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربى
اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمى فلا يلزمه قضآء حقوق الله وتبقى
عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة رضى الله عنه فى ان المرتد اذا
اسلم لم يلزمه قضآء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وفسر ان يعودوا
بالارتداد وقرى يغفر لهم على ان الضمير لله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين
باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما
يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرى تعملون بالتآء فيكون المعنى
فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزآء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله
مولاكم اى ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما موصوله ومن شى
بيانه قيل من شى حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق
او واجب ان لله خمسه وروى الجعفى عن ابى عمرو فان لله بالكسر وتقويه قرآءة
النخعى فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس
فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر
واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك

كان

كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرى خمسه بالسكون فان قلت ـــــــ كيف
قسمة الخمس قلت ـــــــ عند ابى حنيفة رضى الله عنه انها كانت فى عهد رسول الله
صلى الله عليه على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسهم لذوى قرباه
من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة
والمظاهرة لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه
هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارايت
اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه
السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شى
واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد
رسول الله صلى الله عليه فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة ساير الفقرآء ولا يعطى اغنيآؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل واما عند الشافعى فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله
عليه يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع
والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم
للذكر مثل حظ الانثيين والباقى للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض
الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هولآء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى
غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ـــــــ ما معنى ذكر الله وعطف الرسول
وغيره عليه قلت ـــــــ يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله لقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه
من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا
منفردا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها

كقوله جبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية
انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله
صلى الله عليه ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو
سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب
مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقسم على ستة لله وللرسول
سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض واجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلثه وكذلك
روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم
الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم وتزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم
فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيا ولا يتيم موسر
وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب
منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله
تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله
صلى الله عليه انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال
الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من
شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت ـــــ بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله
قلت ـــــ بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان
الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا اطماعكم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله
لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه

من الايات

من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شي قدير يقدر على ان ينصر القليل على
الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة
شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين
الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى
فان قلت ـــــ كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو
قلت ـــــ القياس قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيه على
الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب
مع مجي استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما
يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير
اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو
مرفوع المحل لانه خبر المبتدا فان قلت ـــــ ما فايدة هذا التوقيت وذكر
مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت ـــــ الفايدة فيه الاخبار
عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة
له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا
صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته
وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس
بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ومشقة
وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف
حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم
واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال
وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك في قلوبهم ويضبط

يتركو

منهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى
نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي
امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطايفتين
مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش
مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم
وسبب الاسباب حتى اناخ هولاء بالعدوة الدنيا وهولاء بالعدوة القصوى
ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم
انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا
فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله
والمسلمين فلم يتفق من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف
اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه دبر ذلك
وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر
كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى على الله حجة
ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول
فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة
التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرى ليهلك بفتح اللام وحي
باظهار التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع
عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه باضمار
اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراكهم اياه
في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم

وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه
ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن
وما يلايم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم
اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان
يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا
لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزدادوا يقينهم ويجدوا ويثبتوا
قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة
فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قايل منهم
انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المومنين
ظاهر فما الغرض في تقليل المومنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم
قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة
فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله
يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم
في استيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي
طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله بعضه عنهم بساتر او يحدث
في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين
قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي
لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فية اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك
ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب

فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره
مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم
تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد
ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان يكون نفسه مجتمعة
لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المومنين
في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطايف
المعاني وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله
شاغل وان تفاقم ولا تنازعوا قرى بتشديد التا فتفشلوا منصوب باضمار ان
او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقدير قراءة من قرا وتذهب ريحكم
بالتا والنصب وقراءة من قرا ويذهب ريحكم باليا والجزم والريح الدولة شبهت
في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له
الدولة ونفذ امره ومنه قوله انتظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعاصف
وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم
رسول الله صلى الله عليه من فشلهم وذهاب ريحهم وكالذين خرجوا من ديارهم
من اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفين وهم بالجحفة
ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا فنشرب بها
الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم
ورياهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم
النوايح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم
وان يكونوا من اهل التقوى والكابة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم

لله واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلعم
ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان
وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده
حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة
ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة
من الحرب وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر
الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم
واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملايكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد
الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال
اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا
هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما روي ابليس يوما اصغر
ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر
فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت
لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره
لا غالب كاين لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون
من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام
وعن الحسن هم المشركون غر هولاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم
وانهم يتقوون به وينتصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمايه وبضعة عشر
الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط
القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو

تردّ المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على
الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملئكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز
ان يكون في يتوفى ضميرا لله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر
وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي
والنكال في ضربها اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يصبر
ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض
فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اى ويقولون
ذوقوا عذاب الحريق مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم
به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار ويقال لهم
يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اى لو رايت امرا فظيعا منكرا
ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملئكة وذلك
رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اى ذلك العذاب بسببين
بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل
لاجل العبيد
كاثابة المومنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث
لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل
الرفع اى داب هولاء مثل داب آل فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي
داموا فيه اى داوموا عليه وواظبوا وكفروا كداب آل فرعون وذلك اشارة
الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح
في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت
فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى يغير الله نعمته عليهم ولم يكن

حال

حال مرضية فغيروها الى حال مسخوطة قلت ـــــ كما تغير الحال المرضية الى
المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم
كفرة عبدة الاصنام فلما بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا اليه
ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال
وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كداب آل فرعون
تكرير للتاكيد وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق
وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يومنون اى اصروا
على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله
صلى الله عليه ان لا يمالوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا
واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اى الذين عاهدتهم من الذين
كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر
المصرين الناكثون العهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه
من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم
من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم
من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا
بحالهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة يعني ففرق
وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن
لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا
شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة

الشريد

فاذا جعل الورآ طرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القرآتين
لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين
خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سوا على طريق
مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت
ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقآ العهد فيكون ذلك
خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفآ نكث العهد والخدع
وقيل على استوآ في العلم بنقض العهد وقيل على استوآ في العداوة والجار
والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين
على استوآ في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا سبقوا
فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرى انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحد من
المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف
والمفتوحة تعليل صريح وقرى يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن يعجزون بكسر
النون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر البآ وبفتحها على حذف
النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن باليآ على ان الفعل للذين كفروا وقيل
فيه اصله ان سبقوا فحذف ان كقوله ومن اياته يريكم البرق واستدل عليه
بقراة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على
ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه
ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن
قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراة
التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين

من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين
قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
ويجوز ان تسمى بالرباط التي هي بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال
وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم البآ وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن
رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائل وعن ابن
سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في
سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر
ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرى بالتخفيف والتشديد وقرا
ابن عباس ومجاهد يمرون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله
وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون
وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجآ في الحديث ان الشيطان لا يقرب
صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن جنح له
واليه اذا مال والسلم تونث تانيث نقيضها وهي الحرب قال
السلم تاخذ منها ما رضيت بها والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرى بفتح
السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامور
موقوفة على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس
بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي فاجنح
بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله
كافيك وعاصمك من مكرهم وخداعهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله

فان محسبك الله قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خير الثياب
وتشبعوا والف من قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله
عليه من الآيات الباهرة لان العرب كما فيهم من الحمية والعصبية والانطوا على الضغينة
فى ادنى شى والقايه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يا تلف فيهم قلبان ثم ايتلفت
قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله
من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض
والتماقت وكلفهم من الحب فى الله والبغض فى الله ولا يقدر على ذلك الا من ملك
القلوب فهو يقلبها كما شا ويضع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم
من الحروب والوقايع ما اهلك سادتهم ورؤساهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضايهم امد
ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغاين ويديم التحاسد والتنافس وعادة
كل طايفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر
عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا
وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى
مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا يجر لان عطف الظاهر
المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى
كفاك وكفى اتباعك من المومنين الله ناصرا او يكون فى محل الرفع اى كفاك الله
وكفاك المومنون وهذه الآية نزلت بالبيدا فى غزوة بدر قبل القتال
وعن ابن عباس نزلت فى اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبى صلعم
ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة فى الحث
على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت او ان يسميه
حرضا ويقول له ما اراك الا مرضا فى هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه

وقرى حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص وتقال الحركة وحرضه
وحرشه وحرته بمعنى وهذه علة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا
غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون
اى بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهايم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف
من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج
كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه
بعث حمزة فى ثلثين راكبا فلقى ابا جهل فى ثلثماية راكب فقيل ثم ثقل عليهم ذلك
وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد
للاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتدا ثم لما كثروا بعد نزول التخفيف وقرى
ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث وكالفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف
وقرى الفعل المسند الى المايه بالتا واليا فى الموضعين والمراد بالضعف الضعف
فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك فان قلت
لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده
قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا يتفاوت لان الحال
قد يتفاوت بين المقاومة العشرين للماتين والماية الالف وكذلك بين المقاومة
الماية الماتين والالف الالفين قرى للنبى على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد
ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا
اثبتته حتى يثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التى هى الغلظ
والكثافة يعنى حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل فى اهله ويعز الاسلام
ويقويه بالاستيلا والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام

وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منّا بعد واما فداء وروى ان رسول الله صلعم
اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابى طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال
قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية يتقوى بها اصحابك
وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدّمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكّن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له
فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم
قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن
احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء واستشهدوا باحد وكان فداء
الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين
كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروى انهم لما
اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء
تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل احب الى عرض الدنيا
حطامها سمى به لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الاخرة يعنى ما هو
سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل وقرى يريدون بالياء وقرا
بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف عليه

على

على حاله كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد
عرض الاخرة على التقابل يعنى ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنون
منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا
وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته فى اللوح وهو انه
لا يعاقب احدا بالخطاء وكان هذا خطا فى الاجتهاد لانهم نظروا فى ان استبقاءهم
ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله
وخفى عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه
انه سيحل لهم الفدية التى اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب
قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهى ولم يتقدم نهى عن ذلك فكلوا مما غنمتم روى
انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه
من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شى لم يعهد اليكم فيه فان قلت
ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم
وكلوا مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا وقوله
ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء
قبل ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم فى ايديكم فى ملكتكم كان ايديكم
قابضة عليهم وقرى من الاسرى فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم فى الدنيا اضعافه او يثيبكم فى الاخرة
وفى قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهونى
فقال رسول الله صلى الله عليه ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك
فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى
ان رسول الله صلى الله عليه قال للعباس افد ابنى اخيك عقيل بن ابى طالب

ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذى
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا
فان حدث فى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك
فقال اخبرنى به ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده
ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد
كنت مرتابا فى امرك فاما اذا اخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فابدلنى الله خيرا
من ذلك لى الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب
ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى وروى انه قدم على رسول الله
مال البحرين ثمانون الفا فتوضا للصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ
منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ منى وارجوا المغفرة وقرا
الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك
عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل فى كفرهم
به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم
ان عادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا
اى فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين اووهم
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اى يتولى
بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
قرى من ولايتهم بالفتح والكسر اى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر ان تولى
بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر
عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم

سلم

بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدلون بالقتال اذ الميثاق
مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله
فى المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا
وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون
بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اى ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين
مقاطعتهم
وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة
القرابة ولم تقطعوا العلايق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة
تحصل فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة
على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا وقرى كثير بالثاء اولئك هم المؤمنون
حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة
الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم
والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد
اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث
بالهجرة والنصرة فى كتاب الله فى حكمه وقسمته وقيل فى اللوح وقيل فى القران وهو
اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابى حنيفة على توريث ذوى الارحام
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم
القيامة وشاهد انه برى من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته فى الدنيا

وهى الى الذين امنوا وهاجروا واووا

سورة التوبة مائة وعشرون وتسع آيات

لها عشرة اسما براة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المومنين وهي تقشقش من النفاق اي تبري منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت باية التسمية كما في ساير السور قلت سيل عن ذلك ابن عباس وعثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه ولم يبين لنا اين نضعها وكان قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براة نبذ العهود وسيل عن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا قيل فان النبي صلى الله عليه قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتدا يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول عز وجل سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها الماون وهذا قول ظاهر لانهما معا مايتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله فقال بعضهم الانفال وبراة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براة

خبر

خبر مبتدا محذوف اي هذه براة ومن لابتدا الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة في قولك بريت من الدين والمعنى هذه براة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براة مبتدا لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرى براة بالنصب على اسمعوا براة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد بريا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاوا ولا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب ابن اسيد فامر رسول الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضبا ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف وقال هذا رغا ناقة رسول الله صلى الله عليه فلما لحقه فقال اميرا ومامورا وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله اشي نزل من السما قال نعم فسر انت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم

ناقة الرسول

وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله
اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلثة عشرة ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك
يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد
الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه
لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر
لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت عليهم بتولية ذلك
عليا رضي الله عنه فان قلت ــــــ الاشهر الاربعة ما هي قلت ــــــ عن الزهري
ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر
وكانت حرما لانهم او منوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة
والمحرم منها وقيل العشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك
السنة كان في ذلك الوقت النسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة
فان قلت ــــــ ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر
الحرم وقد نهانا الله عن ذلك قلت ــــــ قالوا قد نسخ وجوب الصيانة
وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم
اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة
على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف
على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد من قولك زيد قايم وعمرو قاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطا بمعنى الايمان والاعطا فان قلت ــــــ

اي فرق

اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت ــــــ تلك اخبار بثبوت البراءة
وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت ــــــ لم علقت البراءة بالذين
عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت ــــــ لان البراءة مختصة بالمعاهدين
والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين
ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم
افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع
فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل
الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك
ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن
سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب
ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت البا التي هي صلة الاذان
تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي
في بريء اي بريء هو او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم
ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم
كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريا من رسوله
فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعليم
العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم
على التولي والاعراض عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين
اخذه وعقابه فان قلت ــــــ بم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت ــــــ

وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا
فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا فى الناكثين
ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر
ان الله يحب المتقين يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله فى ذلك
لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم
عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى
عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه فانشد

لاهم انى ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيك الا تلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ذمامك الموكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اى
لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم عهدهم انسلخ الشهر لقولهم انجرد الشهر
وسنة جرداء والاشهر الحرم التى ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين
يعنى الذين ينقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف
فى البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر
ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك
المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا
تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبنى المنار به وعن ابن عباس رضى الله عنه
دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر
والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره ان استجارك احد

استجارك

استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى
وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق
فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقران وتبين ما بعثت له فامنه حتى
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التى يامن
فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت
وعن الحسن هى محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين
الى على رضى الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل
يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين
استجارك الاية وعن السدى والضحاك هى منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
ذلك اى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة فى قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة
لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام فى معنى الاستنكاف والاستبعاد
لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعنى
محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا يطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا
فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اى ولكن الذين عاهدتم منهم
عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا امرهم
ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله
يحب المتقين يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات
المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتمانى انما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم

من الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الّا لا يراعوا
حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام
وقيل الّا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق
الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الالف
لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله
اليل اى انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق
ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم
كلام مبتدأ في وصف حالهم في مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم
على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام
الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمايل مرضية تردعهم
كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم
العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا واستبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا
قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم
وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية
في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على
حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا
اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل
من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه
فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا
في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا

فارتدوا

فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون
في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه
لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله
لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة
والنكث ولا سبيل اليه فان قلت ____ كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا
ايمانهم ثم نفاها عنهم اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة و
ايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند
الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم
ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد
منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية
كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت ____ كيف لفظ
ائمة قلت ____ همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق
الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء
فليس بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت
الهمزة على لا تقاتلون تقريرا لانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل
المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة
حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلعم
جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها
الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما منعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم

قلت

بالشر كما صدموكم ووبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها
ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدو بالقتال من غير
موجب حقيق بان لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية
منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداه ان كنتم مومنين يعني ان قضية
الايمان الصحيح ان لا يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا
الا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم
ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر
والغلبة عليهم ويشفي صدور طايفة من المومنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم
بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب
غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك
دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وصحة نبوته ويتوب الله على من يشا
ابتدا كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس
منهم وحسن اسلامهم وقرى ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب
به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل
الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان
والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في
سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله
والمومنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كاين
وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخلوا في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم

والمخلصين

والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القايل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك
مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني مسجد الحرام
لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد
الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع
المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا
لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس
ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله
كنت انفى لقراته القران من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر
بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم
نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب
قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك
لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى
بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس
بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا
انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت
اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر والكبيرة
الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله
شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر

على انفسهم فى حال واحد وذلك محال غير مستقيم وانما يعمر مساجد الله قرئ
بالتوحيد اى انما يستقيم عمارة هولاء وان تكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم
منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر   اصلاح ما خرب منها
درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا
عن فضول الحديث وعن النبى صلى الله عليه ياتى فى آخر الزمان ناس من امتى ياتون المساجد
يقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة
وفى الحديث الحديث فى المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلم
قال الله تعالى ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها وطوبى لعبد تطهر
فى بيته ثم زارنى فحق على المزور ان يكرم زايره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال
صلى الله عليه اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضى الله عنه
من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد
ضوءه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم وشهر
ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرهما
عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شى واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت
ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمومن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا
يخشاها قلت هى الخشية والتقوى فى ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله
رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف
الله فيوثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها
فاريد نفى تلك الخشية عنهم فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين
عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم فى الانتفاع باعمالهم التى استعظموها

وافتخروا

وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع مع
استشعار الخشية والتقوى اهتداوهم داير بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون
انهم مهتدون ونايلون عند الله الحسنى وفى هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين فى
ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران
من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم
اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابى
وجزة السعدى وكان من القراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان
يشبه المشركين بالمومنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم
وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج و
عمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل
وقيل ان عليا رضى الله عنه قال للعباس الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال
الست فى ما افضل من الهجرة اسقى حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال
العباس ما ارانى الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها
خيرا ثم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واوليك هم
الفايزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم قرى يبشرهم بالتخفيف والتثقيل
وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس
هى فى المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا ان يهاجر ويصادم
اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين
قطعنا آباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا
وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه وابوه او اخوه او بعض
اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل

نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه
لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد
الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرا الحسن
وعشايركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن
عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس
ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم
من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له
دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد
منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحة فلا يدري اي طرفيه اطول
ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب
فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال كم موطن لولاي طحت كما هوى
باجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يات عليها
واحد والمواطن الكثيرة موقفات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة
فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت
معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن
الوقت كمقتل الحسين بن علي اذ الواجب ان يكون منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر
وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا
الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها
فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة
والطايف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة
منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم

من امداد

من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة
فساء رسول الله وقيل قايلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه
العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق
على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ايتني ما وعدتني
وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب البقرة
فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول
بلق فنظر رسول الله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب
فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله
يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها و
حقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت
عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون
موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم
وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على المؤمنين
الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا
يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله
اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله على
الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى

فقال ان عندى ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما
اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقام رسول الله صلى الله عليه فقال
ان هولاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيا
فمن كان بيده شى وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا
يرضى فمروا عرفاكم فليرفعوا ذلك الينا فرفع اليه العرفا ان قد رضوا النجس مصدر
يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس
ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم او جعلوا
كانهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنه اعيانهم
نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب على
خلاف هذين القولين وقرى الحسن بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف
كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جا تابعا للرجس وهو تخفيف
نجس نحو كبد فى كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون
فى الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر
رضى الله عنه على الموسم وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه ويدل عليه قول على
رضى الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول
الحرم والمسجد الحرام وساير المساجد عندهم وعند الشافعى يمنعون من المسجد الحرام
خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطا ان المراد بالمسجد
الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين ان يقربوه راجع
الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم

فى قدومهم

فى قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله
بوجه آخر فارسل السما عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش
فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به وكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن
ابن عباس رضى الله عنه القى الشيطان فى قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله
بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنايم وقرى عايلة بمعنى
المصدر كالعافية اى حالا عايلة ومعنى قوله ان شا ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة
لكم فى دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما فى حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى
مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ويحرمون ما حرم الله و
رسوله لانهم لا يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة وعن ابى روق لا يعملون
بما فى التورية والانجيل ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذى هو الحق
وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده
سميت جزية لانها طايفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اى يقضوه او لانهم يجزون بها
من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطى او الاخذ فمعناه على ارادة
يد المعطى حتى يعطوها عن يد اى عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط
يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى
قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد
الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطى الى يد الاخذ
واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم
لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون
اى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها

وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان
يؤديها ويزج في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض
واختلف فيمن تضرب اليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي
وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روي عن الزهري ان رسول الله صلعم
صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم
في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي
لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي
له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف
ثمانية واربعون درهما ولا يؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي رضي الله عنه
يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن
عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل
ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين
لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو
معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو
بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص
وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم
التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل
فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن
ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا
انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا

ولا تذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله
ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده
برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس
ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر
في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم
قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم
لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا
اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى
يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي
قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون
بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض
وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من
شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوهم اربابا بانهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله الله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت
لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه
وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون

ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالى اطعت مخلوقا فى معصية
الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى
الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه السلم انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان
يكون الضمير فى وما امروا للمتخذين اربابا اى وما امر هولاء الذين هم عندهم ارباب
الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون
مثلهم مثل حالهم فى طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يريد
ان ينفخ فى نور عظيم منبث فى الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى
من الاشراق والاضاءة ليطفيه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله
على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت ـــــ كيف جاز ابى الله
الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت ـــــ قد اجرى ابى مجرى
لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفيوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع ولا
يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل
للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يوكل بها
فهى سبب الاكل ومنه قوله ياكلن كل ليلة اكافا اى يريدون علفا يشترى
بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى فى الاحكام
والتخفيف والمسامحة فى الشرايع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير
من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل
وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق فى سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون
الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى

تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هى ثابتة وانما عنى بترك الانفاق
فى سبيل الله منع الزكوة وعن النبى صلى الله عليه ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ
ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضى الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها
فقال احرز مالك الذى اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادى
زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين
وما لم تؤد زكوته فهو الذى ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت ـــــ فما تصنع
بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلثا فقالوا فاى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم
على دينه وبقوله عليه السلم من ترك صفرا او بيضا كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره
دينار فقال رسول الله كية وتوفى رجل فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان قلت ـــــ
كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده
مالا من حيث اذن له فيه ويؤدى عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه ولقد كان كثير
من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون
فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل فى الورع
والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شىء حد وما روى عن على
رضى الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل فان قلت ـــــ
لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ـــــ ذهابا بالضمير الى المعنى دون
اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه
ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فانى وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت ـــــ

لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت ـــــــ لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا
يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر الاجناس للمال
فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ـــــــ ما معنى قوله يحمى وهلا قيل
تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت ـــــــ معناه ان النار
تحمى عليها اى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية لو قيل يوم تحمى لم يعط
هذا المعنى فان قلت ـــــــ فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت ـــــــ لانه
مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها
لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم يذكر
القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتاء وقرا ابو حيوة فيكوى بالياء
فان قلت ـــــــ لم خصت هذه الاعضاء قلت ـــــــ لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث
لم ينفقوها فى سبيل الله الا للاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون
ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل الطيبات
يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم
كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم
قول رسول الله صلى الله عليه ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا
ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم
وولوه ظهورهم وقيل معناه يكون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم
جنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة القول وقوله لانفسكم اى كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه
لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون
بضم النون اى وبال المال الذى كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين فى كتاب الله

فما

فيما اثبته واوجبه من حكمه وراه حكمة وصوابا وقيل فى اللوح اربعة حرم ثلثة
سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام
فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد
الحج فى ذى الحجة وبطل النسئ الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع
ذا الحجة وكانت حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة ذلك الدين القيم يعنى ان تحريم الاشهر
الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به
وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل
قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجب الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت
النسئ فغيروا فلا تظلموا فيهن فى الحرم انفسكم اى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن
عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
وما نسخت وعن عطاء الخراسانى احلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما فى سائر الشهور كافة حال
من الفاعل او المفعول به مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها
النسئ تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور
شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا
العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو احد الواجبين

وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر واربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك
قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير
في يحلونه ويحرمونه للنسي اي اذا احلوا شهرا من اشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام
القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقرا محاويج الى الغارة وكان جنادة
بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته
ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم
المحرم فحرموه جعل النسي زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا
فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا
وهم يستبشرون وقرى يضل على البنا للمفعول ويضل بفتح اليا والضاد ويضل
ان الفعل لله عز وجل وقرا الزهري ليوطيوا بالتشديد والنسي مصدر نساه اذا اخره
يقال نساه نسا ونسا ونسيا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرى بهن جميعا وقرى
النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسي والمنسي فان قلت ـــــــ
ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت ـــــــ معناه فيحلوا بمواطاة العدة
وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر
بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة
والله لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرى زين لهم سوء اعمالهم على البنا
للفاعل وهو الله تعالى اثاقلتم تثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتقاعستم
وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم
مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة
بارضكم ودياركم وقرى اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ
فان قلت ـــــــ فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعة ان يعمل فيه

ما دل

ما دل عليه او في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال
اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطايف
استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
وقيل ما خرج رسول الله في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد
الناس تمام العدة من الاخرة بدل الاخرة كقوله لجعلنا منكم ملايكة في الاخرة في جنب
عذاب الاخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم
مطلق يتنا ول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا
منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيا وقيل الضمير
للرسول اي ولا تضروه ان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله
كاين لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابنا فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص فان قلت ـــــــ كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا
للشرط قلت ـــــــ فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم
يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه
ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله
منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده
اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله
له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما
رسول الله صلى الله عليه وابو بكر الصديق رضي الله عنه يروى ان جبريل
لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرى
ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان فقيل طلع المشركون

فوق الغار واشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه اللهم اعم ابصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم وقالوا من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لساير الصحابة سكينته ما القي
في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر
والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى
الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد
فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون ساير الكلم خفافا وثقالا خفافا
من النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم
وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا
او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلعم
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت
بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص
فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو
فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه فقال يا ابن اخي استنفرنا الله
خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب
الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت
المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على
حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر

ياكل

ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا
وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرئ عيسى بن عمر بعدت
عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعدوهم يدفنونه
ولا بعد الا ما تواري الصفائح بالله متعلق بسيحلفون وهو من جملة كلامهم والقول
مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك
معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون
لو استطعنا لخرجنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا واخبارا بما سوف
يكون بعد القفول من تخلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى
الاستطاعة استطاعة العدة واستطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو
استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم
اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في
الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا
من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير
في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغايب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل
سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن
ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية
عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبيس ما فعلت ولم اذنت
لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين
استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك
من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك

ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار
يقولون لا نستاذن ولو كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في
زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة
وثلثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات
والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فان قلت معنى عدته فعل
بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث
وتعويض المضاف اليه منها وقرئ اعلة بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة
كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا
معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه
قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد
ولكن اسا الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل
اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول
الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم
في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج
الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم
كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وكان ايقاع كراهة ذلك الخروج
في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطا رسول الله في الاذن لهم
فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن النظر في هذه المصلحة
ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان
عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز
ان يكون في ترك رسول الله للاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى

واده

فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا فكان قعودهم
بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معذرة ولقد تدارك الله
ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يومنون
بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين هو ذم لهم
وتعجيز والحاق بالنسا والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت
وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
الا خبالا ليس من الاستثنا المنقطع في شي كما يقولون لان الاستثنا المنقطع هو ان يكون
المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه
في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثنا من اعم العام الذي هو الشي فكان
استثنا متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيا الا خبالا والخبال
الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمايم وافساد ذات البين
يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركايبهم بينكم
والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولا رقصوا
من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها انا قال والراقصات الى منى فالغبغب
وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف
قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع
قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة
الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم
بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي
نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم وفيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم
لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوايل والسعي في تشتيت شملك وتفريق

اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج
وقفوا لرسول الله صلى الله عليه على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به
من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء
في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر
امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة
فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني
مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني
وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي
فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة
بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة
معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في انحرافهم
عنك يقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل
بالحزم من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم
وهم فرحون مسرورون وقيل يتولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه
قرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون
يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب
ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه
الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات
والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مقيلة مع الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا
مفيدة

الا

الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا
اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله
فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا
احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة
والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى
كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او
كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم
بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة
اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لا تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا
او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام
عليه كما جاز في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت
لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة
محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة
كنت او محسنة وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عاملا
لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم
واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه
فان قلت ما الغرض في نفي التقبل امو ترك رسول الله تقبله منهم

ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هبآء لا ثواب له
قلت ـــــ يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طايعين من غير الزام من الله
ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم للانفاق شاقا
عليهم كالاكراه او طايعين من غير اكراه من روسايكم لان روسا اهل النفاق كانوا يحملون
على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروى انها نزلت في الجد
بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله هذا مالى اعينك به فاتركنى
انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وان يقبل مفعولاه
وقرى ان يقبل بالتا واليا على البنا للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد
وقرا السلمى ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح
جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم
ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهى ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه كره للمومن ان يقول كسلت
كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغى ان يسنده المومن
الى نفسه الكراهة خلاف الطواعيه وقد جعلهم الله طايعين في قوله
طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون المراد بطوعهم انهم يبذلونه
من غير الزام من رسول الله او من روسايهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة و
اضطرار لا عن رغبة واختيار الاعجاب بالشى ان يسر به سرور راض به متعجب
من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن
عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبى وبلاهم
فيه بالافات والمصايب وكلفهم للانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم
انوفهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفى تربيته او لادهم فان قلت ـــــ

ان صح

ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت ـــــ
المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته
الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر الى العاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون
يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ مكانا يلجؤن اليه
متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرى بضم الميم
من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعديته غار الشى واغرته انا يعنى
امكنة يغترون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى
مهارب ومغارا ومدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول
وقرى مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرا ابى بن كعب
مندخلا وقرى لوالوا اليه لالتجاوا اليه يجمحون يسرعون اليه اسراعا لا يردهم شى
من الفرس الجموح وهو الذى اذا حمل لم يرده اللجام وقرا انس يجمزون فسئل فقال
يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن
عليك قيل هم المولفة قلوبهم وقيل هو ابن ذى الخويصرة راس الخوارج وكان
رسول الله صلى الله عليه يقسم غنايم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى
صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله
صلى الله عليه لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلم
احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقيل يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك
التثقيل والبنا على المفاعلة مبالغة في اللمز وصفهم بان رضاهم وسخطهم
لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه استعطف
قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنايم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاه

اى وان لم يعطوا منها فاجاوا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا
لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت نفوسهم
وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة
اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم إنا الى الله فى ان يغنمنا ويخولنا فضله
لراغبون انما الصدقات للفقرآء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها
مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هى لهم لا لغيرهم ونحوه قولك
انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا يكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى
الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابى حنيفة وعن حذيفة وابن
عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا فى اى صنف منها وضعتها اجزاك
وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقرآء متعففين فجبرتهم بها
كان احب الى وعند الشافعى لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق
فى الاصناف الثمانية وعن الزهرى انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات
على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمولفة قلوبهم
اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم
شيئا منها حين كان فى المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى
وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها
ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفى سبيل الله
فقرآء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير
حيث هو غنى حيث ماله فريضة فى معنى المصدر الموكد لان قوله انما الصدقات
للفقرآء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرى فريضة بالرفع على تلك فريضة
فان قلت لم عدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة قلت

للايذان بانهم ارسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على
انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما فى فك
الرقاب من الكتابة او الرق والاسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص
والانقاذ ولجمع الغازى الفقير او المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل
جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل
فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت كيف وقعت
هذه الاية فى تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه
الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم
حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها
فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن الرجل الذى يصدق
كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كان جملته اذن
سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن
واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن
ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه
وقبوله وليس باذن فى غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا
عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن
خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المومنين الخلص
من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اى اظهر الايمان ايها المنافقون
حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا
يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة فى الابقاء عليكم
فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه

فنزلها هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير لفطنته وشهامته
وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك
فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ
فاذا جئنا اتيته فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم
وقرى اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اى هو اذن
هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم
على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال فان قلت ـــــ لم عدى فعل الايمان
بالبا الى الله والى المومنين قلت ـــــ لانه قصد التصديق بالله الذي
هو نقيض الكفر به فعدى بالبا وقصد السماع من المومنين وان يسلم لهم ما يقولونه
ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى الى قوله وما انت بمومن لنا
ولو كنا صادقين ما اباه على الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه
انومن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ـــ ما وجه
قراة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت ـــــ هي علة معللها محذوف
تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لكم لان قوله اذن خير لكم يدل عليه
لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون
عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويوكدون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مومنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم
الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين
رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله
نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة
من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اى فحق ان له نار جهنم

وقيل

وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه
على ان جواب من محذوف وتقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك
فان له نار جهنم وقرى الم تعلموا بالتا كانوا يستهزون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون
ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت
اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شي يفضحنا والضمير في عليهم وتنبيهم
للمومنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان
يكون الضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم
ومعنى تنبيهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني
انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم
بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اى ليحذر المنافقون يحذرون وقوع على
انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
فان قلت ـــــ فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت ـــــ
معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه
اى تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك احبسوا على الركب
فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله والله ما كنا في شي من امرك
ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شي مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون
لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون

باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء
حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد
وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة
فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم فقد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة
واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان يعف عن طائفة منكم
لم يوذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلم يعذبهم في العاجل نعذب
في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين موذين لرسول الله مستهزئين
وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث ووجه
التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت
بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك
وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب
طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة على البناء للفاعل وهو
الله تعالى بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم
في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم
بما يدل على مضادة حالهم لحال المومنين يامرون بالمنكر بالكفر و
المعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون
ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله
اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون
في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم

زاجرا

زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين
بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا
بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم
دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ
بالله من سخط الله وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم
مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة
المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم
كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون
عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا
من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع
على اسرارهم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب
على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا
وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوما ولا طلبا باضمار لم وقوله كانوا
اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم الخلاق النصيب وهو
ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب
اي اثبت والخوض الدخول الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله
فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه
كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا
قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ
الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة
وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به

ثم تنبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على
سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف
وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ما قبله
مسند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم فى الدنيا
والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين واصحاب
مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مداين قوم لوط وقيل
قريات قوم لوط وهود وصالح وايتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر
فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح
وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا
عقابه بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله فى المنافقين بعضهم من بعض
سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهى الوعد كما تؤكد الوعيد
فى قولك سانتقم منك يوما تعنى انك لا تفوتنى وان تباطا ذلك ونحوه سيجعل
لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم عزيز
غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع
كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا
من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات
عدن التى وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلعم
عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة
النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل
هى مدينة فى الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر
وشئ من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة

ولانهم

ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب
ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر فى نفسه مما وراءه من النعم
وانما يتهنا له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغص عليه ولم يجد لها لذة وان
عظمت وسمعت بعض اولى الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا
يقول لا تطمح عينى ولا تنازع نفسى الى شئ مما وعد الله فى دار الكرامة كما
تطمح وتنازع الى رضاه عنى وان احشر فى زمرة المهتدين المرضيين عنه ذلك
اشارة الى ما وعد والى الرضوان اى هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده
الناس فوزا وروى ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى
فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم
فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه فيه الغلظة ما امكن
منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر
فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد
حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها
اقام رسول الله صلعم فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب
المنافقين المتخلفين فيسمع منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله
لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا
فنحن شر من الحمير فقال عامر بن القيس الانصارى للجلاس اجل والله ان
محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله

فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب
الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله
على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا
بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك
برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على ان
يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع
حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم
متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل همّ المنافقون بقتل
عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم
يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك
انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
بديته اثنى عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هى الاية التى تاب عندها الجلاس
فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام قليل تؤدى شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق نبيا لين رزقنى الله مالا
لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه

الصدقه

الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلعم الذى فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلعم
قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى
ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض
رسول الله فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك
فى زمن عثمان وقرى لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس
يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعنى فاورثهم البخل نفاقا
متمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله تعالى
والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل
خلف الوعد ثلث النفاق وقرى يكذبون بالتشديد الم يعلموا بالتاء عن على رضى الله
عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على خلاف ما وعدوه وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون
محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون فى محل الجر بدلا من الضمير فى سرهم
ونجواهم وقرى يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روى ان رسول الله
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل
باربعة الف درهم فقال كان لى ثمانية الف فاقرضت ربى اربعة وامسكت
اربعة لعيالى فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم
بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر فقال بت ليلتى
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره رسول الله

ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريآ
وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقات فنزلت الا جهدهم والا طاقتهم قرى بالفتح والضم سخر الله منهم
كقوله الله يستهزئ بهم فى انه خبر غير دعا الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم
سال عبد الله بن عبد الله بن ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا
ان يستغفر لابيه فى مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلم ان الله قد رخص لى
فسازيد على السبعين فنزلت سوآء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
وقد ذكرنا ان هذا الامر فى معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة فى المجى به على لفظ الامر
والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير قال على بن ابى طالب رضى الله
عنه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدى النواصى فان قلت
كيف خفى على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته
والذى يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار وقد تلاه بقوله ذلك بانهم
كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لى ربى فسازيد
على سبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا
لغاية رحمته ورافته على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصانى فانك
غفور رحيم وفى اظهار النبى الرحمة والرافة لطف لامته ودعآ لهم
الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين
فاذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك والذين خلفهم كسلهم ونفاقهم
والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال
اقام خلاف الحى بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قرآة

اى حيو

اى حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض
وانتصابه على انه مفعول له او حال اى قعدوا للمخالفة او مخالفين له ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم تعريض بالمومنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما
فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم فى سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض
وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما فى المومن من باعث الايمان
وداعى الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة
ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل
ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساة يوم اريها شبه الصاب
فكيف ان تلقى مسرة ساعة ورآ تقضيها مساة احقاب معناه فسيضحكون
قليلا ويبكون كثيرا جزآ الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم
واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقا
لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طايفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق
وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم
منافقين فاراد بالطايفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعنى الى
غزوة بعد غزوة تبوك واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم
عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذى علم الله انه لم يدعهم اليه
الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا
مالك ابن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت
مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها
وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النسآء وهى
اكبرهن ثم ان قولك هى كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى اكبر امراة واول مرة

وآخرهم وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي
ان رسول الله كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق
عبد الله بن ابي بعث اليه لياتيه فلما دخل قال اهلكك حب اليهود فقال
يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره
الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فساله
عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة
عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه
جبريل فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه
قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس
عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه
عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن
لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك
واجابة له الى مسئلته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر
على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد
روي انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قميصانك وان تقوم على قبره
لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق
بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي
انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني
عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب
فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله
وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه

يترحم

يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف
على من واطا قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت كيف جازت الصلوة
عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى
المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه
الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل
مات ومات بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه
كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان
تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال
من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل
عناية لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو
يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب
ان يحذر منه ويجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت
سورة كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها
الامر بالايمان والجهاد ان امنوا اي بان امنوا اولوا الطول ذووا الفضل والسعة
من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون
ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والهلاك لكن
الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية
ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند
ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن
خيرات حسان المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته
ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال

ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع
الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل لقوله يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد
فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فايذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي
على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد
نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ
المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان
التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق
وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة
ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم
منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله
ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار
الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة
وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن
وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين
على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب
عليهم قلت ـــ حال من الكاف في اتوك
وقد قبله مضمر كما قيل في قوله اوجاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك
قائلا لا اجد تولوا وقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ايديهم

استطاعة

استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل
المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر
من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها
لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل
الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا ومحله نصب على انه مفعول له
وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت ـــ رضوا ما موضعه
قلت ـــ هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء
فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على
قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله
اياهم فان قلت ـــ فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا
مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت
لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض
قلت ـــ نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار
لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه
الاخلال به وقوله قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم
لان الله تعالى اذا اوحى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في
ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله
عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب
وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم
فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس
تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب

من النبو

اى لاعراضكم عنهم

الادم ذو البشرة والمومن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة و
الاستغفار وانا مولاه فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم يعني وكفتهم النار
عتابا وتوبيخا فلا يتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم
لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله
ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا
يتوهم متوهم ان رضا المومنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب
بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين
قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جا عبد الله بن ابي يحلف ان لا
يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم
وقسوتهم وتوحشهم ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلما ومعرفة الكتاب والسنة
واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام
ومنه قوله عليه السلام ان الجفا والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به منهم مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه
مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق
الا تقية من المسلمين وريا لا لوجه الله وابتغا المثوبة عنده ويتربص بكم
دواير الزمان دولة وعقبة ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطا الصدقة
عليهم دايرة السو معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا به لقوله تعالى وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرى السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة
والسوء بالفتح وهو ذم للدايرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق
لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة
عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان

لتتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول
لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم اللهم صل
على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق
قربات وصلوات وتصديق لرجايه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه
والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين
من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة
لمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرى قربة بضم الرا وقيل هم عبد الله
ذو البجادين ورهطه السابقون الاولون من المهاجرين الذين صلوا الى القبلتين
وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع الحديبية وهي بيعة الرضوان
ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر
واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير فعلمهم القران وقرا عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا
على السابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير
واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ايتوني بابي فقال تصديق
ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاوا من بعدهم
واخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال
من اقراك قال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله وانك لتبيع القرظ
بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا
وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا
وارتفع السابقون بالابتدا وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم
لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية وفي مصاحف

اهل مكة تجرى من تحتها وهى قرآة ابن كثير وفى ساير المصاحف تحتها بغير من
وممن حولكم يعنى حول بلدتكم وهى المدينة منافقون وهم جهينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا
الذى هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت
ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق وعلى ان مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما
مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه معطوف على خبره مردوا
على النفاق تمرنوا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به
وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم
فيه بقوله لا تعلمهم اى يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق
فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى ما يشكك فى امرهم ثم قال نحن نعلمهم
اى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر
فى سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من
المومنين لا تشك معه فى ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به
فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل
الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا فى هاتين المرتين فقال
قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثانى عذاب
القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم
الى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم اى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين

نادمين

نادمين وكانوا ثلثة ابولبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام
وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين
فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلعم
فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين
فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله
هو الذى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها
وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيا فنزلت خذ من اموالهم
عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبى
التوبة والاثم فان قلت ـــــــ قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما
المخلوط به قلت ـــــــ كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى
خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل
واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس فى قولك خلطت الماء باللبن لانك
جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن
مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلط الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان
يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم الواو بمعنى
الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق والجمع والالصاق من واد واحد فسلك
به طريق الاستعارة فان قلت ـــــــ كيف قيل ان يتوب عليهم
وما ذكرت توبتهم قلت ـــــــ اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل
على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرى
تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا به

وتزكيهم الاثباتات اليآ والتآ فى تطهرهم للخطاب اولغيبة المونث والتزكية مبالغة
فى التطهير وزيادة فيه اوبمعنى الانمآء والبركة فى المال وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعآ لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعى
رضى الله ورحمته عليه احب ان يقول الوالى عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما
اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرى ان صلوتك على التوحيد
سكن لهم يسكنون اليه ويطمين قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع
اعترافهم بذنوبهم ودعاهم عليم بما فى ضمايرهم من الندم والغم لما فرط منهم
وقرى الم تعلموا باليآ والتآ وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعنى الم
يعلموا قبل ان يتاب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت
ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله
من شانه قبول توبة التايبين وقيل معنى التخصيص فى هو ان ذلك ليس الى رسول الله
انما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه فقيل لهولاء
التايبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان اوشرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم
والثانى ان يراد غير التايبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى انهم لما تيب عليهم
قال الذين لم يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم
فنزلت فان قلت ـــــ فما معنى قوله وياخذ الصدقات قلت ـــــ
هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع فى يد الله قبل ان تقع
فى يد السايل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم
وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة قرى مرجون ومرجاون من
ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجية يعنى وآخرون من المتخلفين موقوف
امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا

وهم

وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا
يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم
على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم
الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم
وفى قرآءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد خافوا عليهم العذاب وارجوا
لهم الرحمة فى مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها
قصة على حيالها وفى سايرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذى
احدثه المنافقون على ساير قصصهم روى ان عمرو بن عوف واصحابه
لما بنوا مسجد قبآ بعثوا الى رسول الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلى فيه
ويصلى فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على
اخوتهم وهو الذى سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة ومن سلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه
من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبآ وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلى
لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت
عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال
لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ

مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارًا
مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرًا وتقوية للنفاق وتفريقا بين
المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان
يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم وارصادًا واعدادًا لاجل من حارب الله ورسوله
وهو الراهب اعدوه له ليصلي ويظهر على رسول وقيل كل مسجد بني مباهاةً
او ريا وسمعة او لغرض سوى ابتغا وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق
بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد
بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل
مسجد بني على ضرار او ريا او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارًا
وعن عطا لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد
وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت ــــــ والذين
اتخذوا ما محله من الاعراب قلت ــــــ محله النصب على الاختصاص
كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت ــــــ بم يتصل قوله من قبل
قلت ــــــ باتخذوا اي اتخذوا مسجدًا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف ان اردنا
ما اردنا ببنا هذا المسجد الا الخصلة الحسنى والارادة الحسنة وهي الصلوة وذكر الله
والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين
والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي
قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت
رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب بها الارض

وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال
يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون انتم
فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمومنون وانا معهم فقال
عليه السلام اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه السلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم
قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضو
وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الما
فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرى ان يطهروا بالادغام
وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة
ويتبعون الما اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون
ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ــــــ ما معنى
المحبتين قلت ــــــ محبتهم للتطهر انهم يوثرونه ويحرصون عليه حرص المحب
للشي المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما
يفعل المحب بمحبوبه قرى اسس بنيانه بالفتح وبالكسر جمع اساس واساس بنيانه
على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى فمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي
اضعف القواعد وارخاها واقلها بقا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا
جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى
لانه جعل مجازًا عما ينافي التقوى فان قلت ــــــ فما معنى قوله فانهار به
في نار جهنم قلت ــــــ لما جعل الجرف الهاير مجازًا عن الباطل قيل فانهار به

فى نار جهنم على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنم الا انه رشح المجاز فجئ بلفظ الانهيار
الذى للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم
فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها والشفا الجرف والشفير وجرف الوادى
جانبه الذى يتحفر اصله بالما وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع
الذى اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره
شاك وصات فى شايك وصايت والفه ليست بالف فاعل انما هى عينه واصله
هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل
وكنه امره وقرى جرف بسكون الرا فان قلت ـــــ فما وجه ما روى سيبويه
عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت ـــــ قد جعل الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفى مصحف ابى فانهارت به قواعده
وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فروى الدخان يخرج وروى ان مجمع بن
حارثة كان امامهم فى مسجد الضرار فكلم ابو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا
عمر بن الخطاب فى خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة
عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المومنين لا تعجل على فوالله فوالله
لقد صليت بهم والله يعلم انى لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم
فيه كنت غلاما قاريا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقراون من القرآن شيا فعذره
وصدقه وامره بالصلوة بقومه ريبة شكا فى الدين ونفاقا وكان القوم منافقين
وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال تعالى ضرارا وكفرا فلما
هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق
ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم لا يزال
هدمه سبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم

ولا

ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما
ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع
تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه
بقتلهم او فى القبور او فى النار وقرى يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء
بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم
وقرا الحسن الى ان وفى قراة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم
ندما واسفا على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
فى سبيل الله بالشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضى الله عنه فجعل
لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروى
ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك
ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط
لنفسى ان تمنعونى ما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله اعرابى وهو يقراها فقال
كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو
واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون فى سبيل الله باموالكم
وانفسكم وقرى فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول
وعلى العكس وعدا مصدر موكد واخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين
فى سبيله وعد ثابت قد اثبته فى التورية والانجيل كما اثبته فى القران ثم قال
ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق
مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغنى الذى لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى

ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعني
المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين
نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمومنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره
محذوف اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله
الحسنى وقيل هو الرفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون
لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبروا من النفاق والعابدون
الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون
شبهوا بذوي السياحة في الارض وامتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم
يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس
علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اى ابويه احدث
به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزلت
وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل
استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا
وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت ما كان ما صح له
الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
لانهم ماتوا على الشرك قرا طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه وعنه وما
يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اى
وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن

وحماد

وحماد الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار
للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه
الايمان جاز له الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي
لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن
لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين
فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر
لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابرهيم فان قلت
فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه قلت معناه فلما تبين
له من جهة الوحي انه لن يومن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره
فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلال من
اللولو وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف
على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني ما امر الله
باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا
يواخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا
عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم
والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين
قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين
قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان
المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال
والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر
ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمومنين
على التوبة وانه ما من مومن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون
والانصار وابانه لفضل ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين
صفة للانبيآ كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله
عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة
العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة
والعشي واليوم غداة طفت علما بكر بن وائل عشية قارعنا جدام وحميرا
اذا جآ يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة
من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزود التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان
وربما مصت الجماعة ليشربوا عليها المآ وفي عسرة من المآ حتى نحروا الابل
واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيض ومن الجدب والقحط
والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان
وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرى يزيغ باليآ وفي قرآة
عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المومنين
كابي لبابة وامثاله ثم تاب الله عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون
الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن
الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة
واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرى خلفوا اي خلفوا الغازين
بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه

خالفوا

خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها
وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا
مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور
لانها خرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا
الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة
كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا ايضا فيما يستقبل
ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد
في اليوم مائة مرة وروى ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله منهم
من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان
خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك
اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني
ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق
برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال
يا نفس ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه ولا يصر
عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر
رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن ابا ذر فقال رحم الله ابا ذر
تمشي وحده وتموت وحده وتبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه
وكانت له امراة حسنا فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه
الرطب والمآ البارد فنظر وقال ظل ظليل ورطب يانع ومآ بارد وامراة
حسنا ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ

فقال الناس [illegible]

سبقه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب
فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم
يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب
بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون
ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من
ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام
الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال ليهنيك توبة الله عليك
فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة
القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلى علينا الاية
وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه
مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا
وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة
من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة اي كونوا
مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب
اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا
مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه

تلينا ح

لا يصلح

لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم
وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا
بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط
واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس
عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة
وهول وجب على ساير الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث
لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا ويكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤوا
بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه
وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة
وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب
مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش
ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار
بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا
يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا
بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح
واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة
ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام
اخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان
مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام
في كل ما يسوؤهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا

كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر
وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد
انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم
وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب
وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد
بعكرمة بن ابي جهل مع خمسماية نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند
الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرا عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمي ظماءة
وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل
ما انفق عثمان رضي الله في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم
ومجيهم والوادي كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل
فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض
يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم الا كتب لهم ذلك من الانفاق
وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم
متعلق بكتب اي اثبت في صحايفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه
ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه
لو صح وامكن ولم يود الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان
طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة
ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طايفة اي من كل جماعة كثيرة
جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم

لاما

لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويومونه من المقاصد الركيكة من
التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم
ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضراير بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره
مدرسة لاخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطا العقب
دون الناس كلهم فما ابعد هولاء من قوله تعالى لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه اخر وهو ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد
ما انزل في المتخلفين من الايات الشداد استبق المومنون عن اخرهم
الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان
ينفر من كل فرقة منهم طايفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال اعظم اثرا
من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد
الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم
وعلى الاول الضمير للطايفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم
يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم
ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين
وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم
عن الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم
لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق
وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم

مالم يضطروا اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سيل عن قتال الديلم فقال
عليك بالروم وقرى غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضعفة
والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراة والصبر على
القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
مع المتقين بنصره من اتقاه فلم يتراف على عدوه فمنهم من يقول فمن المنافقين من
يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة انكارا واستهزا بالمومنين
واعتقادهم زيادة للايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم
مرفوع بالابتدا وقرا عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته
تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين
والثبات والثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان
الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى
كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم
وتضاعف قرى اولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما
من بلاء الله ثم لا يتنبهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون
ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما
ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون
وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قايلين
هل يريكم من احد من المسلمين لينصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا
الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج
والانسلال لواذا يقولون هل يريكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت

سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف
قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي
قرشي مثلكم ثم تبع ما ذكر المجانسة والمناسبة من النتايج بقوله عزيز عليه
ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه
فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى
لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين
منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرى من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم
وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعايشة رضي الله
عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمايه لاحد غير رسول الله في قوله
رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن
بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم
وقرى العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب
آخر اية نزلت لقد جاكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نزل على القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براة وقل هو الله احد
فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة

سورة يونس مكية وهي ماية وتسع آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة
الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله
عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة

~~في جهنم على معنى وطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجى بلفظ~~

قذف قلتها ليقال من ذا فالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان
اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان
اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وما والاجود ان يكون
كان تامة وان اوحينا بدلا من عجبا فان قلت فما معنى اللام في قوله
اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت
معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه
استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه
ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد
كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب
وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله
تعالى قل لو كان في الارض مليكة يمشون مطمئنين لنزلنا اليهم من السما ملكا
رسولا وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق
الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم
في الدنيا ليس من تلك الاسباب بشي وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى والبعث للجزا على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا
انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزا ان هي المفسرة لان الايحا
فيه معنى القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر ان
انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الجامعه محذوف
قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت

الغنى عن النص

لم

لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت
المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا
لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة
فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جا به
محمد لسحر ومن قرا الساحر اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم
به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي
ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر
في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره اخرا والامر امر الخلق كله وامر
ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة
قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات
والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستوا على العرش
واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور
من قضايه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة
والكبريا كقوله يوم يقوم الروح والمليكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وذلك اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف
بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا
تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع
افلا تذكرون فادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم
جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقايه وعد الله مصدر موكد
لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدو الخلق ثم يعيده
استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة

بابتداء الخلق واعادته ثم جزاء المكلفين على اعمالهم وقرى انه يبدؤا الخلق بمعنى
لانه او هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدء الخلق
ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرى وعد الله على لفظ الفعل
ويبدؤ من ابدا ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق
لقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرى
حق انه يبدا الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق
بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا
وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله
بما كانوا يكفرون الياء فى ضياء منقلبة عن واو وضوء لكسرة ما قبلها وقرى ضئاء
بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا
والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره
ذا منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى ذلك اشارة
الى المذكور اى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه
عبثا وقرى يفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم
الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم
لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق
او لا يأملون حسن لقائنا كما يامله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب
ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة واثروا القليل الفانى على الكثير
الباقى كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها
سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم

يسدديهم

يسدديهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك
جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول
اليها ويجوز ان يريد يهديهم فى الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى
المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المومن
اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له
نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة
فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله الى النار فان قلت فلقد دلت
هذه الاية على ان الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة
هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقرن بالعمل الصالح
فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع
الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل
الصالح ثم قال بايمانهم اى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح
لا شبهة فيه دعويهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك
كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز
ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا
تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك
ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية واخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذى هو
التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام
ان بعضهم يحيى بعضا بالسلام وقيل هى تحية الملئكة اياهم اضافة للمصدر
الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هى المخففة من الثقيلة واصله

وانه الحمد على ان الضمير الشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرى ان
الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير
فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته بطلبتهم
حتى كان استعجالهم بالخير تعجيلا له والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة
من السما يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه
لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرى لقضى اليهم اجلهم على البنا
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الاجل وقراة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم
فان قلت ـــــ فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقانا وما معناه
قلت ـــــ قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قال
ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اى فنمهلهم
ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال
بدليل عطف الحالين عليه اى دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت
فما فايدة ذكر هذه الاحوال قلت ـــــ معناه ان المضرور لا يزال داعيا
لا يفتر عن الدعا حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا
عاجز النهض متخاذل النوا او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق
المشي والمضطرب الا ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها
ويجوز ان يراد ان المضرورين منهم من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش
ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام
وكلهم لا يستغنون عن الدعا واستدفاع البلا لان الانسان للجنس مر
اى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف
الابتهال والتضرع اليه كانه لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف

لا عهد لهم

ضمير

ضمير الشان قال كان لم تدياه حقا ان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بالخذلان وتخليته ما كانوا يعملون
من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاتهم
للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم
وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليومنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون
اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يومنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم
وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم
والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فايدة في امهالهم
بعد ان الزموا الحجة ببعث الرسل كذلك مثل ذلك الجزا يعني الاهلاك نجزي
كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرى
يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر اتعملون خيرا
او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر
لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت ـــــ
كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت ـــــ هو
مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشي موجودا شبه بنظر الناظر
وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد
للمشركين فقالوا ايت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله
بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها
فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان تضع مكان
اية عذاب اية رحمة مما انزل وان تسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقران اخر

تغيير مقدور عليه للانسان ما يكون لى ما ينبغى لى وما يحل لقوله ما يكون لى
ان اقول ما ليس لى بحق ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى وقرى بفتح الياء
من غير ان يامرنى بذلك ربى ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتى ولا اذر شيئا من نحو
ذلك الا متبعا لوحى الله واوامره ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية
مكان اية تبعت التبديل وليس لى تبديل ولا نسخ انى اخاف ان عصيت ربى
بالتبديل والنسخ من عند نفسى عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر
وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ايت بقران غير هذا
قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء
لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه
قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا
عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ايت بقران
غير هذا او بدله من جهة الوحى كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله ما يكون
لى ما يتسهل لى وما يمكننى ان ابدله قلت يرده قوله انى اخاف ان
عصيت ربى فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم فى هذا
الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران
ففيه انه من عندك وانه قادر على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح
التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما
ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه
وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعنى ان تلاوته
ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان
يخرج رجل امى لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشاء

فى بلد فيه علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم
مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب
التى لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى
عليكم شىء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس
منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لسانى وقرا الحسن ولا ادراتكم به
على لغة من يقول اعطاته وارضاته فى معنى اعطيته وارضيته ويعضده قراءة
ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان
تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد
واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثانى ان يكون من درأته اذا دفعته
وادراته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءوننى بالجدال
وتكذبوننى وعن ابن كثير ولادراكم بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته
انا عليكم ولا علمكم به على لسان غيرى ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصنى بهذه
الكرامة ورانى لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرى عمرا بالسكون
يعنى فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه افلا تعقلون فتعلموا
انه ليس الا من الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ايت بقران غير هذا
من اضافة الافتراء اليه ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين
على الله فى قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه
من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التى هى جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل
ان عبدوها لم ينفعهم وان تركوا عبادتها لم يضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا
على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة

العزى ومناة وهبل وإسافا ونايلة وكانوا يقولون هولاء شفعاؤنا عند الله
وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت فى اللات والعزى اتنبئون الله
بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله فان قلت
واذا لم يكن معلوما له وهو العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشى
ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه قلت ـــــ انباؤهم الله بذلك
هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذى انباوا
به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشى لا يتعلق به علمه كما
يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرى اتنبئون بالتخفيف وقوله فى السموات ولا
فى الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرى
بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اى عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن
اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير
ان يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان
حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم
بينهم الى يوم القيمة لقضى بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل
وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك
دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات
التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة
التى لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر
بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول
وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك
لفرط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى فقل انما الغيب لله اى هو

المختص

المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لى ولا لاحد به يعنى ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة
امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله
بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله
ويكيدونه واذا الاولى للشرطية والاخيرة جوابها وهى للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد
وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا
بسوء اثرها فيهم فان قلت ـــــ ما وصفهم بسرعة المكر فكيف قوله اسرع
مكرا قلت ـــــ بل دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم
من بعد ضراء فاجاوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم
من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم
وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون
اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرى
يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابى هريرة ان الله
ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا
بنوء كذا قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا فى الارض ثم اذا انتم بشر
تنتشرون فان قلت ـــــ كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر
والتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك قلت ـــــ لم يجعل الكون فى الفلك
غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه
قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجى الريح العاصف
وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ـــــ ما جواب اذا
قلت ـــــ جاءتها فان قلت ـــــ فدعوا قلت ـــــ بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم

ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فايدة صرف الكلام عن
الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه
قراءة ام الدردآ في الفلكي بيآء النسب قلت قيل هما زايدتان كما
في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد به اللجج والمآ الغمر الذي لا يجري الفلك
الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة
ام الدردآء للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي
تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل
احاطة العدو بالحي مثلا للهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون
حينئذ غيره معه لين انجيتنا على ارادة القول ولان دعوا من جملة القول
يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك
بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت فما معنى قوله بغير الحق
والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم
دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة قرى
متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القرآتين قلت
اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى
عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بعضكم على بعض
منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه
انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه
قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا
بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا

ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع
الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله
في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان
المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة
فاعدل فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله
وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم
على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها
وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما
بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك
بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح
جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة
من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت
فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرى وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل
كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها
ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا
زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم
تغن كان لم تغن زرعها اي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه
والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف
الذي هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم يتغن بالامس من قول
الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل

الله

ولا يحيق المكر السيء الا باهله
فمن نكث فانما ينكث على نفسه

كان ظم نعرفها دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة
لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملايكة عليهم
الا قيلا سلاما سلاما ويهدى ويوفق من يشا وهم الذين علم ان اللطف يجدى
عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعوا العباد كلهم الى دار السلام ولا
يدخلها الا المهديون الذين احسنوا الحسنى المثوبة وزيادة وما يزيد على المثوبة
وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن على رضى الله عنه
الزيادة غرفة من لولوة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر
امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون
ان امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان
الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة
نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله
شيا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قترة غبرة فيها
سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة
فان قلت ـــــــ ما وجه قوله والذين كسبوا السيات جزاء سية بمثلها
وكيف يتلاءم قلت ـــــــ لا يخلوا اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على
قوله للذين احسنوا الحسنى كانه قيل والذين كسبوا السيات جزاء سية
بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا جزاء سية بمثلها على معنى جزاوهم
ان يجازى سية واحدة بسية مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول
لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل

على

على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السية على عدله ودل
ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرى يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم
اى لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويكون ما لهم من جهة الله ومن عنده
من يعصمهم كما يكون المومنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون
من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة ابى بن كعب كانما يغشى
وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت ـــــــ اذا جعلت مظلما حالا
من الليل فما العامل فيه قلت ـــــــ لا يخلوا اما ان يكون اغشيت من قبل
ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاوه الى الموصوف كافضايه الى
الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى
تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا
وشركاوكم عطف عليه وقرى وشركاكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه
ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم
والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وتبرو اشركاوهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون
قالوا ضلوا عنا وقرى فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته
وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا
انداداً واطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية وهم الملايكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولى العقل
وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها
وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك
الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق

الله

ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود
كما يختبر الرجل الشي وتتعرفه لتكشف حاله ومنه قوله يوم تبلى السرائر وعن عاصم
نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اى نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها
لمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان سيئا فهى شقية والمعنى نفعل
بها فعل الناس كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء
وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرى تتلو اى تتبع
ما اسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة والى طريق النار او تقرا
فى صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة والذى يتولى حسابهم وثوابهم
العدل الذى لا يظلم احدا وقرى الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك
هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم
ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم
ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض اى يرزقكم
منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم ويوسع
رحمته من يملك السمع والابصار ومن يستطيع خلقهما وتسويتهما على
الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما
من الافات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شى
بكلائه وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير اهل العالم كله جاء بالعموم
بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه
فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم
الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال

يعنى ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع فى الضلال فانى
تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى
الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق بعد
الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين
فسقوا اى تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم
كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن واراد بالكلمة العدة
بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بانهم لا يؤمنون فان قلت ــــــــ كيف قيل
لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة
قلت ــــــــ قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع
كان مكابرا رادا للظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم فى انكارهم
لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى انه لا يدعو لجاجهم
ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع
بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه
قوله ام من لا يهدى وقرى لا يهدى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل
يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت
الياء لاتباع ما بعدها وقرى الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم
تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين
من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما لطف بهم
ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم

الذين جعلتم انداداً لله احد من اشرافهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدى الى الحق
مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذى
لا يهدى اى لا يهتدى بنفسه او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من
لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدى
ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا
فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم
فى اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مسند الى برهان عندهم ان الظن
لا يغنى عنهم فى معرفة الله من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم
قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع
ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون
بالتاء وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذى بين يديه
وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد
بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذى
بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان
ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله فى علو امره واعجازه
فيفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع من قوله
كتاب الله عليكم ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين
وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين فان قلت
بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل فى
حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه
الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين

وتفصيلا

وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون
لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون
اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد و
المعنى اقتدار بان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة
مثله فانتم مثلى فى العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اى شبيهة به
فى البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اى بسورة كتاب مثله
وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله
يعنى ان الله وحده هو القادر على ان ياتى بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره
فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه فى بديهة السماع قبل ان يفقهوه
ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط
نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على
التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ
من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها فى اول وهلة واشمأز
منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة او فساد
لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت
ما معنى التوقع فى قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به
على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا
وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن
انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى ورازوا قواهم فى المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اى مثل ذلك التكذيب

كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف
من انفسهم ولكن قلدوا الآبا وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز
ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب
اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى
التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره
بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يومن به يصدق به في نفسه ويعلم انه
حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال
اي ومنهم من سيومن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرا منهم وخلهم فقد اعذرت
كقوله فان عصوك فقل اني بري وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم
من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت
الشرايع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق
واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم
على صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه
دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر او تحسب انك
تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى
الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلا يعني
انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا
بصاير وقوله افانت افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم
الا الله تعالى بالقسر والالجا كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل

حديدي السمع والبصر اعمى العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيا اي لا ينقصهم شيا
مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب
ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم
على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقصرون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور
لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا
وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم
فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى
فحال منهم اي نحشرهم مشتبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان
يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف
لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون
بينهم قايلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم
وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين
بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم
جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض
الذي نعدهم في الدنيا فذلك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة
فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت
ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله
معاقب على ما يفعلون وقرا ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد
ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم
وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم

على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه
ولم يتبعوه قضى بينهم اى بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول
وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم
يوم القيامة رسول ينسب اليه ويدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والايمان لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق متى هذا
الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا
من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى
ولكن ما شاء الله من ذلك كاين فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب
لكل امة اجل يعني ان عذابكم اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان
اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين
فاذا جاء اجلهم بيانا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت
هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات
فبيتكم وانتم ساهون نايمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى
التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه
مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نايمون ضحى وهم يلعبون
الضمير في منه للعذاب كله والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب
للنفار فاى شي تستعجلون منه وليس شي منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون
معناه التعجب كانه قيل اى شي هول شديد تستعجلون منه ويجب ان يكون
من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق
الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى
اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على

الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه
قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه
وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط
كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع
آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم
عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام
على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى اوامن اهل القرى
آلان على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلان آمنتم به
وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة
التكذيب والانكار وقرى آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على
اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلان ويستنبونك ويستخبرونك
فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا الاعمش
الحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك
ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق و
الضمير للعذاب الموعود واى بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد
في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو
القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفايتين العذاب وهو لاحق بكم
لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اى ما في الدنيا
اليوم من خزاينها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته
فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة

لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من
شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا
ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم
للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى
جامدا مبهوتا وقيل اسروها اخفوها عن سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم
وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما
من قولهم سر الشي لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة
وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشي واسره اذا اظهره وليس هناك
تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك
الاعلام بان لله الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب
فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه
وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون
قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على
التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق
ورحمة لمن امن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك
فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء
داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا
مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئهما
فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلعم

فيما

فيما روي عنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات كانه صلى الله عليه وسلم
انها اثر الغزاة بالاصل لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا به ايذانا بان الفرح
بفضل الله وبرحمته بليغ التوحيد به ليطابق التكرير والتقرير وتضمين الكلام
معنى الشرط لذلك نظيره مما انطبق فيه ما ليس بفصيح فصيح قوله ولم يكن
له كفوا احد من تقديم الظرف وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع
الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل
فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه ارايتم اخبروني وما انزل الله ما في
موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا
اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله
هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني
الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون
على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما
يسال عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد
في شي جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت
والا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني
اي شي ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان
والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على
لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي

لانه كاين فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى
وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه
وما تكون فى شان ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر
واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير فى منه للشان
لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه وللتنزيل كانه
قيل وما تتلوا من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر
تفخيم له او لله عز وجل وما تعملون انتم جميعا من عمل اى عمل كان الا كنا عليكم
شهودا شاهدين رقباء نحصى عليكم اذ تفيضون فيه من افاض فى الامر اذا اندفع فيه
وما يعزب قرى بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر القراءة بالرفع والنصب ووجه النصب على نفى الجنس والرفع على
الابتداء ليكون كلاما برأسه وفى العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ
مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه
شئ الا فى كتاب مشكل فان قلت ــــــ لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله
فى سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض
قلت ــــــ حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون
اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم
الارض على السماء على ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة فهو توليه اياهم
وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله
فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة وعن ابن عباس رضى الله عنه

التواضع
الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون فى الله وعن عمر رضى الله عنه
سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم
ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين آمنوا نصب
او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى
والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن
النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلم
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هى محبة الناس له والذكر الحسن وعن
ابى ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل
بشرى المومن وعن عطا لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملايكة بالرحمة قال الله
تعالى تتنزل عليهم الملايكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى
فى الآخرة فتلقى الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون
من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وغير ذلك من
البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله
ما يبدل القول لدى وذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين
اعتراض ولا يحزنك وقرى لا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشا ورهم
فى تدبير هلاكك وابطال امرك وساير ما يتكلمون به فى شانك ان العزة
استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لى لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا
اى ان الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم

فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة
ان العزة بالفتح يعني لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر
هو تخريجه لا ما انكره من القراءة هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون
عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات والارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة
والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هولاء اذا كانوا له وفي ملكه فهم عبيد كلهم وهو سبحانه
وتعالى ربهم لا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل
احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي
فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى
ما يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله
في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون
ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام
يعني واي شي يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه
وما يتبع الذين يدعون من دون الله من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما
للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه
تدعون بالتاء ووجه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شي يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون
مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هولاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع
الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده
التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه

شركاء

مما

مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا يبصرون فيه مطالب
ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له
عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب
به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فالحاجة منتفية عنه
كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن
عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول
والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان
لقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين ودل على ان
كل قول لا برهان عليه لقايله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب
باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك
حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به
ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى
وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول
فعلت كذا لمكان كذا وفلان ثقيل الظل ومنه قوله ولمن خاف مقام ربه يعني خاف
ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او مقامي
وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون
مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ
الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم
عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم
مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير

تأكيد بالمنفصل لقيامه الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ
فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي
قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت ـــــ كيف جاز اسناد الاجماع
الى الشركاء قلت ـــــ على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فان قلت ـــــ ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون
عليهم غمة قلت ـــــ اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا
ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا
لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا
اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا
فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا
يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة
كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه
اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن
يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا
تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه
كقوله وقضينا اليه ذلك الامر وادوا الي ما هو الحق عليكم عندكم من اهلاكي
كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي
بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء
اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي
فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لاجله من طمع في
اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي

سي

يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا
وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا
يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة
لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم
على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير
فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم
في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة
المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم
في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية
مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسول عليه السلام وقبلها كان لم
يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين
والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع
فاستكبروا على قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد
تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك
استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه
هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا
لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا

فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم
أتقولون أسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله أتقولون للحق
أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان
يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول
الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن
عليه وان يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه
قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وان يكون
جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا أجئتما
بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به
السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما
الالتفات والانفتال وعما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار
ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه
ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي
لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين
لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة
واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون
وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما
استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر
وقرأ أبي ما أتيتم به السحر والمعنى لا ما أتيت به ان الله سيبطله سيمحقه

او

او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة
من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء
فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير
في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امراته وخازنه وامراة
خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم
قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه
ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون
وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال
في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر
والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه
توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل
الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ
للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك
زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك
لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاهم
ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح
للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا
فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم

فيفتنونا ويقولون لو كان هولاء على الحق لما اصيبوا تبوا المكان اى اتخذه مباآة
كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباآة لقومكما
ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اى مساجد
متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة فكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا
فى اول امرهم مامورين بان يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم
فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المومنون على ذلك فى اول الاسلام بمكة
فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد اخرا قلت
خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة
وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما اتخاذ المساجد
والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام
بالبشارة التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس
او حلى او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط
مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو
دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم
ايات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا
طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من
الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار
الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له انه لا يجى منهم الا الغى
والضلال وان ايمانهم كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحى
من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم

بما علم

بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك
انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا
يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال
ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم
فلا يومنوا وما على منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده
الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان
يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى
لا يدخلها الايمان فلا يومنوا جواب للدعاء الذى هو اشدد او دعاء بلفظ النهى
وقد حملت اللام فى ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا فى
الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يومنوا عطف على ليضلوا
وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين
المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشى آانك اتيت على
الاستفهام واطمس بضم الميم قرى دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون
يومن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كاين
ولكن فى وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة فى الزام
الحجة فقد لبث نوح فى قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال
ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون اى لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله فى تعليقه للامور بالمصالح
ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام
انى اعظك ان تكون من الجاهلين وقرى ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرا الحسن

وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى
واذا تجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى اليك حبالها لانه لو كان منه لكان حق ان
يقال وجوزنا بني اسرائيل البحر كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال
تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف البا التي
هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستيناف بدلا من امنت كرر المخذول المعنى
الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا
وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار
وعند بقا التكليف الان اتومن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق
وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق
وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبريل
من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه
لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن
زيادة الباهتين لله وملايكته وفيه جهالتان احدهما ان الايمان يصح بالقلب
كايمان الاخرس فحال البحر لا تمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاه
على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن
الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا
في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزا العبد الخارج على سيده الكافر نعماه
ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد
والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض

كما قال

ووري

وقرئ ننحيك بالحا نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر
قال كعب رماه الما الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي
لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شي ولم يتغير او عريانا
لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب اعاذل شكتي بدني وسيفي
وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرا ابو حنيفة رحمه الله
عليه بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك
كله وافيا باجزايه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك اية
لمن ورا من الناس علامة وهم بنو اسرايل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم
شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل
اخبرهم موسى عليه السلم بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل
حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرايل حتى قيل لمن خلفك وقيل
لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته
ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم
الشان وكبريا الملك ال امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او ليكون
عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا تجترئوا على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا
حالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ليكون لخالقك اية
كساير اياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من
بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة
ان مثله لا يغرق ولا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره
وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوا صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا

من بعد ما قروا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة
وعلموا ان الاختلاف فيه نفروا عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف
بني اسرايل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس بعد
ما جاهم العلم والبيان انه هو لم بن ابوافيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه
مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك
لهم على سبيل التاكيد وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل
فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرون
الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرايل وهم قراة الكتاب ووصفهم
بان العلم قد جاهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التورية والانجيل
وهم يعرفونه كما يعرفون ابناهم فاراد ان يوكد عليهم بصحة القران وصحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا
وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين
الدين وادلته واما بمقادحة العلما المنبهين على الحق فسل علما اهل الكتاب
يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك قبلها علما بحيث يصلحون لمراجعة
مثلك ومسالتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم
بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك
الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق
الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفا المرية عنك والتكذيب

ماثات

بايات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة
ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسيل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس
لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله
والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم
نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك لقول العرب اذا عز
اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسوال لانك
شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة احيا الموتى وقرى فسل الذين
يقرون الكتاب حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه
في اللوح واخبرته الملايكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم
لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة
من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت
بقا التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وفي قراءة ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس
وانتصابه على اصل الاستثنا وقرى بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي
روي ان يونس عليه السلم بعث الى ارض نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب
عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين
ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب
الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السما غيما اسود هايلا يدخن
دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النسا

اخبرته

ابن كثير

والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان عاشورا يوم الجمعة
وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادّوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر
قد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي
محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت
اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجا لآمن
من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان
ومطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما
يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلا الاسم حرف الاستفهام
للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا
هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون
عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي
علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس
على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس بالايمان المعلوم بها
بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون
وسمي الخذلان والنفس رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ
ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات
والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم
وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين

حلوا

خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية
والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجا ننجي المؤمنين منكم
ونهلك المشركين حقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد
يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا
وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين
لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم
وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق
بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شي وامرت ان اكون من المؤمنين يعني
ان الله امرني بذلك بما ركب فيّ من العقل وبما اوحى اليّ في كتابه وقيل معناه
ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم
بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون
وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من
الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وانّ وان يكون من الحذف
غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت ــــ عطف
قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي
تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان يكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول
لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد
عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب
قلت ــــ قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم
انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر
والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم

اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا حنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه
فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذن
من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر كان سايلا سال عن تبعة
عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك
لظلم عظيم اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله تعالى
هو الضار النافع الذى ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون
كل احد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذلك ان اراد بخير لم يرد احد
ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه
العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره
او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل فان قلت لم ذكر
المس فى احدهما والارادة فى الثانى قلت كانه اراد ان يذكر
الامرين جميعا الارادة والاصابة فى كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد
منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة فى احدهما
والارادة فى الاخر ليدلك بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله
يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق
لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه
ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل
اليهم الامر بعد ابانة الحق وازالة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح
الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد
انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعتراضهم حتى
يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وروى انها لما نزلت جمع رسول الله صلعم

الانصار فقال انكم ستجدون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى يعنى انى امرت
فى هذه الاية على ما سامتنى الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء
الجورة قال انس فلم يصبروا وروى ان ابا قتادة رضى الله عنه تخلف عن تلقى معوية
حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن
عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب ابيك يوم بدر
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى
اثرة قال معوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقونى قال فاصبر قال اذن نصبر فقال
عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامى بانا صابرون
فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مائة واحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم
المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اى جعلت
حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت
الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير
ابنى حنيفة احكموا سفهاءكم انى اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة
احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد من دلايل التوحيد
والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية
وفرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد

قال

اى سعد يا

اى بينت وخلص وقرى احكمت اياته ثم فصلت اى احكمتها انا ثم فصلتها وعن
عكرمة والضحاك ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى
ثم قلت ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة
احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب
خبر مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية
ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اى من عنده
احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اى بينها
وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان
لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان فى تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال
لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اى امركم
بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان
الرسول صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه
قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه
نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير فى منه لله تعالى اى انني لكم
نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هى صلة لنذير اى انذركم منه
ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم
فى قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك
ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع
حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم
كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويوت كل ذى فضل فضله ويعط فى الاخرة

كل

كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله فى الثواب
والدرجات يتفاضل فى الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب
يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب
يوم الكبير ان مرجعهم الى من هو قادر على كل شى فكان قادرا على ما اشد ما اراد
من عذابهم ولا يعجزه وقرى فان تولوا من ولى يثنون يزورون عن الحق وينحرفون عنه
لان من اقبل على الشى استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعنى يريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع
رسوله والمومنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره
الاضمار فى قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق
ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفا حين يستغشون ثيابهم
ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم فى
اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعنى انه لا تفاوت
فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفا
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق
عنده روى انها نزلت فى الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله مجالسته
ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت فى المنافقين وقرى يثنونى
صدورهم واثنونى افعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بنا مبالغة قرى
بالتا واليا وعن ابن عباس ليثنونى وقرى تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن
وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما يثنى الهش
من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرى تثنين من اثنان افعال
منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرى تثنوى بوزن ترعوى فان قلت

كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت ـــ هو تفضل
الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه
من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم
او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني
ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اى ما كان تحته خلق قبل خلق
السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا
مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك
وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج
اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اى خلقهن لحكمة بالغة وهى ان يجعلها
مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي
فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر
قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان قلت
كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت ـــ لما في البلوى الاختبار من معنى العلم
لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن
صوتا لان النظر والاستماع من طريق العلم فان قلت ـــ كيف قيل ايكم
احسن عملا واعمال المومن هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المومنين
والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت ـــ الذين هم احسن عملا هم
المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر
واطرح ذكر من وراهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين
وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون

بفتح

بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق عنك تشتري لحما وانك
تشتري بمعنى علك اى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه
ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يا بتوا القول ببطلانه ويجوز ان يضمن
قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر
تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه
سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر
يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر
وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه
ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم ياتيهم
منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك
انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها
اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا
به يستهزءون العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع
يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم
الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن
وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة انه ليؤس شديد الياس من ان
تعود اليه مثل تلك النعم المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر
ولا تسليم لقضايه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب
في نعمة الله ساله ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر
بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمايه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر
الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة

ان تصبروا وكانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق به صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضايق صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اى ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحى اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت ـــــــ لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ـــــــ ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءة وقول السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس بادٍ شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما كتبت فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة

كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله فاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت ـــــــ كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت ـــــــ معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ـــــــ فما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت ـــــــ معناه فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا هو وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل

وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سايلا او وصلوا رحما عجل لهم
جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من
المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنايم وقرى يوف باليا على ان الفعل
لله تعالى ونوف اليهم اعمالهم بالتا على البنا للمفعول وفي قراة الحسن نوفي بالتخفيف
واثبات اليا لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غايب مالي وحبط ما صنعوا فيها
وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به
الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان
عملهم في نفسه باطلا لانهم لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له
وقرى وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية
وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل ما كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر
على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة
الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم بريدان بين
الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام
وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق
وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته
وهو القران منه من الله او شاهد من القران فقد تقدم ذكره انفا ومن قبله
ومن قبل القران كتاب موسى وقرى كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة
من ربه وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه ويقرا القران شاهد منه شاهد
ممن كان على بينة لقوله وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل
القران التورية اماما كتابا موتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة

عظمة

عظيمة على المنزل اليهم اوليك يعني من كان على بينة يومنون به يومنون
بالقران ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله
فالنار موعده فلا تك في مرية وقرى مرية بالضم ومما الشك منه من القران
او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد
عليهم الاشهاد من الملايكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا
وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه ووافضيحتاه والاشهاد
جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج
وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد
كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اوليك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله
في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم
من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد
يضاعف لهم العذاب وقرى يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط
تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة
يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون
في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما مجه سمعي ويحتمل ان يريد
بقوله وما كان لهم من اوليا انهم جعلوا الهتهم اوليا من دون الله وولايتها ليست بشي
فما كان لهم في الحقيقة من اوليا ثم بين نفي كونهم اوليا بقوله ما كانوا يستطيعون
وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم
وتجارتهم بالاخسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل
عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم

في مكان آخرهم الاخسر ولا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم
واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض
المطمئنة ومنه قولهم للشي الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق
ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء وسومن اللف والطباق
وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير
بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم والذي جمع بين البصر
والسمع على ان يكون الواو في الاصم وفي السميع لعطف الصفة كقوله
الصابح فالغانم فالايب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اي ارسلنا نوحا
باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين
بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد وقرى بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه
بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم
باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فاذا وصف به العذاب
مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك
ونهارك صايم وجدجده الملا الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا
له وقد ملوا بالامر لانهم ملوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها
اولانهم ملا بالاحلام والاراء الصايبة ما نريك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه
بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد
من الملا ومواز لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم
علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل
كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرى بادي الراي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك

تشبيه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المومنين بالبصير والسميع

اول

اول الراي او ظاهر الراي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم
او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا
ان اتباعهم لك انما هو شي عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا
المومنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا
يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى
اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد
زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه
فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهل لها على ان الانبيا بعثوا مرغبين
في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها
فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من
فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارايتم
اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده باتيانا البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز
ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت
ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت
الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى
عميت خفيت وقرى فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت
فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة
جعلت عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم
تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت
فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله

وتصميم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم
لها كارهون يعني اكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتدا بها وانتم تكرهونها
ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جي بضميري مفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون
الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك
اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة
فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين
لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسألكم
عليه راجع الى قوله لكم في قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرى وما انا
بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ــــــــ فما معنى قوله انهم
ملاقوا ربهم قلت ــــــــ معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او
يلاقونه فيجازيهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم
او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر
وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان
الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او مصدقون بلقاء
ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المومنين
وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم
او تجهلون انه خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم
وكانوا يسالونه ان يطردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء
اعلم الغيب معطوف على عندي خزاين الله اي لا اقول عندي خزاين الله
ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزاين الله فادعي فضلا
عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي

اعلم

اعلم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافترا او حتى اطلع على ما في نفوس
اتباعي وضماير قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم
على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم الله خيرا في الدنيا والاخرة
لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت
شيا من ذلك والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه وازدرى به قصر به يقال
ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت
فيه فاكثرته كقولك جادل فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل
انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه
ان شا يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا
فان قلت ــــــــ ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت ــــــــ قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم جزاوه دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم
ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزا بالشرط في قوله ان احسنت الي احسنت
اليك ان امكنني فان قلت ــــــــ فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
قلت ــــــــ اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجيه
سمى ذلك اغوا واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف
به سمى ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي
لا ينفعكم نصايح الله ومواعظه وساير الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي
اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم
ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون آثامي والمعنى
ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترايي وكان حقي حينيذ

ان تعرضوا عنى وتناكيوا على وانا برى يعنى ولم يثبت ذلك وانا برى منه ومعنى مما تجرمون
من اجرامكم فى اسناد الافترا الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يومن اقناط من ايمانهم
وانه كالمحال الذى لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه
وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله
اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك
وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا فى موضع الحال بمعنى
اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان الله معه اعينا تكلاه ان يزيغ
فى صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدايه ووحينا انا
نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله
اليه ان يصنعها مثل جوجو الطاير ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تدعنى فى شان قومك
واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد
وجب ذلك وقضى به القضا وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابرهيم اعرض
عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمل السفينة وكان يعملها فى برية بهما فى ابعد
موضع من الما فى وقت عز الما فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح
صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعنى فى المستقبل كما تسخرون منا الساعة
اى نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الاخرة
وقيل ان تستجهلونا فانا نستجهلكم فى استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل
بحقيقة الامر وبنا على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة فى البعد عن الحقايق وروى
ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها
خمسون ذراعا وطولها فى السما ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل

لها

لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب
والانعام وركب هو ومن معه فى البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه
جسد ادم وجعله معترضا بين الرجال والنسا وعن الحسن كان طولها الفا ومايتى ذراع
وعرضها ستماية وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد
السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك
التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام فضرب
الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب
فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنى ظننت انها الساعة فمن ثم
شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومايتى ذراع وعرضها
ستماية ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة
للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه فى محل النصب بتعلمون فسوف
تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه ويعنى به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو
الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذى لا انفكاك له عنه عذاب مقيم
وهو عذاب الاخرة حتى هى التى يبتدا بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط
والجزا فان قلت ____ وقعت غاية لماذا قلت ____ لقوله ويصنع
الفلك اى وكان يصنعها الى ان جا وقت الموعد فان قلت ____ فاذا اتصلت
حتى يصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت ____ هو حال من يصنع كانه
قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت ____
فما جواب كلما قلت ____ اثنين امرين اما ان يجعل سخروا جوابا وقال
استينافا على تقدير سوال سايل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقال
جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعنى واحمل اهلك والمومنين من غيرهم

واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال
الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساوهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة
رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام
وحام ويافث ونساوهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نسا
يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا
حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قايلين بسم الله وقت اجرايها ووقت
ارسايها اما ان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجرا والارسا حذف
منها الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان
الاجرا والارسا وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول
والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة مقتضبة من مبتدا وخبر اي
بسم الله اجراوها ومرساوها يروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت
واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما
ويراد بالله اجراوها وارساوها اي بقدرته وامره وقرى مجريها ومرسيها بلفظ
من جرى ورسا اما المصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها
بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله فان قلت ———— ما معنى قولك
جملة مقتضبة قلت ———— معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب
ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان يكون
غير مقتضبة بان يكون في موضع الحال كقوله وجاونا بهم سكر علينا فلا تكون
كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير

الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها
خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم
فان قلت ———— بم اتصل قوله وهي تجرى بهم قلت ———— بمحذوف دل عليه
اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجرى بهم اي تجرى
وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه كالجبل في
تراكمها وارتفاعها فان قلت ———— الموج ما يرتفع فوق الما عند اضطرابه
وزخيره وكان الما قد التقى وطبق ما بين السما والارض وكانت الفلك تجرى في جوف
الما كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت ———— كان ذلك قبل
التطبيق وقيل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوى الى جبل
يعصمني من الما قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها
والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الها يريد ان ابنها
فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله
ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل
الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل
بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيباله كعمر بن
ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشده وهذه غضاضة عصمت منها الانبيا
عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه
والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرى
بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة
من يا الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت اليا والالف لالتقا الساكنين لان الرا

بعد مما سألته الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم
الله اى الا مكان من رحم الله من المومنين وكان لهم غفورا رحيما فى قوله ان ربى لغفور
رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الما قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط
من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم ونجاهم يعنى السفينة وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحم الله كقولك ما دافق وعيشة راضية وقيل
الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم
به من علم الا اتباع الظن وقرى الا من رحم على البنا للمفعول ندا الارض والسما
بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير
المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل
من قوله ابلعى ماك واقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه
الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا غير ممتنعة عليه كانها عقلا مميزون
وقد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا
تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون
الامتثال له والنزول على مشيته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان
المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك
يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الما من غاضه اذا نقصه وقضى الامر وانجز
ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودى
وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث
الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السو ومجى اخباره على الفعل
المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبريا وان تلك الامور العظام لا يكون
الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى افعاله

احيا

ولا

فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماك ويا سما اقلعى ولا ان يقضى
ذلك الامر الهايل غيره ولا ان تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه
الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علما البيان هذه
الاية ورقصوا لها روسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى واقلعى وذلك
وان كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازا تلك المحاسن
التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب
وكانت فى الما خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشورا
وروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروى ان نوحا
عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداوه ربه
دعاوه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضا وعده فى تنجية اهله فان قلت
فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفا قلت
اريد بالندا ارادة الندا ولو اريد الندا نفسه لجا كما جا قوله اذ نادى ربه ندا خفيا
قال رب بغير فا ان ابنى من اهلى اى بعض اهلى لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا
له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى
لا شك فى انجازه والوفا به وقد وعدتنى ان تنجى اهلى فما بال ولدى وانت احكم
الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل
ورب غريق فى الجهل والجور من مقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب اقضى القضاة
ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى
من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحايض وطالق على مذهب
الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفا كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين
غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك ومعتقدك من الاباعد فى المنصب

اطمانت

وان كان حبشيا وانت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلم اي ان نداك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم فكلمة النفي التي تستنهي معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقرى عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرى فلا تسلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا والتماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداوه سوالا ولا سوال فيه قلت قد تضمن دعاوه معنى السوال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سوال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب الشبهة واجب فلم زجر وسمي سواله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين

لا من

لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسالك من اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرى يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخير النامية وقرى وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشئون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا للانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف

برجل منهم كما تقول لم تعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه
للعطف على ارسلنا نوحا وهودا ايا زو غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ
غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم
الاوثان له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة
لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا
تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب
الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه
من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار
وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم
كانوا اصحاب زرع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء
الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين
بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل ارادوا القوة في المال وقيل القوة على
النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن
بن علي انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال
ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان
يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة فولد له عشرة بنين
فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله
الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم
باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه
مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت

آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم
اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا
قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها
وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين
وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار
خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفرة واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من
المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه
مختبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته من المودة وما ذاك
الا لعرق من الالحاد ابى ان لا ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد
دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت
ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله
متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب
كانوا يجوزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة
عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه
يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه
ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به
عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله
شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله فان قلت
هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت ــــــ لان اشهاد الله على البراءة من
الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم

فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول
لاختلاف ما بينهما وجئ به على لفظ الامر بالشهادة كما تقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه
اشهد على انى لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة
من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اى انتم تجعلونها شركا له ولم يجعلها له شركا ولم
ينزل بذلك سلطانا فكيدونى جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فانى
لا ابالى بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علىّ وانتم الاقويا الشداد فكيف
تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن
عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلائته من
كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك
ان ربى على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل فى ملكه لا يفوته ظالم ولا
يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت ____ الابلاغ كان قبل التولى
فكيف وقع جزاء الشرط قلت ____ معناه فان تتولوا اعاتب على تفريط فى
الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة
وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين
يخلفونكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز
عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفى قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك
ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرنى ويستخلف
قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شئ حفيظ اى رقيب عليه مهيمن فما يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت
مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة
آلاف فان قلت ____ ما معنى تكرير التنجية قلت ____ ذكر اولا انه حين

اهلاك

اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك
التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت
تدخل فى انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية
التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب
الايمان الذى انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قيل
سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا
بآيات ربهم وعصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله
قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساهم وكبراهم ودعاتهم
الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت
اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله والا وتكرارها
مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار
بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت ____ بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به
عليهم بعد هلاكهم قلت ____ معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له
الا ترى الى قوله اخوتى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان
لعاد فان قلت ____ ما الفائدة فى هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت
الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة
فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التى هى قوم هود والقصة
فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها
غيره وانشاؤكم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة
متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من
حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا

فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي
فعاش فيها عبادي وعن معوية بن ابي سفين انه اخذ في احياء ارض في آخر امره فقيل له فقال
ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض آثار
وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان
احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم
فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم
معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه
يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه
وسأله فينا فيما بيننا مرجوًّا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا
نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورًا في الامور ومسترشدًا في التدابير فلما نطقت
بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلًا خيرًا
نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد
آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس
وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي
قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لانه خطابه
للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا
ان تابعتكم تحسير يعني تخسرون وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله
فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني
بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم
انكم خاسرون آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى
الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة

خطاب للمجاهدين

لانها

لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب
عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا
بالعيش في داركم في بلدكم وسمي البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف ويقال ديار بكر لبلادهم
وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار
الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع
في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله
ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب
او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى
الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن
كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت
على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب
غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته وفضيحته ولا
خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ
يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما
بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي والاب الاكبر ومنعه للتعريف
والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه
وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة عن السدي احد عشر بالبشرى
هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما
سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام
كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما ابطأ بالمجيء بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى

الحسيل والحبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حينئذ يقطر دسمه
من حنذت الفرس اذا القيت عليها حتى يقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين يقال
نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومستنكر
وانكرك وقال الاعشى   وانكرتني وما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل في طرف من الارض يخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم
انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم
ملايكة ونكرهم لانهم تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او التعذيب
قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم
ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف
والتغيير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملايكة موجب
للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قايمة قيل كانت قايمة
ورا الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قايمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف
عبد الله وامراته قايمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك
اهل الخبايث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل
كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهولاك
القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت
فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحا يعقوب رفع بالابتدا
كانه قيل ومن ورا اسحق يعقوب مولود او موجود اى من بعده وقيل الورا
ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الورا وكان
ولد ولده وقرى بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن ورا اسحق يعقوب
على طريقة قوله لبيسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا الف في يا ويلتا

مبدلة من يا الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل
وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرى شيخ على انه خبر مبتدا محذوف
اى هذا بعلى وهو شيخ او بعلى بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونا معا خبرين
قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابرهيم ماية وعشرون ان هذا الشى عجيب
ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التى اجراها الله وانما انكرت
عليها الملايكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان يتوقر ولا يزدهيها
ما يزدهي ساير النسا الناشيات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده
مكان التعجب والى ذلك اشارة الملايكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة
ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته
وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب
كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه التعجب الرحمة والبركة متكاثرة
من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرايل
لان الانبيا منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده
مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على الندا او على الاختصاص
لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس
من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملى سرورا
بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت ____ اين جواب لما
قلت ____ هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا
وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا

او وقع يجادلنا موقع لما وقال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا
هو جواب لما وانما جي به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى
معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل
يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا
لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان
فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول
كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تايب راجع الى الله بما يحب
ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك
مما حمله على المجادلة فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون
التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت
له الملئكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فايدة فيه انه
قد جا امر ربك وهو قضاوه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب
نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعا ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق
ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم
ومدافعتهم وروي ان الله قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا
وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها

يقال هذا يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون
كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيآت ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاوا يهرعون
مجاهرين لا يكفهم حيا وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هولاء
بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هولاء بناتي فتزوجوهن وكان
وكان تزويج المسلمات من الكفار جايزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من
عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وايل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان
فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال
احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابن عمرو بن العلا من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه
وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هولاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا
او ينصب هولاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هولاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال
ومن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال و
ذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هولاء مبتدا وبناتي هن
جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن
عليهم ولا تخزوني ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحيا
في ضيفي في حق ضيفي فانه اذا خزي ضيف الرجل وجاره فقد خزي الرجل وذلك
من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق
وفعل الجميل والكف عن السو وقرئ تخزون بطرح اليا ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم
مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان
يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر
واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت

مستشهد بن يعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل
لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطؤهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث
من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا
الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد
عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة
وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به
ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع
به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك
قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرى او آوي بالنصب باضمار ان كانه
قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرى الى ركن
بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم
فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك
لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها
فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وعلا فطمسنا اعينهم
فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما
سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا
اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر قرى فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع

والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك
فقالوا اليس الصبح بقريب وقرى الصبح بقريب فان قلت ما وجه قراءة من قرا
الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه
قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت
على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد
وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر
بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء
حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة
من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين
وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم
حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد
في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة
معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل
مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير
للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز
ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها
اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه اني اريكم

بخير يريد بثروة وسعة يغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها
ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول
مومن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من
باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة
العدو فان قلت ——— وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف
اليوم بها قلت ——— بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على
الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع على المعذب ما اشتمل عليه منه
كما اذا احاط بنعيمه فان قلت ——— النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فايدة
قوله اوفوا قلت ——— نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي عنه وتعييرا له ثم ورد الامر
بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث
عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل
وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط
لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوايد البخس الهضم والنقص
ويقال للمكس البخس قال ——— زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم
وروى مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة
او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن
ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل
التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال
بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا فان قلت

بقيه

بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط
الايمان قلت ——— لظهور فايدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة
من العقاب وخفاء فايدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك
استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي
فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات
خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله
من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله
ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فلم لا تقول طاعة الله وقرئ تقية الله
بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ
وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على
الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوة
وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك
تامرك السخرية والهزؤ والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت
ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل
والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز
وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذي تامر به
من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي
عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة
شيطان وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب
الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى
تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباونا فحذف المضاف

الذى هو التكليف لان الانسان لا يومر بفعل غيره وقرى اصلوتك بالتوحيد وقرا
ابن ابى عبلة او ان تفعل فى اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به
من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل
كان ينهيهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت
الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغى فعكسوا ليتهكموا به كما
يتهكم بالشحيح الذى لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك
وقيل معناه انك المتواصف بالحلم والرشد فى قومك يعنون ان ما تامر به
لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقنى منه اى من لدنه رزقا حسنا وهو
ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس
ولا تطفيف فان قلت ــــ اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت
فى قصة نوح ولوط قلت ــــ جوابه محذوف وانما لم يثبت لان
اثباته فى القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى اخبرونى
ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لى
ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى والانبياء لا يبعثون الا لذلك
يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفنى عنه اذا ولى
عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسله عن صاحبه فيقال
خالفنى الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه
قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعنى ان اسبقكم الى شهواتكم
التى نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان
اصلحكم بموعظتى ونصيحتى وامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر ما استطعت
طرف اى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا

اوبدل

او بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير
حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له لقوله
ضعيف النكاية اعداءه اى ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم
وما توفيقى الا بالله وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى واذر ووقوعه موافقا
لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه فى امضاء الامر على سننه
وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه تهديد الكفار وحسم
لاطماعهم فيه جرم مثل كسب فى تعديته الى مفعول واحد والى مفعولين تقول
جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم اى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب
وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو
منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال
وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا
واجرمته اياه والقراءتان مستويتان فى المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة
افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على
السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا
وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن
كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ــ وما قوم لوط منكم ببعيد يعنى
انهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون
منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك فان قلت ــــ ما لبعيد لم يرد
على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت ــــ اما ان يراد وما
اهلاكهم ببعيد او وما هم بشىء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى فى بعيد

وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق
ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة من يوده من
الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم
رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وكانوا يفهمونه
ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا
لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبيا وقيل كان الثغ فينا
ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا مكروها
وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما
يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى
لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم
رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما
لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك
لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك
من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك
علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في
الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا
ولذلك في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا
الجواب فان قلت ـــــــ فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم
دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت ـــــــ تهاونهم به
وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم

من الله

من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
ونسيتموه وجعلتموه كالشي المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به والظهري منسوب الى الظهر
والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون
محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شي منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من
ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة
فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي
او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من
من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل
العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو
كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي
يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت ـــــــ اي فرق بين ادخال
الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ـــــــ ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع
للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم
قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل
تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى
الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
وارتقبوا وانتظروا العاقبة ولا اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى
المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
فان قلت ـــــــ قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر
عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو
صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت ـــــــ القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا

يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت
ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسيطتان بالفاء
قلت قد وقعت الوسيطتان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم
الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجي بالفا الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته
فلما جا الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا
مبتدأتين وكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة
الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كالا بد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح
كل واحد منهم بحيث هو وقصعا كان لم يغنوا كان لم يقيموا في ديارهم احيا متصرفين
مترددين بعدا بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله
كما بعدت وقرا السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب
الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البنا كما
فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراة السلمي جات على الاصل
اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت
وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان
مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان لموسى على صدق نبوته
وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه
حيث تابعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل
وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي
لا ياتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا
له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره
رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم

ويهديهم

ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى
عليه السلام وعلموا انه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره
رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم
يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد
العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من
هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم و
يتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت
هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جي بلفظ الماضي قلت لان الماضي
يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة
والورد المورد المورود والذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء
وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما
يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه لعنة اي
يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة
في الآخرة وقيل بئس العطا المعطى ذلك مبتدا من انبا القرى نقصه عليك
خبر بعد خبر اي ذلك النبا بعض انبا القرى المهلكة مقصوص عليك منها
الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عاف الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد
فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستانفة لا محل لها وما
ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم
آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية

ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تبّ اذا
خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ
اخذ ربك والنصب فيمن قرا وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرى اذا اخذ القرى وهي
ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة
الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب
يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر
بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لاية لمن خاف
لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم
في الاخرة فاذا راى عظمته وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة
وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول
الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس لاي فايدة اوثر اسم المفعول
على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه
يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس وانه الموصوف بذلك صفة
لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره
قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته
ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر
على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب
والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به
كقوله يوم شهدناه سليما وعامرا اي تشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه
احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام

محضور

محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل
اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه
من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فساير الايام كذلك مشهودات كلها
ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع
بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان ساير ايام الاسبوع
مثله تشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب
ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه
يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا
فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الا
لاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره
ويقولون حل الاجل فاذا جا اجلهم يراد آخر مدة التاجيل والعد انما هو للمدة
لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نوخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
بحذف المضاف وقرى وما يوخره بالياء وقرى يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم
لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل
فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت الله تعالى كقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرا وما يوخره بالياء
وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان ياتيهم الساعة
فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم
واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل
يوم ياتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم

وقت لا ياتي اليوم وجدت الشي بنفسه قلت ــــ المراد اتيان هوله وشدائده
لا تكلم لا يتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت ــــ
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يوذن لهم فيعتذرون قلت ــــ ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن
ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يوذن لهم وفي بعضها
يوذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم
فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس
يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار
لاساته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراة العامة بفتح الشين
وعن الحسن شقوا بالضم كما قرى سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده
قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج
ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تراد سموات الاخرة
وارضها وهي دايمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة
حيث نشا ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها الله او يظلهم
العرش وكل ما اظلك فهو سما والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفيا للانقطاع
كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات
التابيد فان قلت ــــ فما معنى الاستثنا في قوله الا ما شا ربك وقد ثبت
خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثنا قلت ــــ هو استثنا
من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا
يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى

عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخساه لهم واهانته
اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو
رضوان الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله
به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء
والدليل عليه قوله عطا غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما
يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاه الذي
لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول
المجبرة ان المراد بالاستثنا خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة فان الاستثنا
الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترايهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله
لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص لياتين على جهنم
يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا
وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث واعتقد ان الكفار لا يخلدون
في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية
الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن
ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو
جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير
مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون
لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه
قال فلا تك في مرية مما يعبد هولاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك

من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم
تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا
كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين
الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل
النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم
وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم
اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان قلت ـــــ كيف نصب
غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت ـــــ يجوز ان يوفى وهو ناقص
ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كملا
وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة
يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم من قوم موسى وقومك وهذه
من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم
وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم
وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن
وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل
الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم
وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا
لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل
الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك

معطوف

معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن
حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه
ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه
من هذه الآية ولهذا قال شيبتني سورة هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا
له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله في النوم
فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها
اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق
فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها
مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة
الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن
ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط
في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم
والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه
تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا
اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام
فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم
فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا
ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك
ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك
اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه

وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت
سبيل الغي بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور
عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلاياهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في
جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يومنك
ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل
فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه
الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم
يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب
هولاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية
هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من
دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على
هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم
من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه
وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم
قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع
استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية

وزلفا

وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا
قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان
ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على
الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته
نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه
ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى
فالزلف جمع زلفة كظلم في جمع ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف
بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى زلفة كما ان القربى بمعنى قربة وهو ما يقرب
من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا
التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل
على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل ان الحسنات
يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي
الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكباير والثاني
ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع
التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب
بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي
فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت
وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك تب الى الله فاتى
عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة

ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له توضا وضوءًا حسنًا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير
بالصبر بعد ما جا بما هو خاتمة التذكير وهذا الكرور لفضل خصوصيته ومزية
وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق
بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتها عما نهيت عنه فلا يتم
شى منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جا بما هو مشتمل على الاستقامة
واقامة الصلوات والانتها عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك
من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القران
فمعناها هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا ولولا رجال مومنون ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل وخير وسمى الفضل والجود
بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا فى الجود
والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة
ان تذنبوا ثم ياتينى بقيتكم ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز
ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذووا
بقا على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرى اولوا بقية
بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية
المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله
كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثنا منقطع معناه ولكن قليلا
ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسايرهم تاركون للنهى ومن فى ممن

انجينا حقها ان يكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين وحدهم بدليل
قوله عز وجل وانجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت
هل لوقوع هذا الاستثنا متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا
على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضًا لاولى البقية على النهى
عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرا قومك القران الا الصلحا
منهم تريد استثنا الصلحا من المحضضين على قراة القران وان قلت تحضيضهم
عن النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا
قليلا كان استثنا متصلا ومعنى صحيحًا وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان
الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا
تاركى النهى عن المنكرات اى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا همهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا
فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش
الهنى ورفضوا ما ورا ذلك ونبذوه ورا ظهورهم وقرا ابو عمرو فى رواية
الجعفى واتبع الذين ظلموا يعنى واتبعوا جزا ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون
المعنى فى القراة المشهورة انهم اتبعوا جزا اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم
الانجا كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت
علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا
الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن
الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا
جزا الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم
فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اى اتبعوا الاتراف

وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر
او على اتبعوا اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا
وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفى وبظلم
حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم
مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل
الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة يعنى لاضطرهم الى ان يكون اهل ملة واحدة اى ملة
واحدة وهى ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن
نفى الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من
الاختيار الذى هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل
فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم
الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم
ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار
الذى كان عليه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار
الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهو قوله للملائكة لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه
عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك من انباء الرسل بيان لكل
ما نثبت به فوادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص
عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعنى على الاساليب
المختلفة وما نثبت به فوادك مفعول نقص ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه

وما فيه

وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك فى هذه
الحق اى فى هذه السورة او فى هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة
وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم
التى انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما قص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض
لا يخفى عليه خافية مما يجرى فيها فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر
كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل
عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون
بالتاء اى انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان
يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

سورة يوسف مائة واحدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اى تلك الايات التى انزلت
اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم
والتى تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التى
لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت
عنه اليهود من قصة يوسف فقد روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه قرآنا عربيا

وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون
ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا
لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص
تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون
فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به
والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان
اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا
القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر
لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران
مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن
الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص
على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب
الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه
في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص
من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجايب
التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل
هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت
من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيا فشيا كما يقال
تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية وان كنت
مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله
راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك

من

من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف
منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل
على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص وباضمار اذكر ويوسف
اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر
سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف
بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل
والمفعول من اسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا
لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة
واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال
هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس واونس وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا قيل من الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فقالوا يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرى بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التا
قلت تا تانيث وقعت عوضا من يا الاضافة والدليل على انها تا تانيث
قلبها ها في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تا التانيث بالمذكر
قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام
يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تا التانيث من يا الاضافة قلت
لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم
في اخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي
كانت قبل اليا في قولك يا ابي قد زحلقت الى التا لاقتضا تا التانيث ان
يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة
التي اقتضتها التا وتبقى التا ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها

اسم والاسما آخرها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين اليا واصلها ان تحرك
تخفيفا لانها حرف لين وانما التا فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت
يشبه الجمع بين التا وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم اليا
اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت ——— اليا والكسرة قبلها
شيان والتا عوض من احد الشيئين وهو اليا والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع
بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التا واليا لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا
مع كون الالف فيه بدلا من اليا كيف جاز الجمع بينها وبين التا ولم يعد ذلك جمعا
بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت ——— فقد دلت الكسرة
في يا غلام على الاضافة لانها قرينة اليا ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في
يا ابت فالتا المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت ——— بل حالها مع التا
كحالها مع اليا اذا قلت يا ابي فان قلت ——— فما وجه قراة فتح التا وضمها
قلت ——— اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها
كما فعل من حذف اليا في يا غلام ويجوز ان يقال حركها حركة اليا المعوض منها في قولك
يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في اخره تا تانيث فاجراه مجرى الاسما المونثة
بالتا فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من يا الاضافة
وقرى اني رايت بتحريك اليا واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي التحريكات
فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت
من الرويا لا من الروية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا
مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب
عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ——— ما اسما تلك الكواكب
قلت ——— روى جابر ان يهوديا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد

اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله فنزل جبريل فاخبره بذلك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب
وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها الاسما وها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب
اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا
طوالا كانت مركوزة في الارض كهية الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعها
وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن
ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها
عليهم فيبغوا لك الغوايل وقيل كان بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه
اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت ——— لم اخر الشمس والقمر قلت
اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما
بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكاييل عن الملايكة ثم عطفهما
عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر
فان قلت ——— ما معنى تكرار رايت قلت ——— ليس بتكرار انما هو كلام
مستانف على تقدير سوال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له
عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سايلا عن حال رويتها فقال
رايتهم لي ساجدين فان قلت ——— فلم اجريت مجرى العقلا في رايتهم ساجدين
قلت ——— لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلا وهو السجود اجرى عليها
حكمهم كانها عاقلة هذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشي من بعض الوجوه
فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقارنة عرف يعقوب

عليه السلام دلالة الرويا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه
للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل ابايه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما
بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرى رياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي
ريّاك بالادغام وضم الرا وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا
يقوى ادغامها كما يقوى الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا
منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل
فيكيدوك كما قيل فكيدون قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا
لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا
وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط
من يحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك
يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرويا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبريا شان
كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم
التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتبا الاصطفا افتعال
من جبيت لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها
وكان يوسف اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث
معاني كتب الله وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها
يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها
عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث
بعده يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة

الشى اذا حصل لنفسك وحديث الملك
والمعوض تحضته والاحاديث الرويا م

ومعنى

ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم
انبيا في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم
بالخلة والانجا من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجايه من الذبح وفدايه بذبح عظيم
وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا
واخوته انبيا استدلالا بضو الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت
الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي له ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه
وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل
وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة فكان يضمه ساعة الى صدره
ولا يصبر عنه فبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص روياه على يعقوب قال هذا امر مشتت
يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل
بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك
ولا يقال آل الحايك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم
الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق
عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على
من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلايل
على قدرة الله وحكمته في كل شي للسايلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير
سماع من احد ولا قرات كتاب وقرى آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله
على النبي عليه السلم خبر يوسف وبغي اخوته لما راى من بغي قومه ليتاسى به وقيل
اساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودنية ودان ونفتالي وجاد
واشير السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون

من سريتين زلفه وبلهت فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين
وبوسف ليوسف اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان
زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه
وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع
لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني
انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن
جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم
الامور ويستكفون النوايب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن
عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول
العرب انما العامري عمته اي يتعهد امته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد
قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الامر قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر
بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ايضا ارضا منكورة
مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا
الوجه ونصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم
اقباله واحدة ولا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن
يشاركهم فيها وينازعهم اياها وكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان
الرجل اذا اقبل على الشي اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال
ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف

اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا
قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه
او تصلح دنياكم وينتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على
يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قايل منهم هو يهوذا
وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في
غيابة الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم في اسفله قال المنخل
اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة
حفرته التي يدفن فيها وقرى غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري
غيبة والجب البير لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه ياخذه بعض السيارة
بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرى تلتقطه بالتا على المعنى لان بعض السيارة
سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه
ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي ما لك
لا تامنا قرى باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التا مع الادغام
والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه
ما يدل على خلاف النصيحة والمقة واراد بذلك لما عزموا على كيد يوسف
استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم
بما اوجب ان لا يامنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة
الخصب والسعة وقرى نرتع من ارتعى يرتعي وقرى يرتع ويلعب بالياء ويرتع
من ارتع ماشيته وقرا العلا بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا
فان قلت ———— كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت
كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو

لا للتهويد لقوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتدا
كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر
اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة
والثاني خوفه عليه من عدوة الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم
ولم يصدق بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذيب قد شد على يوسف وكان
يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلا موكل بالمنطق وقرى الذيب
بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذائبت الريح اذا اتت من كل جهة
القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب واللام موطية للقسم وقوله انا
اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جواب الشرط والواو في ونحن عصبة واو
الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذيب من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال
بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذن لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا
وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حيوتهم
او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين
اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت
مواشينا اذن وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن
احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه
اذانا صما ولم يعبؤا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه
فاجمعوا امركم وقرى في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن
وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف
ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا
له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه

الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما تصنع بابنك
اولاد الاما فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما القاه في الجب تعلق
بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم
فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها
القوه ليموت فكان في البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي
فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم
يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله عليه حين القي
في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق
يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر
كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة
سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونسه في الظلمة والوحشة
ويبشره بما يؤل اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك
بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبريا سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم ولطول الحق المبدل للهيآت والاشكال وذلك
انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم
يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب
وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون
بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون

ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرى لننبئنهم بالنون على انه
وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير
عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين
والقصر فقال عشوا من البكا وروى ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا
ابا امية اما تراها تبكي قال قد جا اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد
ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروى انه لما سمع صوتهم
فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شي قالوا لا قال فما لكم واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال
والتناضل والارتما والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي
وجا في التفسير ننتضل بمومن لنا لمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل
الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيي الظن بنا غير واثق
بقولنا بدم كذب اي ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به
فهن به جود وانتم به بخل وقرى كذبا نصبا على الحال بمعنى جاوا به كاذبين
ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عايشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة
اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج
على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه
بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح
باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني فلم يمزق
عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على

كذبهم

كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براة يوسف حين قد من دبر فان قلت
على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاوا فوق
قميصه بدم كما تقول جا على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا
متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول
وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته
في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص
واوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جا في الحديث
المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كابة الوجه بل اكون لكم
كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له
ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون
من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجات سيارة رفقة تسير من قبل
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القا يوسف في الجب فاخطاوا
الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفر بعيدة من العمران لم يكن الا
للرعاة وقيل كان ماوه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا
يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الما والوارد الذي يرد الما
ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من اوانك وقرى
يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان
الالف جعلت اليا بمنزلة الكسرة قبل يا الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة

سمعت اهل السراة يقولون في دعائهم يا سيدي ومولى وعن نافع يا بشراي
بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد
الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما
خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به
فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه
اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم
دفعه الينا اهل الماء ليبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة
يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا
للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله
عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه
بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ناقصا او زيف ناقص العيار دراهم
لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ
الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل القليلة معدودة لان الكثيرة
يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي
اثنى وعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده
فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا
يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه
من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة
من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا

ما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه
ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا
زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه الذي
اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ
الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك
بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو
ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد
وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة
سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
من اولاد فرعون يوسف فقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل
وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى
بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ
اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله
انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة
حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك
وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك
عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه
عسى ان ينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان
قطفير عقيما لا يولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس
ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا

والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر
رضي الله عنهما وروى انه ساله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه ولذلك
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب
تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اى كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز
كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل
الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم
وعمل والله غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد
ويقضي او على امر يوسف يدبره ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله
قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلثة وثلثون واربعون وقيل اقصاه
ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما
بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا
في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من
احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة
من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل
المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه
ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت
سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت
كجير وهيت كحيث وهيت بمعنى تهيات يقال ها يهى كجا يجى اذ تهيا
وهيت لك واللام في صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول
هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث

ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون
الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه
مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت
وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قوله لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما
اى ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت
بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه
كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته
فان قلت ـــ كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها
قلت ـــ المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب
وقرمه ميلا يشبه الهم والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي
تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله
المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل
الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان
استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان
همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان
يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله
يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت ـــ قوله
وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت ـــ

الامران جايزان ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه
ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدي قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه
وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت ــــــ لم جعلت جواب لولا محذوفا
يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت ــــــ لان لولا لا يتقدم
عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من
الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها
اذا دل الدليل عليه فجايز فان قلت ــــــ فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر
ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا يكون الا بين اثنين معا فكانه
قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت ــــــ نعم ما قلت ولكن الله
سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها
وكان اغفاله اغفاله فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها
على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله
الى ما هو حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده
وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل
تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر
البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمع ثانيا فلم يعمل به
فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته
وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب
له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته
حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطاير كان له ريش فلما زنى قعد

لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة
وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله
لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل
عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم
كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر
ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو
والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيايه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم
بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلم ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على آدم عليه السلم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب
وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم
بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة و
العزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثنا فيما انزل من كتب
الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على ساير كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفا
قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعل لجده الخليل
ابرهيم وليقتدي به الصالحون الى اخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف
العثار فاخزى الله اوليك في ايرادهم ما يودي الى ان يكون انزل الله السورة التي
هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبيا الله في القعود بين شعب
الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث
صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطاير
الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحاهل ولا ينتهي ولا يتنبه

حتى يتداركه الله بجبريل وباخباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدّهم حدقة
واجلحهم وجها لقى بادنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو
يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل
اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اى الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم
لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء
مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا
معناه بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية
ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا
الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على
تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج فان قلت ____ كيف وحّد الباب وقد جمعه فى قوله
وغلقت الابواب قلت ____ اراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار
والمخلص فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر
ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه
فانقد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها
وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدى وقيل انما لم يقل
سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه
مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلعت منها زوجها
على تلك الهيئة المريبة وهى مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت
بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة

والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها
لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن كما تقول من فى الدار الا زيد فان قلت ____
كيف لم تصرح فى قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت ____ قصدت
العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ
فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما
اعرف به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هى
راودتنى عن نفسى ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم
لها وانما القى الله الشهادة على لسان من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها
واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها
لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون
بعض اهلها كان فى الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف
بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا فى المهد وعن النبى
صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى فان قلت ____ لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ
الشهادة قلت ____ لما ادى مؤدى الشهادة فى ان ثبت به قول يوسف وبطل
قولها سمى شهادة فان قلت ____ الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها
بعد فعل الشهاه قلت ____ لانها قول من القول او على ارادة القول كانه
قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ____ ان دل قد قميصه
من دبر على انها كاذبة وانها هى التى تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين
دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت ____ من وجهين

الشهادة

احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعتها عن نفسها قدت قميصه من قدامه
بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيسقه
وقرى من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره
واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابي ابن اسحق
انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية
والتانيث وقريا بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال
وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لم تمن علي باحسانه تريد ان تمتن
علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه
ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر وطمعها في يوسف
من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال
الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن
الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن
ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف
من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن
عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث
وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين
للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير
تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة
وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة

صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع
المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث
وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدن قطفير والعزيز
الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها
خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفواد والشغاف حجاب القلب وقيل
جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج
مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرى شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه
فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز
في ضلال مبين في خطاء وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه
في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه
عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت
لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق فقصدت بتلك الهية وهي قعودهن متكئات
والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقع
ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشي وقعت يده على يده ولا يبعد
ان تقصد الجمع بين المكرهة وبين فضح الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن
بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن
الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكيا
واتتهن السكاكين ليقطعن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكانا عند
فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ

يتكى عليها قال جميل ه فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد
متكا طعاما يحز حزا كان المعنى معتما بالسكين لان القاطع يتكى على المقطوع بالسكين
وقرى متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع
فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى منتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرى
متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبنى ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح
وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التى ذكرها ابو داود فى سننه
انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب
اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشى بمعنى بتكه اذا
قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكى يتكا اذا اتكا اكبرنه اعظمنه وهبن
ذلك الحسن الرايع والجمال الفايق قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن
كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف
الليلة التى عرج بى الى السما فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل
يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار
فى ازقة مصر يرى تلالو وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الما عليها
وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه
وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت يقال
اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته اذا دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج
من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق قطعن ايديهن
جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها حاشا كلمة
تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثنا تقول اسا القوم حاشا زيد قال

حاشا ابى ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهى حرف من حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراة فمعنا حاشا لله براة الله وتنزيه الله وهى قراة ابن مسعود
على اضافة حاشا الى الله اضافة البراة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه
قال براة ثم قال لله لبيان من يبرى وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراة
ابى السمال حاشا لله بالتنوين وقراة ابى عمرو حاش لله بحذف الالف الاخيرة وقراة
الاعمش حشا الله بحذف الالف الاولى وقرى حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة
اتبعت الالف فى الاسقاط وهى ضعيفة لما فيها من التقا الساكنين على غير حده
وقرى حاشا الاله فان قلت ____ فلم جاز فى حاشا لله ان لا ينون بعد اجرايه
مجرى براة لله قلت ____ مراعاة لاصله الذى هو الحرفية الا ترى قولهم جلست
من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى فى قوله غدت من عليه منقلب
الالف الى اليا مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته
على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة
حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله
عز وجل ركز فى الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك يشبه كل منهما فى الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة
كذلك كما ركز فى الطباع ان لا ادخل فى الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملايكة الا
ما عليه الفية الخاسرة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم
للحقايق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم فى كل باب واعمال ما عمل ليس
هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا
على سليقته من بنى تميم قرا بشر بالرفع وهى فى قراة ابن مسعود وقرى ما هذا بشرى

اى ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اى حاصل بشرى
بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة هى الاولى لموافقتها
المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته
فى الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا ويجوز ان يكون
اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذاك العبد الكنعانى
الذى صورتن فى انفسكن ثم لمتننى فيه يعنى انكن لم تصورنه بحق صورته ولو
صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كانه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه
استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراى واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من
يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شى انور منه على انه برى مما اضاف اليه اهل الحشو
مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت —— الضمير فى آمره راجع الى الموصول
ام الى يوسف قلت —— بل الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما فى قوله
امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل
امرى اياه اى موجب امرى ومقتضاه قرى ليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى
لان النون كتبت فى المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا فى الخفيفة
وقرى السجن بالفتح على المصدر وقال يدعوننى على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن
تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجا
الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الى من ركوب المعصية فان قلت
نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف
كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت —— كانت احب اليه وآثر عنده
نظرا فى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفى قبح المعصية وفى عاقبة كل

واحد

واحدة منهما لا نظرا فى مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عنى كيدهن فزع منه
الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه
نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن
امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرى اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء ومن السفهاء لان الحكيم لا يفعل
القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عنى فيه
معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم
وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والضمير
فى لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهى الشواهد على براءته وما كان
ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان
مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه فى يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل
برايها فى سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته
لها او لطمعها فى ان يذلله السجن ويسخره لها وفى قراءة الحسن لتسجننه بالتاء
على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه
التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه
وفى قراءة ابن مسعود عتى حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله عنه
انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله
انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرى الناس بلغة قريش
ولا تقريهم بلغة هذيل واللام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها
تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له

اى يطعمان الملك

فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا
السجن ساعة ادخال يوسف انى ارانى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر
خمرا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة العمان اسم للعنب وفى قراءة ابن
مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اى يجيدونها رايا
يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه
يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا
الغمة بتاويل ما راينا ان كانت لك يد فى تاويل الرؤيا روى انه كان اذا مرض رجل منهم
قام عليه واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس
قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا ان هذا
لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا
فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن
خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن
جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وروى ان الفتيين قالا له انا لنحبك من
حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحبانى فوالله ما احبنى احد قط الا دخل
على من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم احبنى ابى فدخل
على من حبها بلاء ثم احبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى
بارك الله فيكما وعن الشعبى انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابى ارانى فى
بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك
وسقيته وقال الخباز انى ارانى وفوق راسى ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهس منها فا زول ... الام يرجع الضمير فى قوله
نبئنا بتاويله قلت ... الى ما قضى عليه والضمير يجرى مجرى اسم الاشارة

ونحوه

ونحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك اما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك
فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما
بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام
من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل
ذى علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية
والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه
مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته فى العلم
فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن
من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل
والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اى ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
مما علمنى ربى واوحى به الى ولم اقله عن تكهن وتنجم انى تركت يجوز ان يكون
كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اى علمنى ذلك واوحى الى لانى رفضت
ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهى ملة الحنيفية واراد
باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم
للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم قوما مؤمنين بها
وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه
من الظلم والكباير التى لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه
تعريض بما منى به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة
على براءته وان ذلك مما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر اباءه ليريهما
انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبى يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب

ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك
بالله اى شى كان من ملك او جنى او انسى فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم
قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اى على الرسل وعلى المرسل اليهم
لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون
فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا
الادلة التى ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس
من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوايهم فيبقون
كافرين غير شاكرين يا صاحبى السجن يريد يا صاحبى فى السجن فاضافهما الى السجن
كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب
فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك
لصاحبيك يا صاحبى الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق
ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكنى السجن
كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ارباب متفرقون يريد التفرق فى العدد والتكاثر
يقول ان يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون
لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا
مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام تعبدون خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعنى انكم سميتم ما لا يستحق الالهية
آلهة ثم طفقتم تعبدونها وكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات
تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها
اى بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم فى امر العبادة والدين الا لله ثم بين
ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذى دلت عليه

البراهين

البراهين اما احدكما يريد الشرابى فيسقى ربه سيده وقرا عكرمة فيسقى ربه اى يسقى
ما يروى به على البناء للمفعول روى انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها
هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضى فى السجن
ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج
فتقتل قضى الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت
ما استفتيا فى امر واحد بل فى امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت
المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من فظنا ان ما راياه فى معنى ما نزل بهما وكانهما
كانا يستفتيانه فى الامر الذى نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضى
الامر الذى فيه تستفتيان اى ما يجر عليه من العاقبة وهى هلاك احدهما ونجاة الآخر
وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روى انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما ام كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريقة
الاجتهاد وان كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرنى
عند ربك صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى وينتاشنى من هذه
يخلصنى
الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابى ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى
يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع
واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر
الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشى
من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء
فلا يقدر عليه الا الله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه
اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هى باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى
المفعول قلت قد لابسه فى قولك فانساه الشيطان ذكر ربه

او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه
الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذى هو الاخبار فان قلت ــــــــ لم انكر
على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله فى كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلم من انصارى الى الله وفى الحديث
ان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم من فرج عن مومن كربة من كرب
الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عايشة رضى الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من ليالى فكان يطلب من يحرسه حتى جا سعد
فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوى بالادوية والتقوى بالاشربة والاطعمة
وان كان ذلك لان الملك كان كافرا ولا خلاف فى جواز ان يستعان بالكفار فى دفع الظلم
والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت ــــــــ كما اصطفى الله الانبيآ على خليقته
فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبى ان لا يكل امره
اذا ابتلى ببلا الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا
يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا
وعن الحسن انه كان يبكى اذا قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا
فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رويا عجيبة هالته راى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان
وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت
وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد
فى قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام
فان قلت ــــــــ هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون
المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت ــــــــ اذا اوقعتها صفة

لبقرات

لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت
فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت ــــــــ هلا قيل سبع عجاف
على الاضافة قلت ــــــــ التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف
لا يقع البيان به وحده فان قلت ــــــــ فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة
اصحاب قلت ــــــــ الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات
تجرى مجرى الاسمآء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز فى غيرها الا تراك لا تقول
عندى ثلثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ــــــــ ذاك مما يشكل وما نحن
بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم
بان المراد البقرات قلت ــــــــ ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء
عما ليس باصل وقد وقع الاستغنآء بقولك سبع عجاف عما تقترحه
من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذى ليس بعده والسبب
فى وقوع عجاف جمعا لعجفآ وافعل وفعلآ لا يجمعان على فعال حمله على
سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض
فان قلت ــــــــ هل فى الاية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت
سبعا كالخضر قلت ــــــــ الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد
فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر
السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت ــــــــ هل يجوز
ان يعطف يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت ــــــــ
يودى الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضى ان تدخل فى حكمها
فيكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضى ان يكون غير السبع
بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت

السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود
فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه
اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان يكون للبيان كقوله وكانوا
فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته
على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت
هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر
اوحال وان يضمن تعبرون خبر آخر اوحال وان تضمن تعبرون معنى فعل يتعدى
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقته عبرت الرؤيا
ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر
عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت
الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبّرت بالتشديد
والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض
الاعراب   رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا اضغاث الاحلام
تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان
واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت
لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث
احلام فان قلت ـــ ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام
فجمعوا قلت ـــ هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز
لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء
ايضا يزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون

قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا
بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات
الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام
بنحارير فرى وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا
من الفتيين من قتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه
حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويل
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي بعد
إمة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة
وارتهم هناك القبور ه اي بعد ما انعم عليهم بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال
امه يامه امها اذا نسي ومن قرا بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم عمن
عنده علمه وفي قراة الحسن انا اتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاساله ومروني باستعباره
وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف
ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه
في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي
ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه
ولا من علمهم فربما لم يعلموا او معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك
من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون
بالله واليوم الاخر وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب
ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى
الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب في
العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تداءبون دابا واما على ايقاع المصدر

حالا بمعنى ذوى داب فذروه فى سنبله لئلا يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازى
جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبأون يغاث الناس من الغوث
او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا
يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
وقرى يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز
ان يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون
اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت
السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما
ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم
بعد الفراغ من تاويل الرويا بان العام الثامن يجى مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم
وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت ـــــــ معلوم
ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم
قلت ان علم ذلك من جهة الوحى قلت ـــــــ ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا
وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم
الا بالوحى انما تانى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سوال النسوة ليظهر براءة
ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسد الى تقبيح امره عنده
ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها
قال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم
ومنه قال رسول الله للمارين به وهو فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة

اتقاء للتهمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره
والله يغفر له حين سيل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم
حتى اشترط ان يخرجونى ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك
ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب
ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله
ان يفتش عن شانهن لان السوال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سيل عنه فاراد
ان يورد عليه السوال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث
حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرى النسوة بضم
النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربى ان الله تعالى
بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد
بعلم الله على انهن كدنه وانه برى مما قرف به او اراد الوعيد لهن اى هو
عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه
ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شى من الريبة
ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز الان حصحص اى ثبت واستقر وقرى
حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة
قال ـــــــ فحصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا
مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق
بشى مما قرفته به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق
وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى لنا
مقال ولا بد لنا ان ندق فى فروة من يثبت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف

اى ذلك التثبيت والتشمر لظهور البرآة ليعلم العزيز انى لم اخنه بظهر الغيب
فى حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غايب عنه خفى
عن عينه او هو غايب عنى خفى عن عينى ويجوز ان يكون ظرفا اى بمكان الغيب وهو الخفاء
والاستتار ورآء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدى كيد الخاينين
لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته فى خيانتها امانة زوجها وبه فى
خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون
تاكيدا لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع
لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها فى الامانة ومفتخرا كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من
الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ
نفسى من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد فى هذه
الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن
طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اى ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم
ربى الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم فى معنى الزمان
اى الا وقت رحمة ربى يعنى انها امارة بالسوء فى كل وقت واوان الا وقت العصمة
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة كقوله
ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله انى لم اخنه لان المعصية
خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم
اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه
وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد

باهلك

باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربى غفور رحيم استغفرت
ربى واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل
على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا
تامرون وهو كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن
وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن
ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال انى
لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين
حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال
استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد
منه ما لم يحتسب قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن
ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم
الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان
قال لسان ابائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب
منه وقال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك قال رايت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى

وانا الملك لا يحرم منها حرفا وقال له من حقك ان يجمع الطعام في الاهرام فياتيك الخلق
من النواحي ويمارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزاين الارض
ولني خزاين ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما يستحفظ به عالم بوجوه التصرف
وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال
ذلك ليتوصل الى امضا احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله
يبعث الانبيا الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب
التولية ابتغا وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله من ساعته
ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت ——— كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون
تبعا له وتحت امره وطاعته قلت ——— روى مجاهد انه قد اسلم وعن
قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جاير
وقد كان السلف يتولون القضا من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم
انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق
فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه
في كل ما راى وكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين
الظاهر مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا
في اربعين يتبوأ منها حيث يشا فرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه
منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته
وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت روي انه قال له اما السرير فاشد
به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس

آبائي

آبائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه
الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذرا
فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء
واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام
بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله
ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي
فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت
اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع احدا من الممتارين
اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام
نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين
برحمتنا بعطايانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشا من اقتضت
الحكمة ان نشاله ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير
لهم قال سفين بن عيينة المومن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل
له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد
ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم
لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان
عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو
تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي
ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي

فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج
فما خطر ببالهم انه هو وقيل راوه من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب
وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال
وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم
فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون
واوقر ركائبهم بما جاوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم
من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترا القول هذه المسئلة روي
انهم لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني
انكرتكم قالوا نحن قوم من الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم
عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو
شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا اثنى عشر فهلك
منا واحد قال كم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو
عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي
تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم
عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه
عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون
داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم
تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه
عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون انا لقادرون

على

على ذلك لا نتعايابه او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى
لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم
باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف
ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه
واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها
فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون
قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل
نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا
فيضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه هل امنكم يريد
انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم
فما يومنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه
اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان
يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة
خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجوا ان ينعم على بحفظه ولا يجمع على
مصيبتين وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء
كما قيل قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد
ما نبغي النفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه
وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من ال
يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان وعلى

الاستفهام بمعنى اى شى نطلب وراء هذا وفى قراءة ابن مسعود ما تبغى بالتاء على
مخاطبة يعقوب معناه اى شى نطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على
صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا
جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغى والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى
بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا فى رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا
فما يصيبه شى مما نخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على
اوساق اباعرنا فاى شى نبغى وراء هذه المباغى التى نستصلح بها احوالنا ونوسع
ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل
بعير للتقسيط فان قلت ـــ هذا اذا فسرت البغى بالطلب فاما اذا فسرته
بالكذب والتزيد فى القول كانت الجملة الاولى وهى قوله هذه بضاعتنا ردت
الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقى قلت ـــ
اعطفها على قوله ما نبغى على معنى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت
وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغى ان نمير اهلنا كما تقول سعيت
فى حاجة فلان واجتهدت فى تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغى لى ان
لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغى وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك
من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا
ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون فى رايهم وانهم مصيبون فيه وهو
وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اى ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم
فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويكون ذلك اشارة الى كيل بعير اى ذلك
الكيل شى قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه وسهل عليه متيسر لا يتعاظمه
ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شى يسير لا يخاطر لمثله

بالولد

بالولد كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم منافى لحالى وقد رايت منكم ما رايت ارساله معكم
حتى تؤتونى موثقا من الله تعطونى ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله
وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله
فى ذلك فهو اذن منه لتاتننى به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتننى به
الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت ـــ
اخبرنى عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ـــ ان يحاط بكم
مفعول له والكلام المثبت الذى هو قوله لتاتننى به فى تاويل النفى معناه لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم اى لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة
وهى ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام فى المفعول له والاستثناء من اعم
العام لا يكون الا فى النفى وحده فلا بد من تاويله بالنفى ونظيره من الاثبات
المتاول بمعنى النفى قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب
منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما
نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة وقد اشهرهم
اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التى لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة
لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء
اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما
ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم فى الصدور فيصيبهم ما يسوءهم
ولذلك لم يوصهم بالتفرق فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس
فان قلت ـــ وهل للاصابة بالعين وجه يصح عليه قلت ـــ يجوز
ان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشى والاعجاب به نقصانا فيه وخللا

من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا العباد ليتميز المحققون
من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوى هو اثر العين كما قال
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامه من كل هامه ومن كل
عين لامه وما اغنى عنكم من الله من شي يعني ان اراد الله بكم سوا لم ينفعكم ولم
يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله
ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى متفرقين ما كان يغني عنهم راى
يعقوب ودخولهم متفرقين شيا قط حيث اصابهم ما ساهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثنا منقطع على معنى
ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله
لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغنى عنكم وعلمه بان القدر
لا يغني عنه الحذر اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا
اخونا قد جيناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي
فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مايدة فبقي بنيامين وحده
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مايدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين
منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رايحته
حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماهم من اسم اخ لي
هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له

اني انا اخوك يوسف فلا تبتيس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى
قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه
وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتيس بما كنت تلقى منهم
من الحسد والاذى فقد امنتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت
اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك
الى ما يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك
بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقي
بها وهي الصواع قيل كان يسقي بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت
الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت انا مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي
المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة
بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن موذن
ثم نادى مناد يقال اذنته اعلمته واذن اكثر الاعلام ومنه الموذن لكثرة ذلك
منه روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا
وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب
وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير
واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب
العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف
جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه
امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن موذن وقرا عبد الرحمن السلمي تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرى صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد
وضمها والعين معجمه وغير معجمه وانا به زعيم يقوله الموذن يريد

وانا بحمل البعير كفيل اودّيه الى من جاء به واراد به وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصّله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم
فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلايل دينهم وامانتهم في كرّتي مجيئهم ومداخلتهم
للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم ملعومة لئلا يتناول زرعا وطعاما لاحد
من اهل السوق ولانهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوا في رحالهم وما كنّا سارقين
وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع
اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادّعائكم البراءة منه قالوا
جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق
في آل يعقوب ان يسترقّ سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو
جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد
ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من
استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره
على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو
فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه
من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول
فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف
اي المسؤل عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول
من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء
مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم
فانصرف بهم الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة
حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر

في رحله

في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء
اخيه بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن جبير اعاء اخيه فقلب الواو همزة
فان قلت لم ذكّر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا
رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف
كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية
وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف
يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد
وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي
ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشية الله
واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ
يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في
علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى فان قلت
ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان
وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه
ان كنتم كاذبين هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم
لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك
القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض
التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق
لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب
هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع
دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا لتتخلص من جلدها

قلت صح

ولا بحث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق
الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف
مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها
وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من
رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت
فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع
فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة
فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل
دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت
في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم منطقة يتوارثها
اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف
وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه
منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت
انه لي سلم افعل به ما شيت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها
اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم
شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر
الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا
لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير
يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم

سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي
ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب
وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه
بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه
بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه
ظاهره انه وجب على قضيتكم فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده
فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه
ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها
في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي
ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر
الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله
ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم
والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر
ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه
ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف
ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية
قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ويعني خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس
خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة
بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا مناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم
فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم

في تدبير امرهم على اى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل يهوذا
وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراى وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه
ان يكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او ان
يكون ما مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل
ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا
وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في
يوسف وان يكون موصوله بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قدمتموه في حق
يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لى ابى في الانصراف اليه او يحكم الله لى
بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخى او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرى سُرِّق اى نسب
الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع
استخرج من وعائه ولا شى ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه
سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف
ومن قرا سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب
للامر الخفى حافظين اسرق بالصحة ام دُسَّ الصاع في رحله ولم يشعر القرية
التى كنا فيها هى مصر اى ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التى
اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل
من اهل صنعا معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال
بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق

يوخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره
انه هو العليم بحالى في الحزن والاسف الحكيم الذى لم يبتلنى بذلك الا لحكمة ومصلحة
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظى الاسف و
يوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض
ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا واعن
النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد صلعم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع
وانما قال يا اسفا فان قلت ــــــ كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون
الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت ــــــ هو دليل
على تمادى اسفه على يوسف وانه لم يقع فايت عنده موقعه وان الرزء
فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم ننسى او في المصيبات بعده
ولكن نكا القرح بالقرح اوجع ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته
التى ترتبت عليها الرزايا في ولده وكان الاسف عليه اسفا على من لحق به
وابيضت عيناه اذا اكثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى
بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرى من الحزن
ومن الحزن الحزن كان سبب البكا الذى حدث منه البياض وكانه حدث من الحزن
قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقايه ثمانين عاما
وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد
ثمانين ثكلى قال فما كان له من اجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط

فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت
الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدايد من الحزن ولذلك حمل صبره وان يضبط
نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع
المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب
وعن النبي عليه السلم انه بكى على بعض ولد بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكا فقال ما نهيتكم عن البكا وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند النوح وعن الحسن انه بكى على ولد غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت
الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملو من الغيظ على اولاده
ولم يظهر على ما يسوهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقا
اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظا مخرج النفس يقال اخذ بالظامه تفتؤا اراد
لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد
من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن
مجاهد لا تفتؤ من حبه كانه جعل الفتو والفتور اخوين يقال ما فتى يفعل قال
اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا
على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه
مصدر والصفة حرض بكسر الرا ونحوها دنف ودنف وجات القراة بهما جميعا
وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات وجل جنب وغرب البث اصعب
الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره واثبه
اياه يعني انما اشكو بثي لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له
وملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية

اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت
من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه
يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا
سيل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى اليه انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم
شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الى الانبيا ثم المساكين فاصنع
طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى
عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه
ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك الموت في منامه فساله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن حزني بفتحتين
وحزني بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما
وقرى بالجيم كما قرى بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس
عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا المشاعر الانسان الحواس والجواس
من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي
من رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح
تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة
الخضرا وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا يوخذ الا بوضيعة
فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة و
الاغماض عن رداة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه
صدقة لان الصدقات محظورة على الانبيا وقيل كانت تحل لغير نبينا
صلى الله عليه وسلم وسيل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا

اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم
ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه له ان الله يجزي
المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها
المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله
تعالى لا يتصدق وانما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي
او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين فكان حكيما موفقا فكلمهم مستفهما
عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني
هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو اليه والى الاستقباح
والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين
لا معاقبة ولا تثريبا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي ينفث فيه
المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور
فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها
وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم
ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد
السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روي انه لما قالوا مسنا
واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا
اليه كتاب يعقوب عليه السلم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت
النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله

معاتبة

واما

واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم
اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي
عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام
فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه
لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب ان اباءك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر
كما ظفروا فان قلت ما فعلتم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل
بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم
الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قرئ اينك على الاستفهام وانك
على الايجاب وفي قراءة ابي ابنك او انت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر
الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت راوا في روايه وشمائله
حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن
حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك
فعرفوه بثناياه وكانت كاللولو المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه
فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء
فان قلت قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه
كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه
من يتق من خاف الله وعقابه ويصبر على المعاصي وعلى الطاعات فان الله
لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين

لقد آثرك الله علينا اى فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا
وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك واذلنا
بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب
وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتفريع
ازالة الجلد والفرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذى
ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجه فان قلت
بم تعلق اليوم قلت ـــــ بالتثريب او بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار
او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره
من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بالمغفرة لما فرط منهم يقال
غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا ومنه قول المشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله
لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى ان رسول الله اخذ بعضادتى
باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ خير
وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم
وروى ان ابا سفين لما جاء ليسلم قال له العباس فاذا اتيت الرسول فاتل عليه
لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك
ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة
وعشيا ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان
ملكت فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت فى العيون حيث علم
الناس انكم اخوتى وانى من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصى قيل هو القميص

المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله فان فيه
ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى يات بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار
ويشهد له فارتد بصيرا او يات الى وهو بصير وينصره قوله واتونى باهلكم اى يات ابى
ويات اهله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا
بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل
من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس ولما انفصل العير
قال ابوهم لولده ومن حوله من قومه انى لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح
القميص حين اقبل من مسيرة ثمانين والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار
العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات
راى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى لفى ضلالك القديم
لفى ذهابك عن الصواب قديما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص
على وجه يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد
وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف وقوله
ولا تياسوا من روح الله وقوله انى اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولك
ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا
تعلمون وروى انه سال البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك
على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر
لكم قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به
وقت الاجابة وقيل ليعرف حالهم فى صدق التوبة واخلاصها وقيل

اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
فى نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال
اللهم اغفر جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما اتوا الى اخيهم
فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروى انهم قالوا له وقد غلبتهم الكابة
ما يغنى عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالوحى فلا قرت لنا عين ابدا
فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة
خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله
قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومايتى راحلة ليتجهز اليه
بمن معه وخرج يوسف والملك فى اربعة الاف من الجند والعظما واهل مصر باجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشى ويتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا
اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب
الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت على حتى ذهب
بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال
بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون
ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستماية الف وخمسماية
وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومايتى الف
اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه حيا وقيل هما
ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما
لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله تعالى واله ابائك
ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ـــــ ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر

قلت

قلت ـــــ كانه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه
وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ولما دخل مصر وجلس فى
مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له
سجدا يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج فى قبة من
قباب الملوك التى تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة
فاواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت
بم تعلق المشية قلت ـــــ بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم
بالامن فى دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا فى دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك
للغازى ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن
مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله
دخلتم امنين ثم حذف الجزا لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين
الحال وذوى الحال ومن بدع التفاسير قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير
وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربى فى كلام يعقوب وما ادرى
ما اقول فيه وفى نظايره فان قلت ـــــ كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله
قلت ـــــ كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس
من افعال شهرت فى التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحنا دون تعفير
الجباه وخرورهم سجدا يا باه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله
شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اسا اليه وبه قال
اسيئى بنا او احسنى لا ملومة من البدو ومن البادية لانهم كانوا اهل عمد
واصحاب مواش ينتقلون فى المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله

نحس التايض الدابة وحمله على الجرى يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف
لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجى على وجه الحكمة والصواب وروى
ان يوسف عليه السلم اخذ بيد يعقوب فطاف به خزاينه فادخل خزاين الورق
والذهب وخزاين الحلى وخزاين الثياب وخزاين السلاح وغير ذلك فلما ادخله
خزانة القراطيس قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان
مراحل قال امرنى جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل
الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتنى روى ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه فى الشام الى جانب ابيه
اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة
فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدايم الخالد فتاقت
نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا
طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاجروا فى دفنه كل يحب ان يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال
فراوا من الراى ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان
يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم
وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة
من العماليق بعده مصر وطم بنو اسرايل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف
وابايه الى ان بعث الله موسى من فى من الملك ومن من التاويل للتبعيض
لانه لم يوت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل
انت وليى انت الذى يتولانى بالنعمة فى الدارين وبوصل الملك الفانى بالملك
الباقى توفنى مسلما طلب الوفاة على حال الاسلام وان تختم له بالخير
والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون

عسا

تمنيا للموت على ما قيل والحقنى بالصالحين من آبائى او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان
ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك
خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفى حيوتك خير وراحة المسلمين فقال افلا اكون كالعبد
الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفنى مسلما والحقنى بالصالحين فان قلت
علام انتصب فاطر السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد
حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف موصولا بمعنى الذى والخطاب
للرسول عليه السلم ومحله الابتداء وقوله من انباء الغيب صلته نوحيه اليك خبران
ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذى ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا
النبأ غيب لم يحصل ذلك الا من جهة الوحى لانك لم تحضر بنى يعقوب حين اجمعوا امرهم
وهو القاؤهم اخاهم فى البير لقوله واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب وهذا تهكم
بقريش ومن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث
واشباهه ولا لقى فيه احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقص هذا
القصص العجيب الذى اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة فى انه ليس منه وانه من جملة
الوحى فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون انه لم يكن مشاهدا لمن مضى
من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون
بيوسف ويبغون له الغوايل وما اكثر الناس يريد العموم ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
وعن ابن عباس اراد اهل مكة اى وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم
لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك
منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر الا عظة
من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسل الله من آية
من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها

وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرى والارض بالرفع على الابتدا ويمرون عليها
خبره وقرا السدى والارض بالنصب على ويطوون الارض ويمرون عليها وفى مصحف
عبدالله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة
وغير ذلك من العبر وما يومن اكثرهم فى اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات
والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك
وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم
وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجلهم وقيل الصواعق هذه سبيلى هذه
السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران
ويونثان ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اى ادعوا الى دينه
مع حجة واضحة غير عميا وانا توكيد للمستتر فى ادعوا ومن اتبعنى عطف
عليه يريد ادعوا دينه مع حجة اليه انا ويدعوا اليها من اتبعنى ويجوز ان يكون
انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعنى عطفا على انا اخبار مبتدا بانه
ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا
من ادعوا عامله الرفع فى انا ومن اتبعنى وسبحان الله وانزهه عن الشركا
الا رجالا لا ملئكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملئكه وعن ابن عباس يريد
ليست فيهم امراة وقيل فى سجاح المتنبية ولم يزل انبيا الله ذكرانا قرى نوحى
بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفا والقسوة
ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا الله
فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرى افلا تعقلون بالتا والياء حتى متعلقة بمحذوف
دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا
استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبهم انفسهم حين حدثتهم

بانهم

اسست بيننا نطوف بها
انتهى

بانهم ينصرون او رجاوهم لقولهم رجا صادق ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب
والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتامله قد تطاولت عليهم وتمادت
حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم فى الدنيا فجاهم نصرنا فجاة من
غير احتساب وعن ابن عباس فظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما
وعدهم الله من النصر وقيل كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بها الظن
ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس
على ما عليه البشرية واما الظن الذى هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فغير
جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم
وانه متعال عن خلف الميعاد ومنزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوا اى اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل
اى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرى كذبوا
بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب
والنصرة عليهم ولم يصدقوهم قرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البنا
للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة
اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم
انكم قد كذبتمونا فيكونوا كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان
الرسل قد كذبوا ولو قرى بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم فى موعدهم قرى فننجى بالتخفيف او التشديد من انجاه ونجاه
فنجى على لفظ الماضى المبنى للمفعول قرا ابن محيصن فنجا والمراد من نشا
المومنون لانهم الذين يستاهلون ان يشا نجاتهم وقد بين ذلك بقوله

ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وتنصره قراءة من قرا
في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت
فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر قلت الى
القرآن اى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه اى قبله
من الكتب السماوية وتفصيل كل شى يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذى
يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد دلالة العقل وانتصاب ما انتصب
بعد ولكن للعطف على خبر كان وقرى ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق
الذى بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقايكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون
عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مائة خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اى تلك الآيات
ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذى انزل اليك من القرآن
كله هو الحق الذى لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام
قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها يريد الجملة
الله مبتدا والذى خبره بدليل قوله وهو الذى مد الارض ويجوز ان يكون
صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من
ذكر الايات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد
برؤيتهم لها وقيل هى صفة لعمد ويعضده قراءة من قرا ابى ترونه وقرى
عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل اياته فى كتبه

المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه
وقرا الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع
الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل
اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما
اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشى الليل النهار يلبسه مكانه
فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرى يغشى بالتشديد قطع
متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى
على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر
مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع
والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهى تسقى
بماء واحد وتراها متغايرة الثمرة في الاشكال والالوان والطعوم والروايح
متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرى
وجنات بالنصب للعطف على زوجين وبالجر على كل الثمرات وقرى وزرع
ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهى النخلة
لها راسان واصلهما واحد وقرى بالضم فالكسرة لغة اهل الحجاز ولغة
بنى تميم وقيس يسقى بالياء والتاء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل
والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من
قولهم في انكارهم البعث فقولهم عجب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر
على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الاعادة
اهون شى عليه وايسره وكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ايذا كنا ترابا

علمه

[illegible]

الى آخر قولهم تجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبًا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصفهم بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحو لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك لانهم سالوا رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء السيئة سيئة مثلها يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرى المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكباير او الكباير بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى انها لما نزلت قال رسول الله صلعم لولا عفو الله و تجاوزه لما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلم من انقلاب العصا حية واحيا الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرًا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك

الا

الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والايات كلها سوا في صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى كل شى عنده بمقدار يعطى كل نبى اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعًا واحدًا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولقوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه وتقديره الاشيا على قضايا حكمته ان اعطاه كل منذر آيات خلاف ايات غيره او مدبر بالعلم النافذ مقدرًا بالحكمة الربانية ولو علم اجابتهم الى مقترحهم خيرًا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثانى فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره والله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما فيما تحمل وما تغيض الارحام وما تزداد اما موصوله واما مصدرية فان كانت موصوله فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اى حال من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيض الارحام اى ينقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اى ما تاخذه زايدا تقول اخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل

على واحد وقد يشتمل على اثنين وثلثه واربعه ويروى ان شريكا كان رابع اربعة
في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته
فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابى حنيفة والى اربع
عند الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان
بقى في بطن امه اربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر
وان كانت مصدرية فالمعنى لم يعلم بها كل حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها
لا يخفى عليه شى من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في
الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير
متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك
والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض يكون سقطا لغير تمام
والازدياد ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شى خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذى كل شى دونه المتعالى
المستعلى على كل شى بقدرته او الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها
سارب اى ذاهب في سربه بالفتح اى في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض
سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اى طلب الخفاء مختبئا بالليل اى
في ظلمته ومن يضطرب في الظلمات ظاهرا بالنهار ويبصره كل احد فان قلت
كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار
حتى يتناول معنى الاستواء المستخفى والسارب والا فقد تناول واحدا هو
مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف
على من هو مستخف لا على مستخف والثانى انه عطف على مستخف
الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل

سوآء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من
كانه قيل لمن اسر ولمن جهر ولمن استخفى ولمن سرب معقبات جماعات
من الملائكة يعقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء
في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر
العين ولم يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال
قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به يحفظونه
من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل
له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اى من اجل ان الله امرهم
بحفظه والدليل عليه قراءة على وابن عباس وزيد بن على وجعفر بن محمد وعكرمة
يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم
له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اى من قضاياه و
نوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض
من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصى من
وال ممن يلى امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكون مفعولا
لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف
اى ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكون
منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف
وطمع او من المخاطبين اى خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع

ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرتجى الحيا منه وتخشى الصواعق وقيل
يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له
بيت يكف ومن البلد مما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه
من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال
جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امراة كريمة
ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد
من العباد الراجين المطر حامدين له اي يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي
عليه السلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي سبحان
من سبحت له اذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت
النبي عليه السلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكة يوكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله
ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملايكة والبرق زفرات
افيدتهم ايديهم والمطر بكاؤهم والملايكة من خيفته وتسبيح الملايكة
من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي
عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني
الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا اياته يجادلون في الله حيث
ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث واعادة الخلايق
بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء
والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملايكة بنات الله

جدالهم

جدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب به
من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل
قاصدين لقتله رمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من
حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف
له استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى
السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه
شديد المكر والكيد لاعدايه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون
وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال
ومنه احول من ذيب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار
ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه
احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع
بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار
عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف
الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك
كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل
من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي
الداعي سواله ان كان مصلحة له وكانت دعوته ملابسة للحق لكونه حقيقا
بان يعطى يوجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف

ما لا ينفع ولا يجدى دعاوه والثانى ان يضاف الى الحق الذى هو الله عز
وعلا على معنى دعوة المدعو للحق الذى يسمع ويجيب وعن الحسن الحق
هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ______ ما وجه ايصال هذين
الوصفين بما قبله قلت ______ اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته
بالصاعقة محال من الله ومكر به حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت
فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة
على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله
ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من
دون الله لا يستجيبون لهم بشى من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه اى كاستجابة باسط كفيه الما من بسط كفيه
اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاوه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعون
من جماد لا يحس بدعايهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم
وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعايهم لالهتهم بامرى اراد ان يغرف
الما بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم يلق كفاه منه شيا
ولم يبلغ طلبته من شربه وقرى يدعون بالتا كباسط بالتنوين الا فى ضلال
الا فى ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة
لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اى ينقادون لاحداث ما اراده فيهم
شاوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وينقاد له ظلالهم ايضا حيث
يتصرف على مشيته فى الامتداد والتقلص والزوال فى بالغدو والايصال

من

من آضلوا اذا دخلوا فى الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم
لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا
الله لقوله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله
وهذا كما يقول المناظر لصاحبه هذا قولك فاذا قال هذا قولى قال هذا قولك
فيحكى اقراره تقريرا له عليه واستثباتا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا
القول كيت وكيت ويجوز ان يكون بهذا القول تلقينا اى ان لقوا عن الجواب
فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اوليا
بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اوليا فجعلتم
ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها
او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموه على
الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى
الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركا يعنى انهم لم يتخذوا لله شركا خالقين
قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر
هولاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له
شركا ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له
شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شى
ولا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك فى العبادة وهو الواحد
بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله
للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور
مثلا لهما فمثل الحق واهله بالما الذى ينزله من السما فتسيل منه اودية الناس

فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى موضع الحلى منه
واتخاذ الاوانى والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذى فيه الباس الشديد
لكفى به وان ذلك ماكث فى الارض باق بقا ظاهرا تثبت الما فى منابعه وتبقى اثاره
فى العيون والابار والحبوب والثمار التى تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر
تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله
وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه
اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر
لا ياتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فتسيل بعض اودية الارض دون بعض
فان قلت فما معنى قوله تعالى بقدرها قلت بمقدارها الذى
عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس
لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف (المهلك) فان قلت فما فايدة
قوله ابتغا حلية او متاع قلت الفايدة فيه كالفايدة فى قوله بقدرها
لانه جمع الما والفلز فى النفع فى قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم
من الما والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية
والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه فى النار ابتغا حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز مع اظهار الكبريا فى ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك
ونحو ما جا فى ذكر الاجر او وقد لى يا هامان على الطين ومن لابتدا الغاية اى
ومنه ينشا زبد مثل زبد الما او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا اى منتفخا
مرتفعا على وجه السيل جفا جفاه السيل اى رمى به وجفات القدر بزبدها
واجفا السيل واجفل وفى قراة روبة العجاج جفالا وعن ابى حاتم لا يقرا بقراة روبة

لانه

لانه كان ياكل الفار ويروى يوقدون بالياء اى يوقد الناس للذين استجابوا
اللام متعلقة بيضرب اى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا
والكافرين الذين لم يستجيبوا اى هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
اى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا فى ذكر ما اعد لغير المستجيبين
وقيل تم الكلام عند قوله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى كلام مبتدا
خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدا خبره لو وما فى حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعى ان يحاسب
الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شى دخلت همزة الانكار على الفا فى قوله افمن
يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل فى ان حال من علم ان ما انزل اليك
من ربك فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد
ما بين الزبد والما والخبث والابريز انما يتذكر اولو الالباب اى الذين عملوا
على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا
واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه واولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولى الالباب والاول
اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل
ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام
والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة
المومنين الثابتة بسبب الايمان انما المومنون اخوة بالاحسان اليهم
على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم

وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم
وشهود جنايزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر
وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل ان جماعة دخلوا عليه
بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان فقال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم
واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين
ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصايب في النفوس
والاموال ومشاق التكاليف وابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل
واوقره عند الزلازل ولا لكيلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طايل تحت الهلع ولا مرد فيه للفايت كقوله
ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن
ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل
مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية
يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرايض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي الله عنه يدفعون
بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا
واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل
اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي
اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار
وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح
فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرا ابن ابي عبلة

صلح

صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال
الصالحة واباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابايهم وامهاتهم سلام
عليكم في موضع الحال لان المعنى قايلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت
بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا
الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم
والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس بدنا
وعن النبي عليه السلام انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد
سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها
عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره
وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا
نعيم الاخرة ليس الا شيئا وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا
شيئا نزرا يتمتع كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة من سويق او نحو ذلك
فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله قل ان الله
يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك
ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي
قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوا
كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم
ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على الكفر ان الله يضل من يشاء من كان

على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان انزلت
كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته
دخل في نوبة الخير الذين آمنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله
برحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته
او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها
الذين آمنوا مبتدا وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير
حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب
والرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة
في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لك للبيان
مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم بكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل
بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال يعني ارسلناك ارسالا
له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت
من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم
وانت خاتم النبيين لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب
العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة التي وسعت
رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم
وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد
المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على

مصابرتكم

مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك
لو اني قلت وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال و
ضعضعت وزلزلت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع
قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير
ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا تعظيما فسرت به قوله لتتلو عليهم
الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وقيل
معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى
وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله سير بقرآنك الجبال
عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت
نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا الريح لنركبها ونتجر
الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز البعيدة كما سخرت
لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب
فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها
وعن الفراء هو متعلق بما قبله فنزلت والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد
وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر
جميعا فيه معنيان احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو القادر على الآيات
التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفها والثاني بل لله
ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار

ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشية الالجاء والقسر
لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع
وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه اياه لان الآيس عن الشيء
عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك
لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني
الم ييأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس
وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السنان وهذا ونحوه مما لا
يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي
اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن
جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي
عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله
بآمنوا على اولم يقنط عن الايمان من هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولهديهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا
والمصائب في انفسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون
ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتي
وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل لا يزال كفار مكة تصيبهم
بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله
كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب

من

من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية
حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال
وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا
وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية
له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو
قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ والعطف عليه
وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا له
وهو الله الذي يستحق العبادة شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له
من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك
للرجل من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم
في الارض وهو عالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء
يتعلق بهم العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا
يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم
بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج
واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق
انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن
الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله
ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته

لهم عذاب في الحيوة وهو ما ينالهم من القتل والاسر وساير المحن ولا يلحقهم الا عقوبة
لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم
من جهته من واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتدا والخبر محذوف على مذهب سيبويه اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة
وقال غيره الخبر تجرى من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا
بما نشاهد وقرا امثال الجنة على الجمع اى صفاتها اكلها دايم كقوله لا مقطوعة
ولا ممنوعة وظلها دايم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا من الشمس والذين آتيناهم الكتاب
يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة وهولاء يفرحون
بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام
والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت
رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع فان قلت ـــــ كيف اتصل
قوله انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت ـــــ هو جواب المنكرين معناه
قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به وانكارهم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعايكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك وقرا نافع في رواية
ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به
ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به
اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون

مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه
بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة
عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله
الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل
له لين تابعتهم على دين ما هو الا اهوا وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين
والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا
من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه
وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلعم
من شدة الشكيمة بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون
ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل
كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات
ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرايع مصالح تختلف باختلاف الاحوال و
الاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اى يفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم
يمحو الله ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى من المصلحة في اثباته
او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة
لانهم مامورون بكتبه كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر الكافرين
ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلايق
ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها
والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ
لان كل كاين مكتوب فيه وقرى ويثبت واما نرينك وكيف ما دارت الاحوال
اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك

قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاوهم
على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض
ننقصها من اطرافها ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم
فننقص دار الحرب ونزيد دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه
افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا
في الآفاق والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه
ونتم ما وعدناك من الظفر فلا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي
لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها
بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشي فيبطله وحقيقته
الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه
يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت
ما محل قوله ولا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على
الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني بلا عمامة على راسه
ولا قلنسوة تريد حاسرا قد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل
مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره قال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله
يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب
كل نفس واعد لها جزاوها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون
وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والذين كفروا
والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافرون

من

من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم
الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت
لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون
بنعته في كتبهم وقيل هو الله تعالى والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن
لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا
يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وبعضد قراءة
من قرا ومن عنده علم الكتاب على الجارة اي من لدنه علم الكتاب لان علم
من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة علم
على البناء للمفعول وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع
علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة ويرتفع العلم
بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع او على في شبه الفعل
لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقوله مررت بالذي في الدار اخوه
فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع
عنده فيها صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابراهيم احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات والظلمات
والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف

والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين
استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل
الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد
لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى يحق له
العبادة كما غلب النجم فى الثريا وقرى بالرفع اى هو الله الويل نقيض الوال وهو
النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب
نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام
عليكم ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل
فان قلت ــــــ ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت
لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون وا ويلاه
كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدا خبره اولئك فى ضلال بعيد
ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعنى
الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو
استفعال من المحبة لان المؤثر للشى على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرا الحسن ويصدون بضم اليا وكسر الصاد
يقال صده عن كذا واصده قال ــــــ انا اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة
فيه داخلة على صد صدودا لنقله من غير التعدى الى التعدى واما صده
فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء
استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا
ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها ناكبة عن الحق
غير مستوية والاصل فيبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل فى ضلال بعيد

اى

اى ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت ــــــ فما معنى
وصف الضلال بالبعيد قلت ــــــ هو من الاسناد المجازى والبعد فى
الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول
جد جده ويجوز ان يراد فى ضلال ذى بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اى ليفقهوا عنه ما
يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به
كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت ــــــ
لم يبعث رسول الله الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس كافة قل
يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة
فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم الحجة فلو نزل
بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت ــــــ لا يخلو اما ان ينزل
بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة
تنوب عن ذلك وتكفى عن التطويل فبقى ان ينزل بلسان واحد وكان اولى الالسنة
لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل
عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من
نيابة التراجم فى كل امة من امم العجم مع ما فى ذلك من اتفاق اهل البلاد
المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة
على كتاب واحد واجتهادهم فى تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر فى اتعاب النفوس وكد القرائح من
القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف
والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين

كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلاً بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم
الرسول العربي كل امة برسولها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم لكان معجزاً
لكان ذلك امراً قريباً من الالجآء ومعنى قوله بلسان قومه بلغة قومه وقرئ
بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة
او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد
ورووه عن الضحاك ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلسان قومه
وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيودي الى ان الله
تعالى انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل
الله من يشآء ويهدي من يشآء كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لان الله لا يضل
الا من يعلم انه لا يومن ولا يهدي الا من يعلم انه يومن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية
عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا
اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج
لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون
ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون
معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سوآء في الفعلية والدليل
على جواز ان تكون ان الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا
عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج وذكرهم بايام الله وانذرهم
بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام
العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها
وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه

ظلل

ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك
القرون لكل صبار شكور يصبر على بلآء الله ويشكر نعماوه فاذا سمع بما انزل الله من البلآء
على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر
وقيل اراد لكل مومن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم واذ انجاكم
ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت
هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى
الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه
وان كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين
الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليك فان جعلته صلة لم يكن
كلاماً حتى يقول فايضة او نحوها والا كان كلاماً ويجوز ان يكون اذ بدلاً من نعمة الله
اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة
يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق
قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب
وبياناً له وحيث اثبت جعل التذبيح كانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه
زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل الفرعون
بلآء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلآء
من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجآء وهو بلآء عظيم والبلآء
يكون ابتلآء بالنعمة والنقمة جميعاً قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وقال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلآء الذي يبلو
تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين
تاذن ربكم ومعنى تاذن اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل

وانتصابه عطف على قوله نعمة الله عليكم كانه [illegible]
[illegible] واذ قال موسى لقومه صح

ولا بد من تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا
ينتفي عنه الشكوك وتنزاح الشبهه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم لازيدنكم
واجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراة ابن مسعود واذ قال ربكم
لئن شكرتم يا بني اسرايل ما خولتكم من نعمة الانجا وغيرها من النعم والايمان
الخالص والعمل الصالح لازيدنكم النعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم ولئن كفرتم
وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا
انتم يا بني اسرايل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي
لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد
بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم
على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم
عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون بطنا لا يعرفون
وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون
علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا وضجرا مما جات به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او ضحكا واستهزا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم
الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابه
لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم
في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على
افواههم يقولون للانبيا اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبيا
يشيرون الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم

سكلمون

سكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اوردوا نعم الانبيا التي
هي اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع والايات في
افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها
الى حيث جات منه على طريق المثل تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرى تدعونا
بادغام النون مريب موقع من الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي
قلق النفس وان لا تطمين الى الامر افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور
الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان
ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني فان قلت ما معنى
التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جا هكذا الا في خطاب
الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله
وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المومنين هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم الى قوله يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك
عليه الاستقرا وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يستوي بين الفريقين
في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين
العباد من المظالم ونحوها ويوخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه الله
وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم
ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة
دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم
الملايكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاتهم رسلهم بالبينات والحجج
وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم

ليغفر لكم ... دعوته لما ... [illegible]
دعوت لما ... [illegible]

تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء
ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة
الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصايص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله
ارادوا ان الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر
يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل
وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا على الله
في الصبر على معاندتكم وعذر لنا في ان لا نتوكل على الله وقد هدانا فلو قد فعل بنا
ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه
سلوكه في الدين فان قلت ———— كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا
من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على
ذلك فان قلت ———— كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت ———— معاذ الله
ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلامهم كثرة فاشية لا يكاد تسمعهم
يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا
به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن
الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه
وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة
ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم
ونحوه قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها

اى مقام الجلال منى

واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي عليه السلام من آذى جاره ورثه الله داره
ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها
ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي
يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت
قول رسول الله وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله به
من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي
موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم
القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى
ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على
اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء
بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو
معطوف على اوحى اليهم وقرى واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن
اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار
عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل
واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب
كل جبار عنيد ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه وقال ————
عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو
في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله
في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت ———— علام عطف ويسقى
قلت ———— على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى
من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله وياتيه الموت من كل مكان

وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت
صديد عطف بيان لماء ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو
ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد
للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها
لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت
واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه
من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن
ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله
واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة
فاستفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة
رسول الله فلم يسقوا فذكر الله سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد
وانه يسقى في جهنم بدل سقياه من ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا
على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل مبتدأ
محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل
مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال
سائل يقول كيف مثلهم وقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين
كفروا وهذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا
على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف
لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة اي ساكنة
وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت

لهم

لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين
وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير
اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف
لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر
من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق
الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا
شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس
ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على
اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على ايجاد الشيء وضده وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك
اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم
في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على
قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه
ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي
لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب النار
واصحاب الجنة ونظائر له والمعنى وبرزهم الله والله لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له
انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف
على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى
عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت
لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم

الالف قبل الهمزة فيميلونها الى الواو ونظيره علموا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع
والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم
خادم وخدم وغايب وغيب او ذي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت
اي فرق بين من في قوله من عذاب الله وبينه من في شي قلت الاولى للتبيين
والثانية للتبعيض كانهم قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشي الذي هو عذاب الله
ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شي وبعض عذاب الله
اي بعض بعض عذاب الله فان قلت ما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم
قلت الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون
على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم
الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله
كما حكى الله تعالى عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شي يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه
قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم
الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي
لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا
او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا

فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به
من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها
يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر والامر من ذلك
اطم ولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه اقناطا
من النجاة فقالوا ما لنا من محيص من منجا ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون
من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله
ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا
كالمبيت والمضيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الامر
لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة
ودخول الاخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء
من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق والجزاء على الاعمال
فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجيكم اليها الا ان
دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم
بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان
هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين
ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني
ولا انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول
الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان القول منه باطلا

لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طايل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام
الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق
والصدق وفى قوله وما كان لى عليكم من سلطان وهو مثل قوله تعالى ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى
لا ينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرى بمصرخى
بكسر اليا وهى ضعيفه واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا فى
قالت له ما انت بالمرضى وكانه قدر يا الاضافة ساكنة وقبلها يا ساكنة فحركها
بالكسر لما عليه التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافة لا تكون الا
مفتوحة حيث قبلها الف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها يا فان قلت
جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت ساكنة
بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن
ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر يتضال اليه القياس
ما فى بما اشركتمونى مصدريه ومن قبل متعلق باشركتمونى يعنى كفرت اليوم
باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون
بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبريه منه واستنكاره له لقوله انا برآء منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة
اى كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذى اشركتمونيه وهو الله عز وجل
تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اى جعلنى له شريكا
ونحو ما هذه ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله
طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا
آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله تعالى ويحتمل ان يكون من جملة

قول

قول ابليس وانما حكى الله تعالى ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين
فى النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا
فى انفسهم ذلك المقام الذى يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا
ما يخلصهم منه وينجيهم قرى ولا يلوموني بالياء على طريق الالتفات كقوله
حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله
عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل
على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اى
ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت بم يتعلق
فى القراة الاخرى وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت
الوجه فى هذه القراة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اى تحيتهم فيها
سلام باذن ربهم يعنى الملائكة يحيونهم باذن ربهم الم تر ساكنة الرا
كما قرى ومن يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه
كلمة طيبة نصب بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير
لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الله الامير زيدا كساه حلة
وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اى ضرب كلمة
طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انه خبر مبتدا
محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة اصلها ثابت يعنى فى الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها
على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها
فان قلت اى فرق بين القراتين قلت قراة الجماعة
معنى اقوى لان فى قراة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت

برجل ابوه قايم فهو اقوى معنى من مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه
انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنه
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس
شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة و
شجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر ان رسول الله صلعم
قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن من شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس
في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان
اقولها وانا اصغر القوم وروى مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت
قلتها لكان احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله الا انها النخلة وعن
ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود
ولم يرد المظلة لقولك في الجبل طويل في السماء يريد ارتفاعه وشموخه
توتي اكلها كل حين يعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها
بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام
وتذكير وتصوير المعاني كشجرة خبيثة لمثل شجرة خبيثة اي صفتها وقرى
ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل
كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار في مقابلة
قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث
اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجه فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى
انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الحق ابلج والباطل لجلج وعن قتادة

انه لقيل عن بعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض
مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة
القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه
فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في
دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود الذين نشروا بالمناشير
ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما
وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سيلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم
ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم احوال الحشر وقيل معناه الثبات
عند سوال القبر وعن البرا بن العازب ان رسول الله ذكر قبض روح المومن
فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين لم يتمسكوا بحجة
في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون
اباهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا
يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شي وهم في الاخرة
اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي يوجبه الحكمة لان مشية الله
تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم
وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم
عند زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها
الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر

وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم
التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما
كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر
بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم
بمحمد عليه السلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم
الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم
بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك اسروا وقتلوا يوم بدر
فذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما
واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه
واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم
على دار البوار عطف بيان قرى ليضلوا بفتح اليا وضمها فان قلت
الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت
لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جيتك
لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب
تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره
ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا
يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم
عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان
والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف
لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة

وانفقوا

وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا
ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي
هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتدا بحذف اللام لم يجز
فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اى ذوى
سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتي سر وعلانية او على
المصدر اى انفاق سر وعلانية والمعنى اخفا المتطوع به من الصدقات والاعلان
بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف
اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم
في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة
الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله
خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى
فلا يفعله الا المومنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه
ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم
من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرى
لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان
للرزق اى اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول
اخرج لانه في معنى رزق بامره بقوله كن دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما
ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر
لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سالتموه من
للتبعيض اى آتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا في مصالحكم وقرى من كل بالتنوين
وما سالتموه نفي ومحله النصب على الحال اى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه

ويجوز ان يكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يصلح
احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه وطلبتموه بلسان الحال لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على
الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه احد ولا يعلمه الا الله لظلوم كفار يظلم
النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم
والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني البلد الحرام زاده امنا وكفاه كل باغ
ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن فان قلت اى
فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت
قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا
يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني
وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني
شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب
عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام
فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا
حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب
ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس
فاعوذ بك ان يعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا
بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها

وغروا

وغروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اى هو بعضي
لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اى ليس بعض المؤمنين
على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له
ما سلف من عصيانه اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني
فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي
مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج
بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل البيت المحرم
لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل
ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم
عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمي عتيقا
لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم
بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم
ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمره به مساجدك ومتعبداتك متبركين
بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك
بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة
التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم
وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون
من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت
المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة
وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم ادر

فى ادويه والثانى ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة او جماعات
يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرى آفلة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوى
اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوى محارمها هوى الاجدل
وقرى تهوى اليهم على البنا للمفعول من هوى اليه واستواه غيره وتهوى اليهم
من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا ما فيه شى منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون
النعمة فى ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم
ولا شجر ولا ما لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا
يجبى اليه ثمرات كل شى رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود اصناف الثمار فيه
على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفى اى بلد من بلاد
الشرق والغرب ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع
البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية
فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا
لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا الله
طرفا من سلامة ذلك القلب السليم التا المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم
ما نخفى وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب
لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت
ارحم الراحمين بنا وانصح لنا منا بانفسنا فلا حاجة الى الدعا والطلب وانما
وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين

يدى سيده رغبة فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن
بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك
لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوايج السايلين ولكن ذا الحاجة لا يدعه
حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن
من البكا والدعا وقيل ما نخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرا بينه
وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله
امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شى
من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلم كقوله وكذلك يفعلون
او من كلام ابرهيم يعنى وما يخفى على الله هو عالم الغيب من شى فى كل مكان
ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شى ما على فى قوله على الكبر بمعنى مع
كقوله انى على ما ترين من كبرى اعلم من حيث توكل الكف وهو فى موضع الحال
معناه وهب لى وانا كبير وفى حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع
ستين سنه وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنه وقد روى
انه ولد اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد
لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة
الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر
بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها فى نفس الظافر ولان
الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربى لسميع الدعا
كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله
ما اكرمه به من اجابته فان قلت ــــــ الله تعالى يسمع كل دعا اجابه
اولم يجبه قلت ـــــ هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به

وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه
لنبي يتغنى بالقران فان قلت ـــــ ما هذه الاضافة اضافة السميع
الى الدعاء قلت ـــــ اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء
وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم
اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا
على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على
المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته
كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي اي عبادتي واعتزلكم
وما تدعون من دون الله قراءة ابي ولابوي وقراءة سعيد بن جبير ولوالدي
على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق
وقرئ ولولدي بضم اللام والواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل
جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت ـــــ كيف
جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت ـــــ هو من مجوزات
العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم
وحوا وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف
يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم
الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القايم على الرجل والدليل عليه
قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت
وثبت ضوءها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله

اسنادا

اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له
فيما سال فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق
اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب
عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطايف من ارض فلسطين فلما قال
ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا
للحرم فان قلت ـــــ يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه
رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا
قلت ـــــ ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من
المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله
ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم
بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره
على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز
ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب
عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز
ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سوال فيه وعن ابن عيينة تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه
وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في
اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل ان يقبل ببصره
على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي روسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم
لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة

ممدودة من غير تحريك للاجفان ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى
انفسهم الهوآء الخلاء الذى لم يشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب
فلان هوآء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جراة ويقال للاحمق ايضا
قلبه هوآء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هوآء لان النعام مثل فى الجبن
والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هوآء وعن ابن جريج افئدتهم
مواصفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم ياتيهم
العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنا اخرنا الى اجل قريب
ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا
فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك واريد باليوم يوم هلاكهم
بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء
الملائكة بلا بشرى وانهم ليسئلون يومئذ ان يوخرهم ربهم الى اجل
قريب كقوله لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق ولم تكونوا اقسمتم
على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى
عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا
واملوا بعيدا وما لكم جواب للقسم وانما جآء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم
ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا
لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعنى كفرهم بالبعث
كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن
الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم
لان السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديته بفى كقولك
قر فى الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه

اقام

فصل

فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا
فيها واطمانوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا
يحدثونها بما لقى الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا
ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم
وقرى وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرى
ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى
فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم
الذى استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلوا اما ان يكون مضافا
الى الفاعل كالاول على ان المعنى مكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه
بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على ومعنى وعند الله مكرهم
الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه ياتيهم به من حيث
لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم
مكرهم وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اى وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان
نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال
ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرايعه
لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان
مكرهم وقرى لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا على وعمر رضى الله عنهما
وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلى فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم

طا

عذابه

قدم المفعول الثاني على الاول قلت ـــــــ قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف
الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف
وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته
وصفوته وقرى مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن
قرا قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليايه من اعدايه يوم تبدل
الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام المعنى يوم تبدل
هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل
التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم
جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك
يبدل الله سياتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل
تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج
ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن علي رضي الله عنه
تبدل الارض من فضة والسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة
بيضا كالصحايف وقرى يوم نبدل الارض بالنون فان قلت ـــــــ كيف
قال الواحد القهار قلت ـــــــ هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعارض فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين
قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين

وقوله

وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما
ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل
الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لا في صفادا
يعض بها عظم الساق القطران فيه ثلث لغات قطران وقطران
وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطا وهو ما يتحلب من شجر
يسمى الابهل فيطبخ ويهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد
وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد
يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار
حتى يعود طلاوه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على
ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله واوعد
به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهده من جنسه ما لا يقادر قدره و
كانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمه فبكرمه الواسع نعوذ
من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرى من قطران
والقطر النحاس او الصفر المذاب والاني المتناهي حره وتغشى وجوههم
النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على
وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه
ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرى تغشى بمعنى تتغشى اي فعل بالمجرمين
ما فعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة
لانه اذا عاقب المجرمين باجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم
هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا وما وصفه من قوله

ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف
اى لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرى ولينذروا بفتح اليا من
نذربه اذا علمه واستعدله وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا
ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ابرهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبده

والله اعلم بالصواب

كتاب كشاف جلد رابع

٤ سورة الحجر والنحل وبني اسرائيل والكهف ومريم وطه
والانبياء والحج والمؤمنين

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير
القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه
قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما
بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا
على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في
تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت
او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار
وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على
مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعلت ولا يشكون
في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق
عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من
المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة
واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية
ودادتهم وانما جي بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل
حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم
فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم
يعني اقطع طمعك من ارعوايهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار
واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض

الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجي منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا
معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله
بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا
يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه
على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يودي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من
اخلاق المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين لها كتاب جملة واقعة صفة
لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاني زيد عليه ثوب وجاني
وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى
قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على
على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم قرا الاعمش يا ايها الذي القي
اليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم
للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جا في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب انك
انت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي
ان الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى
التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل
لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عودي والمعنى هلا تاتينا بالملائكة
يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة
برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون

ونصب الملئكة الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم
عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه لانكم حينئذ مصدقون
عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وقيل الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملئكة
ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات
وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ
محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل
بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا
فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت فحين كان
قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون
قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية لانه لو كان من قول البشر او
غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له
لرسول الله صلى الله عليه كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة
الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه
رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في
معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته
اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه
نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير
مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل
هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال

اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله
في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرئ
يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ
سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت
كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من
ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء
نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم
الملئكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار
ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا
للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها
شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح
فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو
الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث
ونحوها فان تصريح الياء فيها خطا والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ
معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه
قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن
لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون
فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة
مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير
المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء

ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار
معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه
قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا
تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح
الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء
الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء
وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن
الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت
لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا
من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين
في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسناء كانت في المصليات خلف رسول
الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم
اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم
انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد
احاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا
طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو
صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور
من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر
المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل

بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما
مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم
للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم
النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته
واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ
ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه
كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رايتهم
الا هندا واي استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر
عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون
مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد
لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من
الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون
لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء
او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في
كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو
عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم
عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد
ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم
الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر

الي اخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى
اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوايه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود
لادم عليه السلم فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب
بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعلى
برئ من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم
في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقها
بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك
لاغواي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي
واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعلى
اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل
من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن
مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم
بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه
يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون
منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من
اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير
للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن
ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر
لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزؤ بالتخفيف
والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي

كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوقف مجرى
الوصل المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه ومما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله
عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة
القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم يسلم عليكم الملئكة الغل
الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل
على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمن وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جا ابن طلحة فقال ل
له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال
الله تعلى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قايل كلا الله اعدل من ان يجعلك
وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من
ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب
واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة
حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ
عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن
لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة
يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب
الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم
من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله
يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح
النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة
الامن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب

مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه
قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شي
تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشي لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شي ويجوز
ان لا تكون صلة لتبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني
بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء
فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله
ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرون
بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط
بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطيون طريق الصواب
او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك
قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله الا تعالى
آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون
منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من
الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم
كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف
الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال
وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم
الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك
كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون
في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هولاء وينجوا هولاء فلا يكون

الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله
انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن
في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا
كان ابرهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت
فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير
المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شي لان الاستثناء من الاستثناء
انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد
الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي
عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط
متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء
وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله
قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصايص افعال القلوب قلت لتضمن فعل
التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلما تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت
فلم اسند الملئكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت
لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك
دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم
وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم
فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما
تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي
كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروي

صاحب الاقليد فبس من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في
النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان
قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث
الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له
بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا
يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما
منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض
له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا
عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على
المهاجرة ويطيبوا عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر
على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير
وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون
قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في
الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل
واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه
وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش إن بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال
اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم
آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي
ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من
اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون

ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين
عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد
وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم
تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف
احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته
فكانه قال هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم
لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلم لعمرك
انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين
الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون
قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وانه اقسم بحياته
وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح
لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره
لعمرك فيما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة
صيحة جبريل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين
عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب
للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها
سافلها للقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه
الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش لقوله وانكم لتمرون
عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير

للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلم كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على
مدين فجا بضميرها لباما مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق
ومطمر البنا واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحب الحجر ثمود والحجر واديهم
وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما
كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولا ثم زجر رسول
الله راحلته فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى
بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعدا وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون
ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بنا البيوت الوثيقه والاموال والعدد الا بالحق
خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزا على
الاعمال وان الساعة لاتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدايك ويجازيك واياهم على حسناتك
وسيياتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل
ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضا وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد
به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك
وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو
الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان
ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب
وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول
واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية
التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي الحم او سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني من

التثنيه وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراتها في الصلاة وغيرها او من الثنا لاشتمالها
على ما هو ثنا على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة الاية واما السور او الاسباع فلما
وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا كانها
تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او التبعيض اذا اردت
بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله كلها
مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها فان قلت
كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشي على نفسه قلت اذا
عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض
كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف واذا
عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين
النعتين وهو الثنا او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى
ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت
يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضييلة
وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمد عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث
ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا
اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر
وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في
سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا فيتقوى بمكانهم
الاسلام وينتعش بهم المومنون وتواضع لمن معك من فقرا المومنين وضعفايهم وطب

نفسا عن ايمان الاغنيا والاقويا وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب
الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون
الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا
يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة آل عمران لي ويجوز ان
يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض
التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية
لرسول الله عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم
من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا
النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما
جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار
بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر
المعضين الذين يجزئون القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام المواسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين
لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر
ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وايل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا
على ان يبيتوا صالحا عليه السلم والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت
قوله كما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما
كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية

من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على
المومنين عضين اجزا جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضا قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهتته
وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله
العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني ها لنسئلنهم عبارة عن
الوعيد وقيل يسئلهم سوال تقريع وعن ابي العالية يسئل العباد عن خلتين عما كانوا
يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تومر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة
وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تومر والمعنى بما تومر به من الشرايع فحذف
الجار كقولك امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك
مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان
وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبرئيل عليه السلم لرسول
الله امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف
تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وايل
فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات
ولكن الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القران فسبح فافزع
فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك
الغم ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة

وعن النبي صلى الله عليه انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد
وتسمى سورة النعم صح

سورة النحل مكية غير ثلث ايات في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزا وتكذيبا
بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه
فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان
القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما تاخرت قالوا
ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام
قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع
الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقري تستعجلوه بالتا واليا سبحنه وتعلى
عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك وان تكون الهتهم له شركا او عن اشراكهم على
ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان
استعجالهم استهزا وتكذيب وذلك من الشرك وقري يشركون باليا والتا ينزل قري بالتخفيف
والتشديد وقري تنزل الملئكة اي تتنزل بالروح من امره بما تحيى القلوب الميتة
بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وان انذروا بدل من
الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا
او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملئكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا
انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا
انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق

بلغ المقابلة بسعد المصنف ... دنف ...

السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه ولا بد له من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر
اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك
به غيره وقري يشركون باليا والتا فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق
مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به
ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قايل من
يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في
كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جا بالعظم الرميم الى رسول الله
صلى الله عليه فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية
واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز
ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم
ولمصالحكم يا جنس الانسان والدف اسم ما يدفا به كما ان الملء اسم ما يملا به وهو الدفا
من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقري دف بطرح الهمزة والقا حركتها على
الفا ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله
ومنها تاكلون موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل
الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر
والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون
بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكرا الابل وتبيعون نتاجها والبانها
وجلودها من الله تعلى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل
هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها
وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغا والرغا انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم
في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري

سوائكم ودينا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال
في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرا عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين
والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي قرئ بشق الانفس بكسر
الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر
شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا
بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت
معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد
انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم
تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت
طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم
الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا
بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرءوف رحيم
حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف
على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل
خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب
وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا
ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين
واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها
زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق

ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا
بذكره كما من بالاشيا المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من
الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه
لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على
قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر
بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق
الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام
في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو
كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر
وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء
منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما
يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو
من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض قرئ ننبت بالياء والنون
فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة
وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه
وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي بن
كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب على
وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون
بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون

بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون
المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا
كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار
وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتدا والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله
بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار
العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبريا والعظمة وما ذرا
لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك
مختلف الهيات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع
اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقها قالوا اذا
حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل السمك لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت
مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك
واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجا بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله
ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللولو والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسايهم
لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الما
بحيزومها وعن الفرا هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغا الفضل التجارة ان تميد
بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمايد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض
فجعلت تمور فقالت الملايكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
لم تدر الملايكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى
الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وما يستدل
به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي

الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا الحسن وبالنجم بضمتين
وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم
تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه
النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هولا خصوصا يهتدون فمن المراد بهم
قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتدا بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم
لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت
من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جي بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه
احدها انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على
اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين
من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما
لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل
وايد واذان وقلوب لان هولا احيا وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت
لهم هذه الاعضا لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان
وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال
لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة
له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم
ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم
فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من ادا الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على
ان وراها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في ادا شكر
النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون

الله وقرئ بالتاء وقرئ يُدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم
خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون
وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة
لكانوا احياء غير اموات اى غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس
من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزائهم على عبادتهم وفيه دلالة
على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم
بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة
فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا
واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك
اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اى وما يعلم هولاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما
بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه
ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملئكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم
من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان
بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره
وانها له وحده لا شريك له فيها وكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم
على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا
ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد
المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هولاء تحت عمومه
ماذا منصوب بانزل بمعنى اى شئ انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اى شئ انزله ربكم فاذا
نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل

اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض
لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام
بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم
ليحملوا اوزارهم اى قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة
وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله
وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا
نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم
انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه
ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل
الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم
في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين
بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا
وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة
القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم
فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركاى على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المومنين في شانهم ومعناهم
وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المومنين كانها مشاقة الله قال الذين
اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون

اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا
لمن سمعه وقيل هم الملئكة قرى تتوفاهم بالتا واليا وقرى الذين توفاهم بادغام التا في
التا فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر
وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب
جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين
جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولا لما سيلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على
السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب
عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شئ وروى ان احيا العرب
كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه فاذا جا الوافد كفه المقتسمون
وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى
قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه
نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما
مبتدا عدة للقايلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا
باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر
مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر
والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المومن جاءه ملك
فقال السلم عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلم وبشره بالجنة تاتيهم الملايكة قرى بالتا
واليا يعني ان تاتيهم لقبض الارواح وامر ربك العذاب المستاصل او القيمة كذلك اى مثل

ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزا سيئات اعمالهم
او هو كقوله وجزا سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم
من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزا به وتكذيبهم
الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة
والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شا لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه
كذلك فعل الذين من قبلهم اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه
على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشا الشرك والمعاصي بالبيان
والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم
عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة
الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي
هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من
حقت عليه الضلالة اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر
لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا
اقدر الشر ولا اشاوه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله
على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اى لا
يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبايح التي لا تجوز
عليه وقرى لا يهدى اى لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم
من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان
يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي

لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدى على البنا للمفعول وفي قراة عبد الله
يهدّي بادغام تا يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرى يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص
بفتح الرا وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان
عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشية الله وانكارهم
البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعد الله مصدر مؤكد
لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفا بهذا الموعد حق واجب عليه في
الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون
لا يجب على الله شي لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه
بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين والذي اختلفوا
فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شا الله ما عبدنا من دونه من
شي وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امه
رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله
الكذب قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن ويكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث
والوجود اي اذا اردنا وجود شي فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك
لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود
المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى
ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو
من شق المقدورات وقرى فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه
ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين
الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة
رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه

قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله
وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه وهو ثنا عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه ولنبوئنهم
حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه
اثواة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم
وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا
من المهاجرين عطا قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة
اكثر وقيل لنبوئنهم مباة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم لو كانوا
يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهولا المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة
لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في
اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح
اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف
بقلوب قوم هو مسقط راسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة
الملئكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا
بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق
بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثنا مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك
ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا
ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على
كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط
في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فسئلوا

اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر
لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا
به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته
فيتنبهوا ويتاملوا مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول
الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو
ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف
قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان يتنقصهم
شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس
عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ اولم تروا وتتفيؤا
بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى
الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى
الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء
او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها
ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين
الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة
عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال
الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات ولما في الارض جميعا على ان في

السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده
ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في
السموات الملئكة وكرر ذكرهم على معنى والملئكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق
واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملئكة ملائكة الارض من
الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود
غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين
يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت
فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن
لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء
وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا
يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر
عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر
فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملئكة مكلفون مدارون على الامر والنهي
والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجا فان قلت انما جمعوا بين
العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان
المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان
فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى
الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية
والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث

هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو
اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالاهية لا الوحدانية فاياي فارهبون
نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات
وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجي ما قبله على لفظ المتكلم الدين
الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه
فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة
ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب
والعقاب وما بكم من نعمة واي شي حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه
تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعا والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة
والقاء حركتها على الجيم وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من
كشف لان بنا المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق
منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة عاما
ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال
فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية
واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون
فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع
فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشيا غير موصوفة بالعلم ولا

تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم
لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها كانت
خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب
من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتدا والنصب على
ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار
كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجي ظل لان اكثر الوضع
يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكابة والحيا من الناس وهو كظيم مملو
حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سو المبشر به ومن اجل تعييرهم
ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب
ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان الا سا ما يحكمون
حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا
الوصف مثل السو صفة السو وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن
خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه
سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها
بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم
او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآبا
بكفرهم لم يكن الابنا ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركا في رياستهم
ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى
عند الله لقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي

اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعلى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم
فيوتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيوتى
بالكسر والخرق وما لا يوبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرا هذه الاية وعن
مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب
وقرى الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرى مفتوح الرا ومكسورها مخففا
ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته
في طلب الما اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته
والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم
فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم
في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبيس القرين او يجعل فهو
وليهم اليوم حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا
ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه
زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولا لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو
ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول
لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل
وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان
فيهم من يومن به ومنهم عبد المطلب واشيا من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون
سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في
باب ما لا ينصرف في الاسما المفردة الواردة على افعال ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما
في بطونها في سورة المومنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون
تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر

نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان
انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرى نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل
كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث
والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم
ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها
طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان
الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسيل شقيق عن الاخلاص فقال
تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سايغا سهل المرور في الحلق
ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرى سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين
فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن
بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتدا الغاية لان بين الفرث
والدم مكان الاسقا الذي منه يبتدى فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز
ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كاينا من بين فرث ودم
الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه
في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج
اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف
لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقا او تعلق
بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد في قولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون

تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من
بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا
قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى
الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا
ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان
احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين
العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى
يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه
الاية وبقوله عليه السلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد
صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذ
منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله
فقال تناولته الدعارة فتسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام
سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه
تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر
رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحا الى النحل الهامها
والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا
فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلايل بينة شاهدة
على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اودع في العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب
الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتانيث ان اتخذي هي ان المفسرة
لان الايحا فيه معنى القول قرئ بيوتا بكسر الباء وضمها يعرشون بكسر الرا وضمها

يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن
التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله ان
اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت
اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل
مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي
ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي
يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار
في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا
تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في
طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها ووطاها وسهلها كقوله
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت
به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر
واحمر واسود فيه شفا للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة
وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض
كما ان كل دوا كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفا الذي فيه او لان فيه بعض الشفا
وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه ان رجلا جا اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه
فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال
وعن عبد الله بن مسعود العسل شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور فعليكم

بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه
وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل
جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه
أضحوكة من أضاحيكهم إلى أرذل العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة
عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم
لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم
شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول
شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما
رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم
حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد
ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون فجعل
ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون
بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم
فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعا
فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وإنما
ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء من أنفسكم من جنسكم
وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في
الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن
وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد
الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون

بلغ المقابلة بنسخة المصنف رحمه الله
ونقل منها

في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا
كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين من الطيبات
يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها أفبالباطل
يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم لم يتوصلوا
باطل م
إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة
المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي
لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة
وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت
المصدر نصبت به شيئا كقوله أو إطعام مسكينا على لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت
المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للا يملك أي لا يملك شيئا
من الملك ومن السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات
مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون
لما لأنه في معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا
يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس
به فإن قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد
قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة
منفية عنهم أصلا لأنهم موات إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة
التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم
فلا تضربوا لله الأمثال تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه
حالا بحال وقصة بقصة إن الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه
في العظم لأن العقاب على مقدار الإثم وأنتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جرّكم

اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم
في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر
مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشا فان قلت لم قال
مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر
المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر
على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد
هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه
ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع
ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي
الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل
وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة
او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات
مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة
صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من اثار
رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية والاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع
وقرى اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرا ابن مسعود
اينما يوجه على البنا للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما
عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب
عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند
الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشي الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا

بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان
اقامة الساعة واماتة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والاخرين تكون في اقرب وقت
واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض
المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرى امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والها مزيدة
في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيا من حق
المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل
لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشيا الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلا ب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة
في فواد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة
اذ لم يرد في السماع غيرها كما جا شسوع في جمع شسع لا غير فجرت المجرى قرى الم
تروا بالتا واليا مسخرات مذللات للطيران بما خلق الله لها من الاجنحة والاسباب المواتية
لذلك والجو الهوا المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله
ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من
الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع
اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها
خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون
خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي
خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيا
ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرى

يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وساير المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن
به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب
من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر
اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من
البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن
والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته
الفايضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرى تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ
فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها
حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله
ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان
ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله
وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير
المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها
عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة
على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف
لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم
لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة
لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم
ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت

معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبيا عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون
الكلام فلا يؤذن لهم في القا معذرة ولا ادلا بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره
واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب
بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الآية
ان ارادوا بالشركا آلهتهم فمعنى شركاونا آلهتنا التي دعوناها شركا وان ارادوا الشياطين
فلانهم شركاوهم في الكفر وقرناوهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا
انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان
عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملايكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا
راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركا وآلهة تنزيها
لله من الشريك وان اريد بالشركا الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون
كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم
الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الابا والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم
ما كانوا يفترون من ان لله شركا وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا
منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن
اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون
من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله
شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبيا الامم فيهم منهم وجئنا بك
يا محمد على هولا على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد
جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شي
قلت المعنى انه بين كل شي من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة

حيث أمر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في
قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لأمته اتباع اصحابه والاقتدا بآثارهم
في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس
والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم
كان تبيانا لكل شي العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه
عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من
ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه لمن علمه الفرائض
فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة
من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط
من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول
بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقيمت
هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا
ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمن بن مظعون
عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا
الايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان
والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به
مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته
فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقا اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا
احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون

أمة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من
امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر
انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم
ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين
وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة
اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي
من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى
ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به
شي من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتدا
لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا
لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم
لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم
عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة
قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد
ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة
رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان
رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين
صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت

لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان
قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم
صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر
او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر
لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة وذلك ان المومن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا
ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا
بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا
فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن
الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما
ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله ايذانا بان
الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة
القران فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله
فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد
والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد
الله بن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عن القلم عن
اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اوليا الله يعني انهم لا يقبلون منه
ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به
مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الاية
مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرايع بالشرايع لانها مصالح وما كان مصلحة

امس يجوز ان تكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد
فيثبت ما يشا وينسخ ما يشا بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر
وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا
يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو
اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون
والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل
الاية بالاية دليل على ان القران انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس
قلت فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي لنسخه بغيره على ان السنة المكشوفة
المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس
والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل
شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل
وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل
صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد
الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال
وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت
الذين امنوا ليبتليهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى
مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان
لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب
وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان

السبو بمكة ويقران التوراة والانجيل فكان رسول الله اذا مر وقف عليهما يسمع
ما يقران فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان
اللغة ويقال الحد القبر والحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة
فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد
في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى
لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح اليا
والحا وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة
التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة
جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاتهم اية قالوا
لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يومنون بايات الله اي يعلم الله منهم
انهم لا يومنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في
الاخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما
يليق افترا الكذب بمن لا يومن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم
الكاذبون اي هم الذين لا يومنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يومنون اي اولئك هم الكاذبون
على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين
عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شي لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يومنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم
الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من
بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافترا ثم قال ولكن من شرح بالكفر
صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا

الذي هو اولئك على ومن كفر بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون
على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون
من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر
بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا
من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة
الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال
وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا
انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار
فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه
وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم
جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا
فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت لا بل فعل ابويه لان
في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال
للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة
ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد هولا من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم

لهم

انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه
فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ
فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المومنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد
هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان
قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه
وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها
فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي
ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هولاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب
الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم
النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه
الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا
من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق
مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع
نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه بالموسم بمنى انها ايام
طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت
اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس
منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر
والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما
غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف
فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منها ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف

ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما
ان ينظروا الى المستعار له كما نظر اليه ها هنا ونحوه قول كثير غمر الردا اذا تبسم
ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الردا للمعروف لانه يصون عرض صاحبه
صون الردا لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الردا
نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد
عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار
ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الردا
اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا
على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف
وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء
صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا اصدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك
وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة
لانها شفعاوكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم
وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على الله
ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى
وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله
هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على

ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام
ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا
تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا
لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج
ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من
فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم
فقد حليت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف
السحر وقرى الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب يعني الكاذب
كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة وقرى الكذب جمع
كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب
من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى
الغرض متاع قليل خبر مبتدا اي منفعتهم بما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة
قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال
اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة
عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم
لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن
مجاهد كان مومنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى ماموم اي يؤمه
الناس لياخذوا منه الخير او يؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء
من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن
فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت
انما هو ابرهيم صلوات الله عليه الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله

ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو
كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت
ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله
لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم
بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار
قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم
الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني
وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام
حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال
والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ال ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة
ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه واجلال محله
والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلم من الكرامة واجل ما اولي من النعمة
اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين ساير
النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها
والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا
الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب
القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكروه من سخط الله على العصاة
والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما الكلم بينهم اذا كانوا
معو

جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزا اختلاف فعلهم في كونهم محلين
تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع
يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق
السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في
السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم
بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا
عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين
بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرى انما
جعل السبت على البنا للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة
وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي
ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي
احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن
كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل
وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع
بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرى وان عقبتم فعقبوا
اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين
يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن
الراهب فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروى فراه مبقور البطن فقال اما والذي
احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما
اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور

اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون
اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم
صابرون على الشدايد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما
ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر
خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى
ثم قال لرسوله عليه السلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي
بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين لقوله فلا تاس
على القوم الكافرين او على المومنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا
تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق
ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا
اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان
انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه
في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرايل مكية وهي مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحن علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح
الله سبحن ثم نزل سبحن منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع
القبايح التي يضيفها اليه اعدا الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان
قلت الاسرا لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ
التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة

وذلك ان التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة
من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل
واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي
عن النبي صلى الله عليه بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد
الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي
انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشا فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة
على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام
هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني
فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بني
كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد
ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثَمّ فاستنعتوه
المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق
كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السما في تلك الليلة
وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السما من العجائب وانه
لقي الانبيا وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسرا فقيل كان قبل
الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في

المنام فعن عايشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج
بروحه وعن معوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل
بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراه مسجد باركنا حوله يريد
بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبيا من وقت موسى عليه السلم ومهبط الوحي وهو محفوف
بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ
الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي
طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله
العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ان لا تتخذوا وقرى بالياء
على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون
اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء
على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا
ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة
والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع
بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذِرية بكسر الذال وروي عنه انه قد فسرها
بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجا آبايهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلم كان عبدا
شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا اجاعني واذا شرب قال الحمد لله
الذي سقاني ولو شا اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني واذا
احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي
اخرج اذاه في عافية ولو شا حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على
من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه
ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلم

كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباوكم اسوتهم
ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثنا عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون
به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون
في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب
قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضا المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له
كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرى لتفسدن على البنا للمفعول ولتفسدن بفتح التا من فسد
مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلم وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل
يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرى عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله
وعبيد الناس سنجاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماهم
واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان
يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا
ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو
التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند
اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحا وقرى فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى
وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد
العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا
عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني
اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما
كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان

والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه
ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جا وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا
وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار
المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل
او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرى لنسوءن
بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن
جواب اذا جا ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شي غلبوه واستولوا عليه او بمعنى
مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي
وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط
الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه فهم
يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا
الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير
وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات
واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده
مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرى ويبشر
بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المومنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت
كان الناس حينئذ اما مومن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
فان قلت علام عطف وان الذين لا يومنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى
انه بشر المومنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان
الذين لا يومنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله
كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا

يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تانى المتبصر وعن
النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له
مالك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح
النبي صلى الله عليه دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلم اللهم اقطع يديها فرفعت
سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه اني
سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب
كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو
بالعذاب استهزا ويستعجله كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا
يعني ان العذاب اتية لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما فتكون الاضافة في اية
الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل
وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين
يريد الشمس والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا
يستبان فيه شي كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه
الاشيا وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس
فترى به الاشيا رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شي لتبتغوا
فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا
باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما
علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شي مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم
فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد

حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني
الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه
مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن
الحسن رحمه الله يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقري في عنقه
بسكون النون وقري نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البنا
للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال
وقري يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة
ومنشورا حال من يلقاه اقرا على ارادة القول وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا
قاريا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان
يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه
فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامين لان الغالب
ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان تتاول
النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قراها قال يا ابن ادم انصفك والله من
جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا
معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا
فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل
التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر
فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرايع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح
الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من
رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في

ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل
امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان
يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا
فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة
فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم
اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق
فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان
معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف
بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو
كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة
ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته
فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا
به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه
يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير
قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر
بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان
قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه وكان صرف الامر
الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده
عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة
فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من

اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال
صاحب المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر
من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة ما
مورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه اني
ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلم انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا
من امر وامره غيره وامّرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامّره الله اي جعلناهم امراء
وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني
عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة
همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد
فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته
وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض
وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المومن التقي فقد اختار مراده
وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يوت فان اوتي فيها والا فربما كان
الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل
لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق
اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك
لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي
والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلم فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته
الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال

حاشيه
ما عول من زعم ان
امرته بمعنى كثرته
الا على قوله ومهرة
مامورة وما هو الا
من الامر الذي هو
نقيض النهي وهو مجاز
ايضا كما في الاية كان
الله قال لها كوني كثيرة
النتاج فكانت فهي
اذن مامورة على
خلاف منهية وقيل
عدل عن مومرة الى
مامورة لطلب
الازدواج

بلغ

الصالحة اشترط ثلث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه وتجافى
عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض
المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا
هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف
اليه نمد هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع
والعاصى جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك فضله محظورا اى ممنوعا لا يمنعه من
عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين فى التفضل وفى الاخرة التفاوت
اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوته وروى ان قوما من الاشراف فمن دونهم
اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابى سفين فقال سهيل
بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب
عمر فكيف التفاوت فى الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم فى الجنة اكثر
وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهى بالرفع منك فى مجالس الدنيا اما ترغب
فى المباهات بالرفع فى مجالس الاخرة وهى اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى
قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعنى فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك
من الاله والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به
الا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهى او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا
بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن
بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء فى بالوالدين بالاحسان لان المصدر
لا يتقدم عليه صلته اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون
المؤكدة فى الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه
واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما

عطف على احدهما فاعلا او بدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا
بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين
فانتظم فى حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف
عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب
فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل
على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف
للضمة والتشديد لتثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو
ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك
اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه فى حال الطفولة
فهو مامور بان يستعمل معهما وطاة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره
ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحنه فى التوصية
بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما فى سلك القضاء بهما معا
ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها فى الاستطاعة ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهى والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل
التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو
ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلم لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما
فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به فى غير وجهه كما قالت عائشة
رضى الله عنها نحلنى ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما
معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك
كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى

٢

واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثانى ان يجعل لذله اولذله لهما جناحا
خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة فى التذلل والتواضع لهما من الرحمة
من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق
الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقا لها وادع الله بان يرحمهما رحمته
الباقية واجعل ذلك جزا لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام
لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت وان كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط
الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعا للكفار
جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شئ
انفع له من الاستغفار ولو كان شئ افضل منه لامركم به فى الابوين ولقد كرر الله سبحنه
فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبى صلى الله عليه رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى
سخطهما وروى يفعل البار ما يشا ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشا ان يفعل
فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
وشكا رجل الى رسول الله اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فسأله
فقال انه كان ضعيفا وانا قوى وفقيرا وانا غنى فكنت لا امنعه شيا من مالى واليوم انا
ضعيف وهو قوى وانا فقير وهو غنى ويبخل على بماله فبكى عليه السلم وقال ما من حجر ولا
مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال
لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين
ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت
نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال ما جزيتها ولو طلقة

وعن ابن عمر انه راى رجلا فى الطواف يحمل امه ويقول انى لها مطية لا تذعر
اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتنى اكثر الله ربى ذو الجلال الاكبر
تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلم اياكم وعقوق
الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلا ان الكبريا لله رب العالمين وقال الفقها لا يذهب
بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الانا منه
اذا شربها وعن ابى يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن
حذيفة انه استاذن رسول الله فى قتل ابيه وهو فى صف المشركين فقال دعه يله غيرك
وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما على كسل وسئل
بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة
فى ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة
اودائهما من بعدهما فعن النبى صلى الله عليه ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود
ابيه بما فى نفوسكم بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب
وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تودى الى اذاهما
ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير
هى فى البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب
الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية
ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وات
ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يوتوا حقهم
وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقرا عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا

ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشفعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب
وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابنا العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن
المعاشرة والمؤالفة على السرا والضرا والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل
يعني وآت هولا حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق
هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقربا رسول الله صلى الله عليه التبذير
تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها
وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله
بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه
وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال
له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر ومر رسول
الله صلى الله عليه بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه
لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاوهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف
او هم قرناوهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع
فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطان وان اعرضت عن ذي القربى
والمسكين وابن السبيل حيا من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا
سالوك وكان النبي صلى الله عليه اذا سئل شيا وليس عنده اعرض عن السايل وسكت
حيا وقوله ابتغا رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا
سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغا رحمة من ربك اي ابتغ
رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد
رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغا موضع

بلغ

الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغا والابتغا مسببا عنه
فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم
ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك
لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو
مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا لهم ييسر عليهم فقرهم
كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعا فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا
المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند
الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول
المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت
محسورا منقطعا بك لا شي عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر
بينا رسول الله صلى الله عليه اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى
ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج
للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجا عباس بن مرداس
وانشا يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس
يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر
اقطع لسانه عني مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه عما كان يرهقه
من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط
الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر
الله الذي الخزاين في يده واما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده
او قبض فانه يراعي اوسط الحال لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه

فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي
الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخا وقرئ خطأ وهو الاثم
يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر
والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن
خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجا بكسر الخا غير مهموز فاحشة قبيحة
زائدة على حد القبح وسا سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته
او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى
ثلث الا بان تكفر او تقتل مومنا عمدا او تزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن
لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا
تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي
فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا
به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال
كل قتيل في كليب غره حتى ينال القتل آل مره وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن
بوا وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر
في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ
فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا
انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا
يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المومنين على استيفا الحق فلا يبغ
ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة
بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص
على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره

ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا
كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت
ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون
وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة
وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال
قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن
يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل
ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع
لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك
المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو
شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا
اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البريّ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا
وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب
الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لقوله والعيش
بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول
مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت
ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم
عليه وقرئ والفواد بفتح الفا والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب
القلب مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك وقرئ

لن تخرق بضم الرا ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال قرى سيئة
وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا فى بعض المصاحف وسيئات وفى قراة
ابى بكر الصديق رضى الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله
مكروها قلت السيئة فى حكم الاسما بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا تراك تقول الزنى
سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث فان قلت
فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه بالاضافة
فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال
المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية
وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضى الله عنه
هذه الثمانى عشرة اية كانت فى الواح موسى عليه السلم اولها لا تجعل مع الله الها
اخر قال الله تعلى وكتبنا له فى الالواح من كل شى موعظة وهى عشر ايات فى التوراة
ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد هو راس
كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما وحك بيافوخه
السما وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفيكم
خطاب للذين قالوا الملايكة بنات الله والهمزة للانكار يعنى افخصكم ربكم على وجه
الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ
ادونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد
لا يوثرون باجود الاشيا واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات
انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم بانكم
تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملايكة وهم اعلى

خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا فى هذا القران يجوز ان يريد
بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد
صرفنا القول فى هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز
ان يشير بهذا القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع
من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرى صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرى
مشددا ومخففا اى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمينوا الى ما يحتج به عليهم فما
يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفين كان اذا قراها قال زادنى
لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا وقرى كما يقولون بالتا والبا واذن دالة على ان ما
بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزا للو ومعنى لابتغوا الى ذى العرش
سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم
مع بعض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اوليك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا فى معنى تعاليا والمراد البراة من ذلك
والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة فى معنى البراة والبعد مما وصفوه به
المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها
تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركا وغيرها فان قلت فما
تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت
الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سيلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم
لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر
الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا
الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملايكة
والثقلان وقد عطفوا على السموات فما وجهه قلت التسبيح المجازى حاصل

والارض

في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة
والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم
بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل
هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو
مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية
لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه
قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة
ووحده من باب رجع عوده على بديه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد
مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية
او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان يذكر معه الهتهم لانهم مشركون فاذا
سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان
يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي
هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذهم
نجوى وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذهم مسحورا سحر فجن
وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه
فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل
لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا

ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم
ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان
العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها
الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس
ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني
او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه
وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون
مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم
للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويتمنع ستركبه وانت حامد شاكر
يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه
وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك
وتظنون وترون الهول فتستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او
بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل
للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم لقوله وجادلهم بالتي هي
احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني
يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه
ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم
الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم
وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك

بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك
قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو
وقيل افرط ايذا المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن
ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون
ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا
وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في
بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم
وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل
رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت
هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور
وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي
الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه
بعض الزبور كما سمي بعض القران قرانا هم الملئكة وقيل عيسى ومريم وعزير وقيل
نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا
يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد
الى اخر او يبدلوه اولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي
موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن
يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك

بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون
انهم الهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا
عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب
وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم
في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها
بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل
صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال
الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا
ومن احيا الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم
لم يومن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه
من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها
لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها
واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نوخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة
ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة
وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم
وواردهم مبصرة بينة وقرى مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل
بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب
العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني

بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال احاط بالناس
على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه في
العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسألك عهدك ووعدك
ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى
اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني انظر الى مصارع
القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون
ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت
فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة
من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل
اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من
ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها
والمعنى ان الايات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو
القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث
اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم
اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف
قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسرى وبه تعلق من
يقول كان الاسرى في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها

بلغ المقابلة بنسخة المصنف رحمه الله ونقل منها

رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما
سموا اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى الهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز
الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره
كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت
لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة
وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة
وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون
وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي
يتلوى بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة
بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القران كذلك طينا حال
اما من الموصول والعامل فيه اسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه
من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر
الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن
ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك
ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين علم ان
ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم
وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في
مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في ادم والظاهر انه قال ذلك قبل
اكل ادم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي
اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم

جزاوكم كما قال موسى صلى الله عليه للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس فان قلت
اما كان من حق الضمير في الجزا ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى
ولكن التقدير فان جهنم جزاوهم وجزاوك ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل جزاوكم
ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزا موفورا بما في فان جهنم جزاوكم
من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزا موصوف بالموفور والموفور الموفر
يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة
وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل
ونظيره الركب والصحب وقرى ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه
وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما
يقال رجل رجل وقرى ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته
واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من
يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعايه الى الشر وخيله
ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما
المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة
والبحيرة والسايبه والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد
بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد
والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة
من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا
حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر

ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين
فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعلى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا
الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية
كما قال للعصاة اعملوا ما شيتم يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون
الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا
تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاكم ولا تخطرون ببالكم
ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان
يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على
الاستثنا المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم
فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا
به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه
وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها
في قدرته سوا وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب
البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو
الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الما فالبر والبحر عنده سيان
يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع
الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصبا يعني او
ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصبا
يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم اوامنتم ان
يقوي دواعيكم ويوفر حوايجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم
منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي

تتكسر وقيل التي لا تمر بشي الا قصفته فيغرقكم وقري بالتا اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قريت باليا والنون التبيع المطالب من قوله تعلى فاتباع بالمعروف اي مطالبة
قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة
يريد اعراضهم حين نجاهم قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جا في تفسير جدك ابن عباس قوله تعلى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملئكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملئكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم واي قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملئكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المومن اكرم على الله من الملئكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات

البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مداين قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم قري يدعو باليا والنون ويدعى كل اناس على البنا للمفعول وقرا الحسن يدعوا كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يوت بالنون قلة مبالاة لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ايتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعا بالامهات دون الابا رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بها حكمته فمن اوتي من هولا المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرون كتابهم قلت بلى ولكنهم اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداي على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحيا والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراتهم كلا قراة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرون كتابهم احسن قراة وابينها ولا يقنعون بقراتهم وحدهم حتى يقول القاري لاهل المحشر هاوم اقروا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شي كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتدا اليه

وقد جوّزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول مُمالاً والثاني مُفخّماً
لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم
واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روي
ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نُعشر ولا نُحشر ولا نُجبّي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان
تمنع من قصد وادينا وجّ فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان
الله امرني به وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول
الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبّون فسكت رسول الله ثم قالوا
للكاتب اكتب ولا يجبّون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه
وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك
انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب
اية رحمة حتى نؤمن لك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين
عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول
علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف (وعيدا)
من ان يضيف الى الله ما لم ينزله عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا
لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل
تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف

حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان
عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف
به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات
كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا
وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك
العذاب المعجّل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخّره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة
وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بيّن على ان
القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ
العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب
موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي
جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله
وعن النبي صلى الله عليه انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان
كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من
ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان
كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا
عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة
وذلك ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا
يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت

الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت
رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة
حتى يخرج اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في
دين الله فنزلت وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما
وجه القراءتين قلت اما الشايعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه
خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي
اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا
يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر
المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان
يدلك عينه عند النظر اليها وان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان
الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشا وقران
الفجر صلاة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي
حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملايكة الليل
والنهار ينزل هولا ويصعد هولا فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده
الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون
وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر
الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد
ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة
لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة

من الليل للتبعيض
ومعمول به حذف عامله
وعليك من الزم بعض
والترك النوم فيه للصلوة
ان يبعثك ذكر مقاما
محمودا النص المفسرون على
كلمة عسى من الله واجب
لفظه عسى بعد الاطماع والله تعالى اكرم من ان يطمع
احدا شيئا ثم لا يعطيه مولانا قطب الدين

يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة
دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة
فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام
محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في
كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن
عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى وتشفع
فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه هو المقام الذي اشفع
فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله
عليه فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك
واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح
ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب
من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه
ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار
واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه
مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه
من امر ومكان سلطانا ناصرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على
الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم
الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم
فيجعله له وعنه صلى الله عليه انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد

قوله وعن ابن عباس
عطف على قوله ومعنى
المقام المحمود وعلى
هذا لكون المعنى محمودا
صاحبه او القايم فيه
مولانا قطب

واجيبت دعوته
فصحه يعني امره
تعالى بالدعا وامتثالا
ودعا واجيبت دعوته
قط

استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المومن وقال لا والله لا اعلم متخلفا
يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال
اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى
الله عليه اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة
الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته
المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمايه وستون
صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون اليها
وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فاملا لك خدودا سجدا يدفون اليك
دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت
هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما
وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى
القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به
فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا
رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب
وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا
كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القران من
للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القران فهو شفا للمومنين يزدادون
به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفا من المرضى وعن النبي صلى الله
عليه من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا
لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة

اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان
الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنائي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه
ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او
نازلة من النوازل كان يؤوسا شديد الياس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون
من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله
في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل
عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح
الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استاثر بعلمه وعن ابي بريدة
لقد مضى النبي صلى الله عليه وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك
وقيل جبريل وقيل القران ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت
اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب
عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان
رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل
نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس
ما قالوا بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا
الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها
الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي
صلى الله عليه قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا

كثيرا فقل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته
عن جزا الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شينا ذهبنا بالقران
ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على
الاستثنا المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من
الله تعالى ببقا القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم
ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه
في صدره ومنته عليه في بقا المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون
من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران
تصبحون يوما وما فيكم منه شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناونا ابناهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه
فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام
الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غايب مالي ولا حرم لان الشرط
وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل القران في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه
وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن
زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة
فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه
للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو
قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا
هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقايق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من

كل مثل من كل معنى كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز
فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه
قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال
الحيرة فقالوا لن نومن لك حتى وحتى تفجر تفجر وقرى تفجر بالتخفيف من الارض يعنون
ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالما لا تقطع يفعول من نبع الما
كيعبوب من عب الما كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السما قرى كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا
كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملايكة قبيلا كقوله
كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه
لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملايكة من زخرف من ذهب في السما
في معارج السما فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نومن لرقيك ولن نومن
لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السما فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي
امية لن نومن لك حتى تتخذ الى السما سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك
بصك منشور معه اربعة من الملايكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه
الاقتراحات الا العناد واللجاج لو جاتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية
الباقية التي هي القران وساير الايات فليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم
سبيل قل سبحان ربي وقرى قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم
عليه هل كنت الا رسولا كساير الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره
الله عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها على ان الاولى

نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقران
وبنبوة محمد صلى الله عليه الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل
الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله
لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبيا ثم قرر ذلك بانه
لو كان في الارض ملايكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم
الى السما فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قادرين
لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم
بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم
فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت
وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما بما يجازيهم فهو
مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن
يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف
ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اوليا انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على
اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا
يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب
فقد اخبر عنهم في موضع اخر انهم يقرؤن ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم
وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة

بعد الافنا جعل الله جزاهم ان سلط النار على اجزايهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون
على الافنا والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام
من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاوهم الى قوله اينا لمبعوثون خلقا جديدا فان
قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى
قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من
الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال انتم اشد خلقا ام السما وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل
على الافعال دون الاسما فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون
فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير
منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو
ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه
قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك
لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة
الله رزقه وساير نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها
الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم
لو ملكوا خزاين الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل تقدير
لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي
نتقه على بني اسرايل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر
والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال

له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض
مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال
ان بعض اليهود سال رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبنى اسرايل لا
تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا
تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرى الى ذى سلطن ليقتله ولا تقذفوا محصنة
ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت فسل بنى اسرائيل فقلنا
له سل بنى اسرايل اى سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرايل او سلهم عن ايمانهم
وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراة
رسول الله صلى الله عليه فسال بنى اسرايل على لفظ الماضى بغير همز وهى لغة قريش وقيل
فسل يا رسول الله المومنين من بنى اسرايل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات
لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول
ابرهيم ولكن ليطمئن قلبى فان قلت بم تعلق اذ جاهم قلت اما على الوجه الاول
فبالقول المحذوف اى فقلنا له سلهم حين جاهم او بسال فى القراة الثانية واما على
الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاهم اذ جا اباهم مسحورا سحرت
فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هولاء الآيات الا الله عز وجل بصاير
بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقرى علمت بالضم على معنى انى لست بمسحور كما وصفتنى بل انا عالم بصحة
الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال
ان ظننتنى مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظنى اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة
وهى انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب
بحت لان قولك مع علمك بصحة امرى انى لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفرا مثبورا

مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما منعك وصرفك وقرا
ابى بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون
ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل
والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التى
اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جا وعد الآخرة يعنى قيام الساعة جينا بكم
لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدايكم واشقيايكم
واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القران الا
بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية
الى كل خير او ما انزلنا من السما الا بالحق محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل
على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة
وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شى من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرانا منصوب
بفعل يفسره فرقناه وقرا ابى فرقناه بالتشديد اى جعلنا نزوله مفرقا منجما
وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم ينزل فى يومين او ثلثة بل كان بين اوله
واخره عشرون سنة يعنى ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث
بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا
به او لا تومنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدرا بشانهم وان لا يكترث بهم
وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا فى الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل
جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلما الذين قروا الكتب وعلموا ما
الوحى وما الشرايع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود فى
كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعده
فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال الفرقان عليه وهو

المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن
لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت
يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية
لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل تسلّ عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول
ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان
قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول
ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا
قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال
فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه
به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين
وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس رضي
الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة
هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين
تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن
المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم
او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما
صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى
والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته
عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها

ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم بصلاتك
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان
تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله يرفع صوته
بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر
حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول
اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ
الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل
وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة
بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة
ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل
مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل
بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو
الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب
علمه هذه الآية

عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر
الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة

الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم
ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان
والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت
بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله
ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل
بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه
العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود
له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب
مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ
قيما لينذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر
الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس
الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة
وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر
قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل
عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير
ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغنا بتقدم ذكره والاجر
الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن
عن جهل مفرط وتقليد للآبا وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت
اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من
علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما

لينذر

بلغ مقابلة بنسخة المصنف رحمه الله

لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع
على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم
صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما
يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به
ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت
بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام رجع الضمير في كبرت قلت الى
قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم
يومنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو
يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع
نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يومنوا وللمضي
فيمن قرأ ان لم يومنوا بمعنى لان لم يومنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن
ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على
الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله
وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضا لا نبات فيها بعد ان
كانت خضرا معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان
وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من
الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم
من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في
الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان

الناس رقموا حديثهم نقرا فی الجبل وقیل هو الوادی الذی فیه الکهف وقیل الجبل وقیل
قریتهم وقیل مکانهم بین غضبان وایلة دون فلسطین کانوا آیة عجبا من آیاتنا وصفا
بالمصدر او علی ذات عجب من لدنک رحمة ای رحمة من خزائن رحمتک وهی المغفرة والرزق
والامن من الاعدا وهیئ لنا من امرنا الذی نحن علیه من مفارقة الکفار رشدا حتی نکون
بسببه راشدین مهتدین او اجعل امرنا رشدا کله کقولک رایت منک اسدا فضربنا علی
آذانهم ای ضربنا علیها حجابا من ان تسمع یعنی انمناهم انامة ثقیلة لا تنبههم فیها الاصوات
کما تری المستثقل فی نومه یصاح به فلا یسمع ولا یستنبه فحذف المفعول الذی هو الحجاب
کما یقال بنی علی امراته یریدون بنی علیها القبة سنین عددا ذوات عدد فیحتمل ان
یرید الکثرة وان یرید القلة لان الکثیر قلیل عنده کقوله لم یلبثوا الا ساعة من نهار
وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم یحتج ان یعد واذا کثر احتاج الی ان
یعد ای تضمن معنی الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم یعمل فیه وقرئ لیعلم وهو معلق
عنه ایضا لان ارتفاعه بالابتدا لا بالاسناد یعلم الیه وفاعل یعلم مضمون الجملة کما انه مفعول
نعلم ای الحزبین المختلفین منهم فی مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فی ذلک وذلک
قوله قال قائل منهم کم لبثتم قالوا لبثنا یوما او بعض یوم قالوا ربکم اعلم بما لبثتم وکان
الذین قالوا ربکم اعلم بما لبثتم هم الذین علموا ان لبثهم قد تطاول او ای الحزبین المختلفین
من غیرهم واحصی فعل ماض ای ایهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول
فیمن جعله من افعل التفضیل قلت لیس بالوجه السدید وذلک ان بناه من غیر الثلاثی
المجرد لیس بقیاس ونحو اعدی من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقیاس علی الشاذ
فی غیر القرآن ممتنع فکیف به ولان امدا لا یخلو اما ان ینصب بافعل فافعل لا یعمل
واما ان ینصب بلبثوا فلا یسد علیه المعنی فان زعمت ای انصبه باضمار فعل یدل علیه احصی
کما اضمر فی قوله واضرب منا بالسیوف القوانسا علی نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول

وهو قریب حیث ابیت ان یکون احصی فعلا ثم رجعت مضطرا الی تقدیره واضماره فان قلت
کیف جعل الله تعالی العلم باحصایهم المدة غرضا فی الضرب علی آذانهم قلت الله عز وعلا
لم یزل عالما بذلک وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم لیزدادوا ایمانا واعتبارا
ویکون لطفا لمومنی زمانهم وآیة بینة لکفاره وزدناهم هدی بالتوفیق والتثبیت وربطنا
علی قلوبهم وقویناها بالصبر علی هجر الاوطان والنعیم والفرار بالدین الی بعض الغیران
وجسرناهم علی القیام بکلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بین یدی الجبار وهو
دقیانوس من غیر مبالاة به حین عاتبهم علی ترک عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات
والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط فی الظلم والابعاد فیه من شط اذا
بعد ومنه اشط فی السوم وفی غیره هولا مبتدا وقومنا عطف بیان واتخذوا اخبر
وهو اخبار فی معنی انکار لولا یاتون علیهم هلا یاتون علی عبادتهم فحذف المضاف
بسلطان بین وهو تبکیت لان الاتیان بالسلطان علی عبادة الاوثان محال وهو دلیل علی
فساد التقلید وانه لا بد فی الدین من الحجة حتی یصح ویثبت افتری علی الله کذبا
بنسبة الشریک الیه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حین صممت عزیمتهم علی
الفرار بدینهم وما یعبدون نصب عطف علی الضمیر یعنی واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودیهم
الا الله یجوز ان یکون استثنا متصلا علی ما روی انهم کانوا یقرون بالخالق ویشرکون معه
کما اهل مکة وان یکون منقطعا وقیل هو کلام معترض اخبار من الله تعالی عن الفتیة انهم
لم یعبدوا غیر الله مرفقا قری بفتح المیم وکسرها وهو ما یرتفق به ای ینتفع اما ان یقولوا
ذلک ثقة بفضل الله وقوة فی رجائهم لتوکلهم علیه ونصوع یقینهم واما ان یخبرهم به
نبی فی عصرهم واما ان یکون بعضهم نبیا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء فی الزای
او حذفها وقد قرئ بهما وقری تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وکلها من الزور وهو
المیل ومنه زاره اذا مال الیه والزور المیل عن الصدق ذات الیمین جهة الیمین وحقیقتها

الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع
من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم
في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من
غارهم ينالهم فيه روح الهوا وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله اي
ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من اياته يعني ان ما كان
في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف
شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم
من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ثنا عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم
فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة..
وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة
ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها
خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام
فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشورا وقرى ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وتقلبهم على المصدر
منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد
تقلبهم وقرا جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة
كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفنا وقيل العتبة وقيل الباب
وانشد بارض فضا لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرى ولملئت بتشديد
اللام للمبالغة وقرى بتخفيف الهمزة وقلبها يا ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي

يرعب الصدر اي يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا هولا فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو
خير فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث
ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم
وقرى لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا
بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتسائل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله
بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم
وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز
الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هولا قد علموا بالادلة او بالهام من
الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروى انهم دخلوا الكهف غدوة
وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا
ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم
اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شي اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت
او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره
رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرى بورقكم بسكون الرا والواو مفتوحة او مكسورة
وقرا ابن كثير بورقكم بكسر الرا وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو
واسكن الرا وادغم وهذا غير جائز لالتقا الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا
وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر
هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه

قول عايشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما
حكي عن بعض صعاليك العلما انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وتعوم منه ذلك
فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا
عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا
شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله وسل
القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة
فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
يعني ولا يفعلن ما يودي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب
فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي
الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها
والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتدا الفعل
ولن تفلحوا اذن ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في
ذلك من الحكمة واطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث
لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا
اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم
يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف
وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا
حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس
ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه بالحظيرة قال الذين
غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا
يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم

امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير
امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب
كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام
واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك
وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا
بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احبا الله فناموا وانا
احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون
فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مومن وقد اختلف
اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا
وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم
ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية
الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل
لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على
باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم
او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من
الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في
قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه من اهل الكتاب والمومنين سالوا رسول الله عنهم

فأخر الجواب الى ان يوحى اليه فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وان
المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضى الله عنه انا من اولئك
القليل وروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبى صلى الله
عليه فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة
وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبرئيل
وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء
اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء
الستة فى امره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم
مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال فى الاول
دون الاخرين قلت فيه وجهان ان يدخل الاخرين فى حكم السين كما تقول قد اكرم
وانعم تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح
له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفى واتيانا به لقوله ويقذفون بالغيب اى ياتون به
او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن
مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو
عنها بالحديث المرجم اى المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء فى تاء التانيث وثلثة
خبر مبتدا محذوف اى هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا
وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما
هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هى
الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى
نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا

من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على
ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى آذنت بان الذين قالوا سبعة
وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل
عليه ان الله سبحنه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله
ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضى الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اى
لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات
وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اى
سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين
فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب فى شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق
فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف
بهم فى الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتى هى احسن ولا تستفت ولا تسأل احدا منهم عن
قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف
ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى
اليك قصتهم ولا تقولن لشئ ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعل ذلك الشئ غدا
اى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهى لا بقوله
انى فاعل لانه لو قال انى فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يعترض مشية الله
دون فعله وذلك ما لا مدخل فيه للنهى وتعلقه بالنهى على وجهين احدهما ولا تقولن
ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثانى ولا تقولنه الا بان يشاء
الله اى الا بمشيته وهو فى موضع الحال يعنى الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله
وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله فى معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا
ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم فى ملتهم مما لن يشاءه الله

وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف
وذي القرنين فسألوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك
والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو
بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن
طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثني على مقدار
حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا وحكي
انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر
عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا
من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على
الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة
الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما
هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من
قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى
اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء
آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة
كقوله او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين يريد لبثهم فيه احياء
مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين
عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق

ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال
في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثماية وقرئ ثلثماية سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلثماية سنة
تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض
وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب
من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك
السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها
جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي
من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء
والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي
اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا
يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة
لرسول الله نحّ هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم
من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت
واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد
صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال
وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم
يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي بعن
لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته

ولم نعلق به فان قلت اى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا
تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطا مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا
معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه
قوله تعلى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد
عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله
فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله ان يزدري
بفقرا المومنين وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا وحسن شارتهم
تريد زينة الحياة الدنيا فى موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر
بالخذلان او وجدناه غافلا عنه لقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك
او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في
قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه
باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا
فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل
قل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا
اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ فى طريق النجاة او فى طريق الهلاك وجى بلفظ
الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور بان يتخير
ما شا من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول
الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم
النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بما كالمهل كقوله فاغيثوا بالصيلم
وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردى الزيت يشوى الوجوه
اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبى صلى الله عليه هو كعكر الزيت

فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكا
من المرفق وهذا لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا الا
ان يكون من قوله اى ارقت فبت الليل مرتفقا كان عينى فيها الصاب مذبوح اوليك خبر
ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واوليك خبرين معا او تجعل اوليك كلاما
مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير
الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما
معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن
منوان بدرهم من الاولى للابتدا والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها فى الحسن
وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين
النوعين وخص الاتكا لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين
اى ومثل حال الكافرين والمومنين بحال رجلين وكانا اخوين فى بنى اسرايل احدهما كافر اسمه
قطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال
قايل منهم انى كان لى قرين وورثا من ابيهما ثمنية الف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر
ارضا بالف فقال المومن اللهم ان اخى اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا فى
الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم انى اشترى منك دارا فى الجنة
بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم انى جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى
اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به
ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بنى مخزوم مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد
الاشد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من اعناب
بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين

في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي
جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده البا مفعولا ثانيا كقولك غشيه
وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة
بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب
الانيق ونعتهما بوفا الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته
من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر
وقرى بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص واتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد
ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرى وفجرنا على التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى
اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن
مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة
وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شا واعز نفرا يعني
انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام
من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين
ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد
الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا
نصيب له في الجنة التي وعد المومنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا
واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك
نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول
امله واستيلا الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب
امثاله وترى اكثر الاغنيا من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه ولين رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض

والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على
الله وادعا لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله
وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرى
خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك
خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق
اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا
هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فكان الادغام ونحوه قول القايل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك
لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع
منها اليه يا الضمير وقراة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك
وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف
بالها لكنه وقرى لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على
الاصل وفي قراة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا
قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غايب
لكن عمرا حاضر ما شا الله يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف
تقديره الامر ما شا الله او شرطية منصوبة الموضع والجزا محذوف بمعنى اي شي شا
الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت
عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شا الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما
حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة وان شا خربها وقلت لا قوة
الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى

احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حايطه ايام الرطب
فيدخل من شا وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل
انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا
نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع
من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك
ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى
الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان
وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر
واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه
واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه
اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر
لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى
الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي
خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها
الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة
شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى
دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله
ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر
على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان

نادما صح

منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان
والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها
غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك
السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويومن
به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه
من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه
المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر
اخاه المومن وصدق قوله عسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في
تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا
عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل
وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم
القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف
بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الما فاختلط به حتى روي ورف
رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين
موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة
وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها
وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفنا بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره
الرياح كان لم تكن وكان الله على كل شيء من الانشا والافنا مقتدرا الباقيات الصالحات
اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا
وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة

كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اى ما يتعلق به من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان
صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الاخرة قرى تسير من سيرت وتسير
من سيرنا ونسير من سارت اى تسير فى الجو ويذهب بها بان تجعل هبا منبثا وقرى
وترى الارض على البنا للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف وقرى فلم نغادر بالنون والبا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر
ترك الوفا والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا
اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب
باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شئ
معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جى بحشرناهم ماضيا
بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا
تلك الاهوال والعظايم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم
على السنة الانبيا من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون
هلكتهم التى هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة
وهى عبارة عن الاحاطة يعنى لا يترك شيئا من المعاصى الا احصاه اى احصاها كلها كما
تقول ما اعطانى قليلا ولا كثيرا لان الاشيا اما صغار واما كبار ويجوز ان يريدوا ما
كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهى المناقشة
وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس
والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغاير قبل الكبائر الا
احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا فى الصحف عتيدا او جزا ما عملوا
ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد فى عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم

كما يزعم من ظلم الله فى تعذيب اطفال المشركين بذنوب ابائهم كان من الجن كلام مستانف
جار مجرى التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قايلا قال ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن امر ربه والفا للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا فى
فسقه يعنى انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق عن امر الله لان الملايكة معصومون
البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملايكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم
فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملايكة
فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما
امره ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب
امر ربه الذى هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه
قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اوليا من دونى وتستبدلونهم بى بيس
البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما
اشهدناهم يعنى انكم اتخذتموهم شركا لى فى العبادة وانما كانوا يكونون شركا لى فيها
لو كانوا شركا فى الالاهية فنفى مشاركتهم فى الالاهية بقوله ما اشهدتهم خلق
السموات والارض لاعتضد بهم فى خلقها ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين يعنى وما كنت متخذهم
عضدا اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا
عضدا لى فى الخلق فما لكم تتخذونهم شركا لى فى العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب
لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغى لك ان تعتز بهم وقرا على رضى
الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل
ضمتها الى العين وقرى عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين

جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى انذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك باياتي ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها

بلغ العرض بالله بنسخة المصنف رحمه الله وتعالى منها

ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم بدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى

لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري
حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو
ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز
ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى
ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه
السلم وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية
ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحري العلم وقرئ مجمع بكسر الميم
وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير
زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا
بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة
الله وقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا
فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند
مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة
تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه
قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي
به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت
الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى

بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على
علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله
مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه
مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه
بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا
ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش
ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه
في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان
موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياته
ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على
موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه
وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع
ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين
ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء
وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا
الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلم الحوت قلت قد
شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك
انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة
الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد

من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت
ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى
عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف
ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما
انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ
مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في اخر
كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا
حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب
لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر قرئ نبغ بغير يا في الوصل واثباتها احسن
وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح اليا اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا
في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة
من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا
قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما
دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران
لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت
لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن
سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى
وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفي استطاعة الصبر معه على وجه
التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل
الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ

في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه
نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص
او في لا محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلم لحرصه على العلم وازدياده ان
يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلم عن حقيقة الامر فوعده الصبر
معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند
مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة
اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لابد
لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة
يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك
وجه صحته فحميت وانكرته في نفسك ان لا تفاتحني بالسوال ولا تراجعني فيه حتى اكون
انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على
ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج
فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبيا وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا
اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الما فجعل موسى
يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق
اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا من امر الامر اذا عظم
عظيما ص
قال داهية دهيا ادا امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني
اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المواخذة
بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي
بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم هذه اختي واني سقيم او اراد
بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه

وارهقه اياه اى ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر على متابعتك
ويسرها على بالاغضا وترك المناقشة وقرى عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل
عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين
فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما
فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا
عليه والجزا قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة
لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة من
الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث
بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان
ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان
قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينه وقيل معناه جيت شيئا انكر من الاول
لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى
زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر
عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت
صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرى فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرى فلا تصحبني اى فلا
تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرى لدني بتخفيف
النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله
عليه رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث
مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض
الله من السما ان يضيفوهما وقرى يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال

اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله
ضيفه وعن النبي صلى الله عليه كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس
اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان
ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفا
وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد
والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة
قال اذا قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق
العود وشكا الي بعبرة وتحمحم ان يكن ظني صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى
الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءه هم اذا انقاد الهموم
تمردا ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين
ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه
من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده
اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه
من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة
وقرى ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى
وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السما مائة ذراع
كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة
فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو

تخذت عليه اجرا او طلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرئ
لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من
الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلم ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير
الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السوال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل
هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف
الى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في
البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه
وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت
ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم
عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو
السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة
ابي وعبد الله كل سفينة صالحة قرا الجحدري فكان ابواه مومنان على ان كان فيه ضمير
الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المومنين طغيانا
عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما
بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك
لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة
عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة
الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا

كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم
الرحمة والعطف فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على
يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا مثلهما قيل
اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل
مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح
وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر
لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم واحلت لنا اراد قوله تعلى والذين يكنزون الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد
بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة اباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج
في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير
منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد
ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي
وانما فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها
مومنان ذو القرنين وسليمن وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ
واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه
الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة
من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا
يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء

الملیكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل
عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكوا ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس
بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه
الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذو القرنين وفيكم مثله قيل كان
يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه سمي ذو القرنين
لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان
وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم
والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه
ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح
اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على
جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من
كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا
اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع
سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع
سببا وقرئ فاتبع قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى
حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه على جمل فراى الشمس
حين غابت فقال اتدري يا باذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها
تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن
وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرا معوية حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى
كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في

ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها
في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحمء اسود ولا تنافي بين
الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره
الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في
استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك
هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل
خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى
المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى
اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب
النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن
بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا
وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع
الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان آثارا مجر الرامسات على قوم قيل
هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت
الصين فسالت عن هولاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم
يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر
كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت
وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا
سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه
في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان

عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر ذى القرنين كذلك اى كما وصفناه
تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك
وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية
والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما بلغ
مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم
مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين
الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم
وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله
وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ
كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم
لانه من الظروف التى تستعمل اسما وظروفا وهذا المكان فى منقطع ارض الترك مما يلى
المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد
ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وقرئا مهموزين وقرا رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج
من الجيل والديلم مفسدون فى الارض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى
شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه فى صفتهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى ذكر من صلبه
كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر قرى
خرجا وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرى سدا وسدا بالفتح
والضم ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى

من الخراج فلا حاجة بى اليه كما قال سليمن صلوات الله عليه فما اتانى الله خير مما آتيكم وقرئ
ما مكننى على الادغام وبفكه فاعينونى بقوة بفعلة وصناع يحسنون البنا والعمل وبالالات ردما
حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل
حفر للاساس حتى بلغ الما وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار
صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل
بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرى سوى وسوى وعن رسول الله صلى الله عليه ان رجلا اخبره
به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا قال قد رايته والصدفان
بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين
بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب
بافرغ وتقديره اتونى قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ قال
ائتونى اى جيئونى فما اسطاعوا بحذف التا للخفة لان التا قريبة المخرج من الطا وقرئ
فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التا فى الطا فملاق بين ساكنين على غير
الحد ان يظهروه ان يعلوه اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب
لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا
الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربى يعنى فاذا دنا مجى يوم القيمة وشارف ان
يأتى جعل السد دكا اى مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد
اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرى دكا بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا
آخر حكاية قول ذى القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج فى بعض اى يضطربون
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين
يخرجون مما ورا السد مزدحمين فى البلاد وروى يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه

قرا امام المقام بملة ددن
ونونهما فقلت
قرات دكا فنونتهما ما با
نعلا ايلم تنصرف
نعلا وثا لم تنصرف مره
لمفقت تختلف

ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفايهم فيدخل اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها
لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل
معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا
انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولا كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة
بهم للسمع عبادي من دوني اوليا هم الملايكة يعني انهم لا يكونون لهم اوليا كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراة علي رضي الله عنه افحسب
الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اوليا على الابتدا والخبر او على الفعل والفاعل
لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقايم الزيدان والمعنى
ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل
وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان وعن علي رضي الله
عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم
فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم
كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيات من
الموحدين وقري فلا يقيم باليا فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت
الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السوال ويجوز ان يكون
نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاوهم الحول التحول يقال حال
من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع
لاغراضهم واماينهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف
الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما

يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته
وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جينا بمثل البحر
مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل
المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي
ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرى ينفد باليا وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك
خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه
وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقا او فمن كان يخاف سو لقايه والمراد بالنهي عن
الاشراك بالعبادة ان لا يرايي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل
نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه
سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية
وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الريا

عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما وعنه عليه السلم من قرا عند مضجعه
قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملايكة
يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت
المعمور حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم مكية وهي تسعون وثماني او تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

بفتح الها وكسر اليا حمزه وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا

المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرى ذكره على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان
الجهر والاخفا عند الله سيان فكان الاخفا اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص
وعن الحسن ندا لا ريا فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة
او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جا في صفة الشيخ صوته
خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلم فقيل ستون وخمس وستون وسبعون
وخمس وسبعون وخمس وثمانون قرى وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود
البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه
واصلبه فاذا وهن كان ما وراه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية
وقصده الى ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه
الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام
السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره
في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة
ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف
الراس اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة
توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذى احسنت
الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته
وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة
على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احيا الدين ويرتسم مراسمه فيه من
ورائي بعد موتي وقرا ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد
المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسو خلافتهم
من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم

خفت الموالي من وراي وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق
الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي
يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا
ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله
وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني
وامراتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعا والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني
وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري اويرث على تصغير
وارث وقال غليم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني
به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبيا
لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته
وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبيا
ولا علما وكان زكريا عليه السلم من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان
اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن بن داود سميا لم
يسم احد يحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها
كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القايل في
مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال دوبة للنسابة
البكري وقد سال عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها
عن مجاهد لقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد
منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحوه يحيى في
اسمايهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع
قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر

كان الحبورة مصدر
حبر الرجل كالقصو

وانه كان حصورا اى كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال
احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته
على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب
بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان
على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في
المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في
السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة
والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا
كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك
اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع
مصبحين وقرا الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اى الامر كما قلت
وهو على ذلك يهون علي ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى
قول زكريا وقال محذوف في كلتا القرائتين اى قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت
لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم
ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا
وقرا الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اى اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به
قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس
ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة
ايام ولياليهن اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض
سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة اى خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق
والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحلم كحلم فتاة الحي يقال حلم حكما كحلم وهو الفهم

للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما
للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى
اليه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما
اتى بك هاهنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح
واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة
والزكاة الطهارة وقيل الصدقة اى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلم الله عليه في
هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه
القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي
بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من
الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة
ادمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية
شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه
ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل
على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله
على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب
على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي
راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل
قام بين يديها (فانفرج) في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى
اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبرئيل لان الدين يحيا به وبوحيه

او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو
حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي
هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين
وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا ارادت ان كان يرجى منك ان تتقي الله
وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعلى بقيت الله خير لكم ان كنتم
مؤمنين اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ
في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقول
الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان
تمسوهن او لمستم النسا والزنى ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما
اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغي الفاجرة التي تبغي
الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في اليا وقال ابن جني في كتاب
التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله
تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل
مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض ولتجزى
كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا
مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه
اية ورحمة والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرايع والالطاف
وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين
عن ابن عباس فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى
بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطا وابي العالية والضحاك سبعة
اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الاعيسى وقيل ثلث ساعات وقيل

بلغ المقابلة بحمد الله بنسخة الاصل
ونقل منها

حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن
ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة
وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل
غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي
تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعلى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها
الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها ورا الجبل وقيل اقصى الدار وقيل
كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنى خاف عليها قتل الملك
فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من
روح القدس فلا تقتلها فتركها اجا منقول من جا الا ان استعماله قد تغير بعد النقل
الى معنى الالجا الا ترا لا تقول جيت المكان واجانيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطا ولم يقل اتيت المكان واتانيه فلان قرا ابن كثير
في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها
طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحرا
ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتا والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف
الاسما الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحرا كان فيها جذع نخلة متعالم
عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان
يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعلى انما ارشدها الى النخلة
ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفسا الموافقة لها ولان النخلة اقل شي صبرا
على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الايات فيها اختارها لها
والجاها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه
ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعلى

وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساكم اي
الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كان شيئا تافها لا يؤبه له من
شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه
وذلك لما لحقها من فرط الحيا والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة
لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت
به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه
الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب
التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على
الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفرا
هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا
محمد بن كعب القرظي نسئا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
ونزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو
جبريل عليه السلم قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراة عاصم وابي
عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل
منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها
وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة
فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه عن السري فقال هو الجدول قال لبيد
فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو
والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد
الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من
حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل

العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الاهية خارجة
من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا وحتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع
من شانها تساقط فيه تسع قراات تساقط بادغام التا وتتساقط باظهار التاءين
وتساقط بطرح الثانية ويساقط باليا وادغام التا وتساقط وتسقط ويسقط ويسقط
وتسقط التا للنخلة واليا للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراة وعن المبرد
جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والبا في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم
او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك
الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفسا خير من الرطب ولا للمريض
خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمن جنيا
بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احدهما الاكل والشرب والثانية
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا
تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقري وقري بالكسر لغة نجد ترين بالهمز ابن الرومي
عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة
وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله
وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن صوم
الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها
في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثا
ني
كراهة مجادلة السفها ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس
سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها بالنطق
ذكره م
انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها
من ابيها من امثل بني اسرايل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه

انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر
وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم
وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها
به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى
هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ عمر بن لجاء التيمي ما
كان اباك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين
يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري
فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا
ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا
ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلم وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا
وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع
واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى
بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه
وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب
ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس
صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى يكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول
النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله
عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل
الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه نفاعا حيث
كنت وقيل معلما للخير قرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل
في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد والسلام على قبل

ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى
وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا
التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلم واعدائهما من اليهود وتحقيقه
ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره
قوله تعالى والسلم على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام
مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب
وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام
قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على
انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر
بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك
هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة
الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب
بالسما والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان
يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه
شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب
وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على
انتفا الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال
غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد
شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول هاهنا مجاز
ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع

اذا ورد على المامور الممتثل قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه دى وربكم فاعبدوه
كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستاذ وابو عبيد بالكسر على الابتدا
وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اى بسبب ذلك فاعبدوه الاحزاب اليهود
والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطوريه ويعقوبيه وملكانيه
وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس
من مشهد يوم عظيم اى من شهودهم هول الحساب والجزا في يوم القيمة او من مكان الشهود
فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملئكة
والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسو الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها
وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم
وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه
التهدد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعنى
الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع فقضى الامر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه انه سئل
عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب
بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو
متعلق بانذرهم اى وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مومنين يحتمل انه يميتهم ويخرب
ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها الصديق من ابنية المبالغة
ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته
وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اى كان مصدقا
بجميع الانبيا وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعلى بل جا بالحق وصدق المرسلين او كان

الاستاد عاصم والاعمش وحمزة والكسائي والاستاد في كلام العرب كل اربعة من جنس واحد

بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان
يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو
قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اى كان جامعا
لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اباه
وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم
والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله التا في يا ابت عوض من يا الاضافه ولا
يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لان الالف بدل من اليا وشبه
ذلك سيبويه باينق وتعويض اليا فيه عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه
ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصى فيه امر
العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها ليف رتب الكلام معه
في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه اوحى الله الى ابرهيم عليه السلم انك خليلي حسن خلقك ولو مع
الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه
حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه
على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة
ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم
منزلة كالملايكة والنبيين قال الله تعلى ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذى منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت

الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا
وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد
ليس به حس وشعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك
له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى
بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
ولكنه قال ان معي طايفة من العلم وشيا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق
السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني
انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي
استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد
بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابنا جنسك كلهم هو الذي ورطك في
هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان
ابرهيم عليه السلم لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي
الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته
لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع
بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب
حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب
فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليايه
اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز
العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان
التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصايح
الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان تكون

موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع
ولا ابصار وشيا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيا من الغنا
ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني
وجهك قد جاء فيه تجدد العلم عنده لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة
الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا
في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب
والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك
لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني
او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا
بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا
كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف
عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع سلام
عليك سلام توديع ومتاركة لقوله تعلى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال
هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان
قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط
التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما
يومر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما
استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يومن واستشهدوا بقوله تعلى

وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقايل ان يقول الذي منع
من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد
بالاستغفار والوفا به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته
قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا ازر
اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها
اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به اراد بالاعتزال
المهاجرة الى الشام المراد بالدعا العبادة لانه منها ومن وسايطها ومنه قوله عليه السلم
الدعا هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعا الذي
حكاه الله في سورة الشعرا عرض بشقاوتهم بدعا الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعا ربي
شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد ترك
الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مومنين انبيا من رحمتنا هي النبوة عن الحسن
وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه لسان الصدق الثنا
الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال
اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته
واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز
وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اثنى عليه واعلى ذكره المخلص بالكسر الذي اخلص
العبادة عن الشرك والريا او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله
الرسول الذي معه كتاب من الانبيا والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع
الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض

بلغ

العظما للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم
الذي كتبت به التورية من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون اي
بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك
رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته
كذا عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر اسمعيل عليه السلم بصدق الوعد وان كان موجودا
في غيره من الانبيا تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه
المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره
سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شا الله من
الصابرين كان يبدا باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراهم ولانهم اولى
من ساير الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا
الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة
وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب
فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوايد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي
ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا
من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل
العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه
الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا
من الدرس المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة
وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها
وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السما الرابعة وعن ابن عباس

هذا م

الى السما السادسه وعن الحسن الى الجنة لاشى اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى انه
لما انشد رسول الله صلى الله عليه الشعر الذى اخره بلغنا السما مجدنا وسناءنا وانا
لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك اشارة
الى المذكورين فى السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن فى من النبيين للبيان مثلها فى قوله
تعلى فى اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع
الانبيا منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد
اى نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم
وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرايل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن
هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا
تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير
لان التانيث غير حقيقى مع وجود الفاصل البكى جمع باك كالسجود والقعود فى جمع
ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن
صالح المرى قرات القران على رسول الله صلى الله عليه فى المنام فقال لى يا صالح هذه
القراة فاين البكا وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحن فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه ان القران نزل بحزن
فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا اية تنزيل
السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون
من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحن قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين
لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند
تلاوة اياتك خلفه اذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بالفتح وفى عقب السو خلف
بالسكون كما قالوا وعد فى ضمان الخير ووعيد فى ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنه

هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن
ابرهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعنى الكفار
وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور وعن قتادة هو فى هذه الامة وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع
كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغى لايما وعن الزجاج جزا غى كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام او غيا
عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون
قرئ يدخلون ويدخلون اى لا ينقصون شيا من جزا اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم
بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذى بمعنى ما
منعك او لا يظلمون البتة اى شيا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن
ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالى وعدن معرفة علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعانى الفينة والسحر
والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا
ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها
بالتى وقرى جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتدا اى وعدها وهى غايبة عنهم
غير حاضرة او هم غايبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل
فى ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك
اتى اليه احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته
وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التى
لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل

اى اكرموا انفسهم عنه ولم يخالطوا اهله

والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا
يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثنا المنقطع او لان
معنى السلام هو الدعا بالسلامة ودار السلام هي دار السلام واهلها عن الدعا بالسلامة
اغنيا فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس
٢ من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى
وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند
العرب من وجد غدا وعشا وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان
صباحا ومسا وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرى
نورّث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ولان الاتقيا يلقون
ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد
اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبرئيل صلوات الله عليه حين
استبطاه رسول الله روى انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن
قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه
فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبرئيل
قال له النبي صلى الله عليه ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني
عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة والضحى
والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست
لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل
وبمعنى التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين

وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا
من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان
الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من
الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك
مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة
وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال
التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودها وما بعد فنائها وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا
والسما التي وراءنا وما بين السما والارض والمعنى انه المحيط بكل شئ لا تخفى عليه خافية
ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته
ويامرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن
عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها
وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير
والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين
غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السما والارض
وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه فحين عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل
واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن
جبرئيل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي
مثله في البغي ورب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي
هو رب السموات والارض فاعبده كقوله وقايله خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز

ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا
عدى واصطبر بعلى التي هي صلته لقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت
بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته
اريد ان العبادة تورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك
عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة
المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما
الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن
ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه اخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل
لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا
صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم
الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قايلين ذلك قلت
لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي
ورقا وهو ورقا بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه
باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قايم قلت بفعل مضمر يدل عليه
المذكور فان قلت لام الابتدا الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف
جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة
في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا
احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد

والمراد الخروج من الارض او من حال الفنا او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا
اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرا الحسن وابو حيوة
لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم
الظرف وايلاوه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة
ومنه جا انكارهم فهو كقولك للمسي الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه
الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف
يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب
واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود
ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال
واقتدا بمولف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما
الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف
الاجزا الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك
والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على
ان رب العزة سوا عليه النشأتان لا تتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج
الى احتذا على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث
بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر
بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل
من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه
مضافا الى رسول الله صلى الله عليه تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان
السما والارض في قوله فورب السما والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون
[illegible] وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين

الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان
الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت
اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في
الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا
حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله
منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء
الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم
فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص
فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف
جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله
تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من
تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمانينة
او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم
حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا
حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل
الى الثواب والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت
اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز
من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا
اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين
هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي

من بين سائر الضالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا
رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع
على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني
على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد
ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن
بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب
عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق
على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او
يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولك هو اشد على
خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة
وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود
دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها
اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه عن ذلك فقال
اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون
على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله
اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على
الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله

دلما وردماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد
ورود المؤمن النار هو مسّ الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم
وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان
اريد الكفار خاصة فالمعنى بيّن الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب
كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به
وعزم على ان لا يكون غيره قرئ ننجّي وننجي وينجّي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد
الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجّي الذين اتقوا ان
المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي
قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثَمّ ننجي بفتح الثاء اي هنالك وقوله
ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات
الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها
البيان بالمحكمات او تبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدّي بها فلم
يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك
ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم لقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل
والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم
وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر
حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم

بلغت المقابلة بنسخة المصنف رحمه الله
ونقل منها

كانوا يرجّلون شعورهم ويدّهنون ويتطيّبون ويتزيّنون بالزين الفاخرة ثم يدعون
مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها
اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن
في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على
الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جدّ من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد
الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريّا
على القلب كقولهم راء في رأى وريّا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة
والترفة من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب
وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيّا واشتقاقه من الزي
وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء اي مدّ له الرحمن يعني امهله
واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به
الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء
بان يمهله الله وينفّس في مدة حياته في هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية
التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه
الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من
الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروا وانهم شر مكانا
واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل

بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم
الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم
وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين
او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى
بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون
شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم
والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان
ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد
او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية
بتوفيقه الباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحن الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا
وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاي زندا فان قلت كيف
قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه
قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه
اصلا اذا راح المطي غرانا وقولهم تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا
وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت
فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون
الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها
طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء افادت
لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه
عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية

قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا
له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول اوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا
باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك
قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى
بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه
فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله
نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان
لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد
حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني
وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال
انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني
اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه
ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله
كتب من غير تاخير قال الله تعلى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت
فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد
يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر
فجردها هنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه
بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد
يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم ولكد

ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه
ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى
مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فيقول له ولي فوق
ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته
ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله
عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال
ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه
ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله
ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته
في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله
وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره
سوا في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعا وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة
وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم لقولك
زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه
كل هذا الراي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي
هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة
اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله
تعلى واذا رأى الذين اشركوا شركاهم قالوا ربنا هولا شركاونا الذين كنا ندعو من دونك
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسو العاقبة ان يكونوا قد عبدوها

٢٤٧

(زمتنا) ثلثة لعز او الادضد ... الذل والعون اى ... والضد علیهم ضدا

قال الله تعلى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا
لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا
والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك
وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلم
وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون
الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها
وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداهم
ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها
التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شا لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله
صلى الله عليه بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاجتهم
ومعاندتهم للرسل واستهزاهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم
على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفا الشك عنه وانهماكهم لذلك
في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم
بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع
دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها
في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعلى ولا تستعجل
لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه كان اذا قراها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر
العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت
الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر

ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب
بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته
وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن
علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب
سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم
نعم عطاش تساق الى الما والورد العطاش لان من يرد الما لا يرده الا لعطش وحقيقة
الورد المسير الى الما قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما
فسمي به الواردون وقرئ يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في يملكون ان جعل
ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان
تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل
من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف
اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار
بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه قال لاصحابه ذات يوم ايعجز
احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح
ومسا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد
ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني
الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا
توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع
تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون
الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع
الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في

السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له
قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر
والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي ادا تكاد قراه الكسائي ونافع
باليا وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه
وكرر الفعل فيه وقرا ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له
اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال
ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحنه
يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني
على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا
والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين
وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه
الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد
جيتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة
زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا
في ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان
في القوم حاتما على جوده لضن بالما حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضا
الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعا الولد للرحمن ومرفوعا بانه
فاعل هدا اي هدها دعا الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من
الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها

منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاوه
فانت وجميع ما عندك عطاوه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله لبعض خلقه واخرجه
بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر
على احدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى
نسب الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلم من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بنى نهشل لا ندعى لاب اى لا ننتسب اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اى ما
يتاتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة
اما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها واما التبنى فلا يكون الا فيما هو من
جنس المتبنى وليس للقديم سبحنه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله رب من انضجت
غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصا
الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا فى
الملئكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح
ان يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله اولادا فى عبادته كما يخدم الناس
ابنا الملوك خدمتهم لاباءهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم
عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملئكة
ومن الناس الا وهو ياتى الرحمن اى ياوى اليه ويلتجى الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا
خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه
له هولاء الضلال ونحوه قوله تعلى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون
بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم

لا يفوته شئ من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هولا
المشركين احد وهم برآ منهم قرا جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى
القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التى يكتسب بها
الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع
منه ابتدا اختصاصا منه لاوليايه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب اعدايهم الرعب
والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المومنون حينيذ
ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة
يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروى ان النبى صلى الله عليه
قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المومنين
مودة فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس يعنى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول
الله صلى الله عليه يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل
ثم ينادى فى اهل السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يضع له المحبة
فى الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة
السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل وبشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك
اى بلغتك وهو اللسان العربى المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد
الشداد الخصومة بالباطل الاخذون فى كل لديد اى فى كل شق من المراء والجدال
لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرى تحس من
حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرا حنظلة تسمع مضارع اسمعت
والركز الصوت الخفى ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال
المدفون عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة مريم اعطى عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق

ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات
بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة واربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو عمرو وفخم الطا لاستعلايها وامال الها وفخمها ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون
امالوها وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه كان يقوم في
تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت
همزته ها او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والها للسكت
ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة
ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم
قالبون اليا طا فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر
لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق
الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق
التنزيل هي التي يعول عليها الالبا المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسما
الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون
خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قران وان
يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القران لتشقى لتتعب بفرط تاسفك
عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقا يجئ في
معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا

ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في ادا الرسالة
والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك
تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل
فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه
السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا
اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا
بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب
مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية
والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط فان قلت اما يجوز
ان يقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها
نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي
في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت
هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها
نصب على الاستثنا المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا
اليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم
وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا
ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يوول
امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في
نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان
الشي لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلنا
الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى

مفعولا به اى انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ
تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى
تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون
متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت
ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة
الافتنان في الكلام وما تعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما
تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد
المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة
من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملئكة النازلين معه وصف
السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ
الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير
هو الرحمن واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي
هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا
جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان تكون كذلك وان تكون
مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف
الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد
على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان
كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان
مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط
يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم
جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل بل يداه

مبسوطتان اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل
للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام ما تحت الثرى ما تحت
سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة
اى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته
في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم
اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان
تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن
الجهر لقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما
للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الحسنى تانيث الاحسن
وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث لقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب
اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها
على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن
قفاه بقصة موسى عليه السلم ليأتسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر
على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ
ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اى حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا
لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلم في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له
في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا
اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه
يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به

لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان
الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع
وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس
النار المقتبسة فى راس عود او فتيلة او غيرهما وقيل المقبسة لما يقتبس منه فيه من
شقفة او نحوها هدى اى قوما يهدوننى الطريق او ينفعوننى بهداهم فى ابواب
الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع
احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى
ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين
اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار
الندى والمحلق قرا ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى بانى انا ربك وكسر الباقون
اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى
انى انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا
موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع
كلام شيطن فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست واسمعه
بجميع اعضاى وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها
نار بيضاء تتقد وتسمع تسبيح الملئكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت
عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف
ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس
فى نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من
جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به

وقيل ان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم
دخول المسجد بنعليه وكان اذا اندر منه الدخول منتعلا تصدق والقران يدل على
ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما
من وراء الوادى طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة
وقيل مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع
او باخترتك لذكرى لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال
الصلاة على الاذكار عن مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك
بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص
ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس
فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة لقوله ان
الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان
ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتنى قدمت لحيوتى وقد حمل على ذكر الصلاة
بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصليها اذا ذكرها
وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول
اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او يتقدر بحذف المضاف اى لذكر صلاتى او لان
الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة وقرا رسول الله صلى الله عليه للذكرى
اى اكاد اخفيها فلا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاها ولولا ما فى الاخبار باتيانها
مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسى ولا دليل
فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه ان فى مصحف

أني أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم
عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره أي قرب
إظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر
بيت امرئ القيس فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد فأكاد أخفيها
محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها أي لا يصدنك عن تصديقها
والضمير للقيمة ويجوز أن يكون للصلاة فإن قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن
صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت
هذه العبارة لأداء هذا المقصود قلت فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن
التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد
الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب
كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب
رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب
المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه يعني
أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا
من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك
واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان
وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن
الهلاك والردى مع التقليد وأهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب
الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله
ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة
وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على

قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة
حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى
من عجيب الصنعة وأنيق السرد قرأ ابن أبي إسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا
بشرى أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت
الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي
وعن ابن أبي إسحق سكون الياء أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على
رأس القطيع وعند الطفرة هش الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله
وعن لقمن بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد
لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف
كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر
لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم
ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال
من أمر عظيم يحدثه الله فقال ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع
العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن
يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها
ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى
والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل
بشأنها وقيل إنما سأله ليبسطه منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله
عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم
العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن جناه
بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته

من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على
شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها
السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البير
وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى
ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها
فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام السعي المشي بسرعة وخفة حركة
فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما
الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما
تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها
كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها
حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص
الثعبان وسرعة الجان والدليل عليه قوله فلما راها تهتز كانها جان وقيل كان لها
عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما راى ذلك الامر العجيب
الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن
عباس انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع كل شيء خاف ونفر
وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من
السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت
الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي
سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من
عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين

ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى
انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد
الذهاب كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى
يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب
التي عرفتها قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان
جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند
الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة
والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب
الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة
عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف
ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء واية حالان معا ومن غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب اية وجه آخر وهو ان يكون
باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف
لنريك اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الايتين بعض
اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من اياتنا او لنريك من اياتنا الكبرى فعلنا
ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا
جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه
من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل
عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم

الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازير فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا لقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون

بلغ المقابلة بنسخة المصنف رحمه الله ونقل منها

وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك

سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل
فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته
وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس
على راس بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس
وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر
القاه بساحله وهو شاطئه لان الما يسحله اي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من
الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه
النهر الى حيث البركة مني لا يخلو ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني
احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي
محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون
وكل من ابصرك يروى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر
عنه من راه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشي
بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به
عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه
او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرى ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها
والجزم على انه امر وقرى ولتصنع بفتح التا والنصب اي وليكون عملك وتصرفك
على عين مني العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا
فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح
وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول
وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في اخرها يروى ان اخته واسمها
مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان

لا يقبل ثدي امراة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان اسية استوهبته
من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي
استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من
عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر
لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون
مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتا التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال
سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في
عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة
مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما
يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالخير والشر فتنة
مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة
منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضاي وقدري ان اكلمك واستنبئك
في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبيا وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله
من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه
وخصايص اهلا لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة
والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه واذنه ولا يامن على مكنون سره
الا سوا ضميره الوني الفتور والتقصير وقرى تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا
تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين

بذلك العون والتأييد منى معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى الا بذكرى ويجوز
ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من
اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى ان الله اوحى الى هرون وهو
بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف والقول
اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا
ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه
بما يكره والطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة
وقيل كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجى
لهما اى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر
عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما
اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اى يتذكر ويتأمل فيبذل
النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره
الى الهلكة فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق
الخيل اى نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره
اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته
واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين
حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط فى
الاذية اى نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد فى معاقبتنا
ان لم يعاجلنا على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطى الى ان يقول فيك

ما لا ينبغى لجرأته عليك وقسوة قلبه وفى المجئ به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز
باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة معكما اى حافظكما وناصركما اسمع
وارى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظى ونصرتى لكما فجائز
ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز ان لا يقدر شئ وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر
سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت
المبالاة بالعدو وكانت بنو اسرائيل فى ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال
الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شئ مع قتل الولدان واستخدام
النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك مجرى البيان
والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجئ بالاية انما وحد قوله باية ولم
يثن ومعه آيتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك
بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم
فات باية ان كنت من الصادقين او لو جئتك بشئ مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة
الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه
النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان
يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون
والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين
خلقه اول مفعولى اعطى اى اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما
اى اعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة
التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل
واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان
نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة

فلم يزاوج منهما شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او
للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف
يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه
لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق سال عن حال من تقدم وخلا من
القرون وعن شقا من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سوال عن الغيب
وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به
علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله
ان يخطئ شيا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك
ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد
نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف
القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم
فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطا
والنسيان كما يجوز ان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل
انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع صفة
لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا
قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد
للصبي سلك من قوله تعلى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين
اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا انتقل
فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع
تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شيء على ارادته

ومثله قوله تعلى وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل
من السما ما فاخرجنا به مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما
ما فانبتنا به حدايق وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت
قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض
شتى صفة الازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات
مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة
النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من
نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما
يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا
المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا
بعضها اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلم منها وقيل ان الملك
لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب
والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم
كما كانوا احيا ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما
علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها
مسالك يترددون فيها كيف شاوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم
وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم
اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه تمسحوا بالارض فانها بكم برة اريناه
بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعلى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض
بصاير وفي قوله آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو

التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة
الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى عليه السلم العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني
ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبيا من اياتهم ومعجزاتهم
وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى ان
يقبل شيا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق يلوح من جيب قوله اجيتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جابه موسى عليه السلم
ولعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا
يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا
فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه
بالسحر لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا
او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك
شيان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله
مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم
يوم الزينة وقراة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة
بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد
ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت كيف
طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسوال واقع عن المكان
لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان
يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر
الزمان علم المكان واما قراة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم

يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف
ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا
قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب
قلت اما على قراة الحسن فظاهر واما على قراة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد
يوم الزينة ويجوز على قراة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره
على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم
النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك
اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى
وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو
من الاستوا لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون
فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان
تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة
اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون
ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون
علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رووس الاشهاد وفي
المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم
ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر
والمدر لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا قرئ فيسحتكم
والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق
الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه عن ابن عباس
ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما

فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم
تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت
نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما
قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص
ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية
والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان هذان
ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان
لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف
كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران
خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به
ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون
وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل
وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة
قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده
وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فيه ولا يتخلف
عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين
وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن
ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين
ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ايتوا مصلى من
المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان ما بعده اما
منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين

وتزويره من الزور
وهو الذوق يقال
داز العدل

او الامر القاوك والقاونا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له
وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك
وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا
ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للنا
ظرين
وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة
بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها
فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا
حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على
مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر
اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال
قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال
والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو
المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع
نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره
وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو
الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها
اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه
بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي

لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على
كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع
على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا
بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب
فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر
او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه
يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا
الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر
اي هذا الجنس فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل
تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت
وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخره المراد تنكير الامر كانه قيل انما
صنعوا كيدا سحريا وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي حيث اتى كقولهم حيث سير
واية سلك واينما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود
ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم
يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا
اراهم الله منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم
درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا
يريدون معلمهم واستاذهم في القران وفي كل شيء قرئ فلاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع
من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان
هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ

من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها
مختلفات لانها اذا خالفت بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب
في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل اينا يريد نفسه لعنه
الله وموسى صلى الله عليه بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله
يومن بالله ويومن للمومنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس
بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلم واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط
من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم قرئ تقضى هذه الحياة الدنيا
ووجهها ان الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني رؤوسهم
كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم
السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه تزكى تطهر من ادناس
الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية قولهم
وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في
ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما
العدم والعدم ومن ثم وصف به المونث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف
لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة على فعل
او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط
جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب
وقرا ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون
وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ففيه ثلثة اوجه ان يستانف كانه قيل

وانت لا تخشى اى ومن شانك انك آمن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي
هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون
بالله الظنونا وان تكون مثل قوله كان لم ترى قبلى اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب
الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم
كنهه الا الله وقرى فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم
اما الله سبحنه او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله
وما هدى تهكم به فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بنى اسرايل خطاب لهم بعد
انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم فى عهد رسول الله صلى
الله عليه من الله عليهم بما فعل بابائهم والوجه هو الاول اى قلنا يا بنى اسرايل وحذف
القول كثير فى القران وقرى انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرى الايمن
بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد
موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما عدى
المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت
منافعها التى قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم
فى النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام
بشكرها وان ينفقوها فى المعاصى وان يزووا حقوق الفقرا فيها وان يسرفوا فى انفاقها
وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرى فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل
المكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداوه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ
الهدى محله والمضموم فى معنى النزول وغضب الله عقوبته ولذلك وصف بالنزول
هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من راس مرقبة ففتت
تحتها كبده ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده الا هتدا هو الاستقامة

والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخى دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين
فى جاءنى زيد ثم عمرو واعنى ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه
لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اى شى عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى
مع النقبا الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد
به بنا على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله
الا نظرا الى دواعى الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم هم النقبا وليس
لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فاتهم قبل الميعاد وجه صحيح ياباه قوله
هم اولاء على اثرى وعن ابى عمرو ويعقوب اثرى بالكسر وعن عيسى بن عمر اثرى بالضم
وعنه ايضا اولا بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع فى فرند السيف
مدون فى الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت
ما اعجلك سوال عن العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك
والشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثرى كما ترى غير منطبق عليه
قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى
السوال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد
العلة فى نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به
فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها
الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السوال عن السبب فقال وعجلت اليك رب
لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن
الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستماية الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت
فى

القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع اياما ها وقالوا
قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعلى
لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعلى عن الفتنة
المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترص السامري غيبته فعزم
على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا قرئ
واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض
دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب
ومنه قوله عليه السلم في موت الفجاة رحمة للمومن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين
فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر
ذي الحجة وعدهم الله سبحنه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن
من ذلك واجمل حلي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية تحمل اسفارها سبعون
جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني
بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده
بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا
اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري
وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها
اثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان
ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري
التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فلذلك القى السامري

[margin:] سئلت عن موسى وموسى ما الحد
والفرق بين الموسيين قد ظهر
موسى بن عمران وموسى بن ظفر

اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم
فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطن انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج
لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما يخور
العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احيا الموات قلت
اما يصح ان يوثر الله سبحنه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من
الكرامات وهو ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه
الله ان شا عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه
في الدرع فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل
وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل
فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان
اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم
هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه ها هنا وذهب يطلبه عند
عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه
فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل
من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع
من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون عليه
السلم بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني
في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن
وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني قرئ
يا ابن ام بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا.

مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شي شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك
حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا من الايات العظام ان القى الواح
التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف
باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه
وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا
فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على
اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهما ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك
والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلب فاذا قيل لمن يفعل
شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرى بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى
علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له قرا الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم
المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض
من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد
الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخا بجميع
الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول فان قلت لم
سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى
الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره
السامري فقال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من تربة موطيه فلما ساله موسى عن
قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف
انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شي اطم منها واوحش وذلك انه منع من
مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته
وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم

الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش
من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق
فيهم ذلك الى اليوم وقرى لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظبا ان وردت
الما فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة
من الاب وهو الطلب لن تخلفه اى لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك
والفساد في الارض ينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت
من خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرى لن تخلفه وهذا من اخلفت
الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى
واخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اى لن يخلفه الله كانه
حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك ظلت وظلت وظللت والاصل ظللت
فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظا ومن لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه
ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر
ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد
بالمبرد وعليه القراة الثالثة وهي قراة علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه
بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار
سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قرا طلحة الله الذي
لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شي علما وعن مجاهد وقتادة وسع فوجهه
ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شي واما علما فانتصابه على التمييز وهو
في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية
لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد
بالنقل ما كان فاعلا مفعولا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل

لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرًا لبيناتك وزيادةً فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرةً وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكرٌ عظيمٌ وقرآنٌ كريمٌ فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقى يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمّل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعلى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اى فى ذلك الوزر او فى احتماله ساء فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى قوله تعلى نعم العبد انه اواب ايوب الذى هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعلى وساءت مصيرا اى وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام فى لهم ما هى وبم تتعلق قلت هى للبيان كما فى هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون فى ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شئ بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعلى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهمّهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب اسند النفخ الى الامر به فيمن قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة

بلغ المقابلة بنسخة المصنف رحمه الله وللفضل منها

التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعلى او لاسرافيل عليه السلم واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرئ فى الصوَر بفتح الواو جمع صورة وفى الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى انه القرن قيل فى الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شئ من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثانى ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالّا منهم فى قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعلى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله تعلى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اى فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت

قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان
والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له
موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستوا والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ
ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك
وعيون البصرا من الفلاحة واتفقتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت
راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على
عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا
ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير
والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل
فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى
وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من
يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس
يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو
بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع
وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس
الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر
من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف
اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي
له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذا اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون
بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة

وسو الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاساري
ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد
خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ
من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين
اذا اكتالوا يستوفون ويسترجحون واذا كالوا يخسرون اي فلا يخاف جزا الظلم والهضم لانه
لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك
الانزال وكما انزلنا عليك هولا الايات المضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة
مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة
والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث ونحدث بالنون والتا اي
تحدث انت وسكن بعضهم التا للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله
الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
وللادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما
ذكر القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران
فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراتك
مساوقة لقراته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان
منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن
للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم
وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شي حكمة وعلما وقيل ما امر الله
رسوله بطلب الزيادة في شي الا في العلم يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك
الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحنه قصة ادم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه

ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم
ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت
الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعن قدم راسخ فيه
فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض
الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها
وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من
الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي اي نساه الشيطان والعزم التصميم
والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود
يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا
له عزما اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته
اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة
البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان
قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن
اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى
عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر
بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد
بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان
فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة
قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء
على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال اي جملة مستانفة كانه جواب
قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله

فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج
لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم
فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب
في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى آدم
ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ وانك بالكسر والفتح
ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا يدخل على ان فلا يقال ان
ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت
الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن
حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان
الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان
فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب
كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري
والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى
يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام
في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة
الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها
حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد
ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك
حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد

بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل
على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر طفق
يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا
مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته
والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها
الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا
فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا
الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس
لا شبهة في ان ادم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة
الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان
غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا
الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل ادم واخطا وما اشبه ذلك
مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب
الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة
وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر
فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل
وهذا وان صح على لغة من يقلب اليا المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي
فنا وبقا وهم بنو طيئ تفسير خبيث فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه
قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبي الي كذا فاجتبيته ونظيره
جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا

اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت
الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ
التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى لما كان ادم وحوا عليهما السلم اصلى البشر
والسببين اللذين منهما نشاؤا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا
مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب
وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع
القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى والمعنى ان الشقا في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين
فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه
الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمونث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى
ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق
ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة
طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد
من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله
مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته
وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله
تعلى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السما والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم
مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو

الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر قرئ ونحشره
بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره
بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر
بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها
وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض
عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الاخرة ختم آيات الوعيد
بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد
من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا
فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى
وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز
ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان
قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة
السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا
عادا وثمودا لازما لهولاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال
بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى
لا يخلو ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل
مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاجل العاجل منه
بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه المراد
بالتسبيح الصلاة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا
فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان

في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار
مختصا لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل
والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال
ام من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف
الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في
معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي
اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة للاختصاص كما اختصت
في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت
ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلاة طرفي
النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجي الامرين
في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار
عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان
تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن
عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور
اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما
اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولو العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير
لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده
الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع
وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن
عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في
وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك

لانهم انما اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة فالناظر اليها محصل الغرضهم وكالمغري
لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من ها
الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا
منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم
وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا
ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي
زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو
الزينة والبهجة كما جا في الجهرة الجهرة قرى ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر
وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفا الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم
وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المومنون والصلحا من شحوب الالوان والتقشف
في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم اولنعذبهم
في الاخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الاخرة الذي هو خير منه
في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة اولان اموالهم الغالب عليها
الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى
نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن
قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه الى يهودي وقال قل له يقول لك
رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله اني لامين
في السما واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك
وامر اهلك بالصلاة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على
خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك
ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قول

الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما
عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن
بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر
الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة فقيل
لهم اولم تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القران من قبل ان القران
برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وليست تلك بمعجزات
فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرى
الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل
قرى نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة
ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرى السوا بمعنى الوسط والجيد او المستوي
والسوء والسوءى والسوي تصغير السوء وقرى فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو
رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه

عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القران الا طه ويس

سورة الانبيا مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم
كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي
رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص

عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام موكدة لمعنى الاضافة
وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب
ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان
قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمس ماية عام قلت
هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل ات وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب
وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها
بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في اخر الزمان وقال عليه السلم بعثت في
نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذا ولم يبق الا صبابة كصبابة
الانا واذا كانت بقية الشي وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت
خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهذا
من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم
بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم
ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من جزا للمحسن
والمسي واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم
من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه
وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية
والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم
استماع الاي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصاير التي هي احق الحق واجد الجد
الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطايفة النازلة من القران وقرا ابن ابي عبلة
محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او

متداخلتان ومن قرا لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله
وهم واللاهية من لهي عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى
فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم
فان قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت
معناه وبالغوا في اخفايها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون
ابدل الذين ظلموا من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به
او جا على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدا خبره
اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهولا اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا
على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله
في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا
اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجا بالمعجزة
فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون
وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا الحديث وبالغوا في اخفايه قلت كان
ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في
التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداهم في شوارهم ويتجاهدوا في
طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوايجكم بالكتمان
ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمومنين
ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله
واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر
وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم
السر اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العالم لذاته فكيف تخفى عليه

خافية فان قلت فلم ترك هذا التاكيد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجي بالاكد في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجي بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم هاهنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه لهم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان يقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اوليك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه رد لرسول الله لا ياكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبيا قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد

وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشا هم المومنون ومن في بقايه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثنا وحسن الذكر كحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخا وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزا بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا قوما اخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السما يا لثارات الانبيا ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الاية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا

تركضوا والقول محذوف فان قلت من القايل قلت يحتمل ان يكون بعض
المليكة او من ثم من المومنين او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة
ويسمعه مليكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما
اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم
تسئلون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى
عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسئلكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ
فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين
المخدمين او يسئلكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات
والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسئلكم الوافدون عليكم والطماع
ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخيا
ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا
الى توبيخ تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت
لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا اوانك
وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم
مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد
والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين فلما دخل عليها
جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل
قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته
جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود اي وما سوينا

والخمود عطف على المماثلة لا على الحصيد

هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلايق مشحونة بضروب
البدايع والعجايب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير زخارفهم للهو واللعب
وانما سويناها للفوايد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال
ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان
السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفايه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر
على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من
لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا اي من
المليكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه
منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا
عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا
لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم
رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرى
فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا
وقرى فيدمغه من عنده هم المليكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة
المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان
قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور
قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقا
لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دايم في جميع
اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر هذه ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة
قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض
ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت

كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شئ
عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى
النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل
المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة
راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها
الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة
المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه
من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابدا والاعادة
ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها
الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية
وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه اين ربك فاشارت
الى السما فقال انها مومنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي
الاصنام لا اثبات السما مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها أنّ
اما تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من
نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا
آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله
الموتى ونشرها وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت
ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب
والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك
وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما

آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب
ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله
الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير
الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان
حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع
فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان
هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر
اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون
ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وانواع الفساد
عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسال عن افعاله مع ما
علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا
ولا فعل القبائح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما اخلقهم بان يقال لهم
لم فعلتم في كل شئ فعلوه كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم واستعظا ما
لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل
واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن
الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى
توحيد الله ونفي الشركا عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبيا فهو ذكر اي عظة للذين
معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبيا وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين
ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضا فة
من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي
من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراة وادخال الجار على مع غريب والعذر

انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل
على اخواته وقرئ ذكرٌ معي وذكرٌ قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله
وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن
هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحقُّ بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى
ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحقُّ لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى
كما تقول هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل يوحى ونوحى مشهورتان وهذه الاية مقررة
لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملئكة بنات الله نزه ذاته
عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون
عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك
هو الذي غرّ منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرّمون
ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون
شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي
لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم
ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما
قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون
احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه
الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية
الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يامنون
مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من
خشية الله وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم
تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم

بلغ المقابلة بنسخة كتبها المصنف رحمه الله ونقل منها

من اشرك منهم وان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون
كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم
شان التوحيد قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق
والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه
مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى
ذلك ان السما كانت لاصقة بالارض لا فضا بينهما او كانت السموات متلاصقات
وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل فتقناهما بالمطر
والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل
في المظهر فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان
احدهما انه وارد في القران الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني
ان تلاصق الارض والسما وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق
من مخصص وهو القديم سبحنه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى
الى واحد فالمعنى خلقنا من الما كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما
خلقناه من الما لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من
عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الما لا بد له منه ومن هذا
نحو من في قوله عليه السلم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني
والظرف لغو اي كراهة ان تميل بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام
وانما جاز حذف لا لعدم الالباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب
وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف
فما لها قدمت على السبل ولم توخر كما في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت

تعلى

لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالًا لقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت
ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة
والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا
حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع
الشياطين على سكانه من الملائكة عن اياتها اى عما وضع الله فيها من الادلة والعبر
بالشمس والقمر وساير النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب
العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واى جهل اعظم من جهل من اعرض
عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان
من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن ايتها على التوحيد اكتفا بالواحدة
في الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السما من المنافع الدنيوية
كالاستضاءة بقمريها والاهتدا بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن
كونها اية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى
كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة
جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس
واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلا للوصف بفعلهم وهو السباحة
فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان
قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما
تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق
به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل
لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم

يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اى كل
واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان
الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه
الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت
فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هولا وفي معناه قول القايل فقل للشامتين
بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما
يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر
او الشكر وانما سمى ذلك ابتلا وهو عالم بما سيلون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مولد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير
وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك
فان كان الذاكر صديقا فهو ثنا وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
وقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون بهمهم على ذكر الهتهم وما يجب ان
لا تذكر به من كونهم شفعا وشهدا ويسوهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله
وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق
بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف
الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك
من القران والجملة في موضع الحال اى يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزو
والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجئة الى العلم والاقرار
ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان
على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم
ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد

بالانسان ادم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى لما
دخل الروح في عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه
الله في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن
ابن عباس انه النضر بن الحرث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة
حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الما والعجل والله اعلم بصحته فان قلت
لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا
اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان
يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ
خلق الانسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت
الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم
فيه النار من ورا وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون
ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزا والاستعجال ولكن
جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى
لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي
حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل
العظيم اي لا يكفونها بل تفجاهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه
فبهت الذي كفر اي غلب ابرهيم الكافر وقرا الاعمش بل تاتيهم فيبهتهم على التذكير
والضمير للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع الضمير المونث في هذه القراة
قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل
العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراة الاولى
الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم

وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال سلى رسول الله صلى
الله عليه عن استهزائهم به بان له في الانبيا عليهم السلم اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم
كما حاق بالمستهزئين بالانبيا ما فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن
ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاة منه عرفوا من
الكالئ وصلحوا للسوال عنه والمراد انه امر رسوله بسوالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون
لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلاهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال الهم
الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على
نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال
بل ما هم فيه من الحفظ والكلاة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلانا هم
واباهم الماضين الا تمتيعا بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم
حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على
ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب
افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها
واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فايدة في قوله ناتي الارض
قلت الفايدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم
وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها وقرئ
ولا يسمع الصم ولا يسمع الصم بالتا والبا اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله ولا
يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعا المبشر كما لا يسمعون دعا
المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هولا المنذرين
كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراة والجسارة

على التصامّ من آيات الانذار ولئن مسّتهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا
وذلّوا واقرّوا بانهم ظلموا انفسهم حين تصامّوا واعرضوا وفي المسّ والنفحة ثلث
مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير
ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة وُصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة
كأنها في انفسها قسط او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام في ليوم القيمة
مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات
لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيمة اى لاجلهم فان
قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال
ذرة فمثّل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين
الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود
عليه السلم سأل ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي
يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة
فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن
صحايف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات
جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة لقوله وان كان ذو عسرة
وقرا ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم
اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها
وانّث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه اي آتيناهما
الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضيا وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضيا وذكر
او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضيا وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح

كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا
ابن عباس ضيا بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون
اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف محل الذين جرّ على الوصفية او نصب على المدح
او رفع عليه ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعلى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
وقرئ رَشَده والرُّشد والرَّشَد كالعُدم والعَدَم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله
وانه رشد له شان من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا
بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته
وهذا كقولك في خيّر من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن
الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات
رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغابٍ ليحقّر آلهتهم ويصغّر
شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى
كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون
كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعدّاه بصلته التي هي على
ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين
استدرجهم الى ان قلدوا آباهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون
انهم على شيء وجادّون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل
التقليد سُبّة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع
الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك
اراد ان المقلِّدين والمقلَّدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى
مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم

ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله
على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد
وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل
ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه
وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين
الدعاوي بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا
على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم قرا معاذ بن جبل بالله
وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت ما
الفرق بين البا والتا قلت ان البا هي الاصل والتا بدل من الواو المبدلة منها
وان التا فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه
لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر
في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة
دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم
فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم
وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام
وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي
عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير
علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا
قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا
جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه
من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم

وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بنا على ظنه بهم
لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه
انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة
ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم
ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فايدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات
الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم
في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في
الظلمة اما لجرأته على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا
افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا
فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع
لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك
فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادي
والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال بمعنى
معاينا مشاهدا اي بمراى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلا في على قلت
هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب
وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي
ان الخبر بلغ نمروذ واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطايف
هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علما المعاني والقول فيه ان قصد
ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد
تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة

دبكتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن
الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة
فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه
عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به
واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة
وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو
الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل
عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله
كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع فعله
كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى
انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين
رجعوا الى انفسهم وجاوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في
المجادلة بالباطل والمكابرة وان هولاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة
معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا
عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا
وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرى نكسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤسهم قرا به رضوان بن عبد
المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على
عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان

المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا
قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته
كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه
نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا
باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى
ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت
الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها
جبريل عليه السلم يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل
حين رمي هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي وعن
ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة
ومعه جليس له من الملئكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الف بقرة وكف عن ابرهيم
وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به
وافظعه ولذلك جا لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم
ناصرين الهتكم نصرا موزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم
في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا
في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشي فامتثله والمعنى ذات
برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي
بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت
النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها
على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شي قدير ويجوز ان يدفع بقدرته
عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه

قوله على ابرهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه
بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه
نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبيا بعثوا فيه
فانتشرت في العالمين شرائعهم واثارهم الدينية وهي البركات على الحقيقة وقيل
بارك الله فيه بكثرة الما والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير عن سفين
انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من
ما عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس روى انه نزل بفلسطين
ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه
واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سوال يهدون بامرنا فيه ان من
صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس
له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه
اعم والنفوس الى الاقتدا بالمهدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتا الزكاة حكما
حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم
اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشا من قبل
من قبل هولا المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على
سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه
من تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير
لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرى لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى
وقرى فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل

الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشا يقومون عليه
حتى تعود كهيئته يوم افسد ثم يترادون فقال القضا ما قضيت وامضى الحكم بذلك
فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة
داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجا اجتهاد سليمن اشبه بالصواب فان
قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر
وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس
يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم
كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل الانتفاع بالغنم
بازا ما فات من الحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم
في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحب الشفعي فيمن غصب عبدا
فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازا ما فوته الغاصب من منافع
العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها
قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة
سايق او قايد والشفعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على ان
الاصوب كان مع سليمن وفي قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على
الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال
يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال
على الطير قلت لان تسخرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في
الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روى انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه
وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت
بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر وهو ان يسبح من

دأبها تسبير بتسبيح الله فلما حملت على التشبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين
على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبيا اللبوس
اللباس قال المبنى لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح
فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لنحصنكم قرئ بالنون والتا
واليا وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتا للصنعة او للبوس على
تاويل الدرع واليا لداود او للبوس قرى الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع
على الابتدا والنصب للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة
وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم
فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر
فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخا في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن
وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم اية الى اية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في
وقت رخا وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شي فنجري
الاشيا كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر
ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبنا المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة
كما قال يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او
يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي ناداه باني مسني وقرى
اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن الندا معناه والضر بالفتح الضرر في كل شي وبالضم
الضر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنايين لافتراق المعنيين الطف في السوال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى
ان عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان بيتي على العصي
فقال لها الطفت في السوال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملا بيتها حبا

كان ايوب عليه السلم روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلم وقد استنباه الله وبسط
عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم
وخمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب
ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن
قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته
يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي
من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلاي مدة رخاي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه
مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين
وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا
وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة
وقيل كان له ضعف عمل الانبيا في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبيا ذوو
اسمين اسرايل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح ويونس وذو النون محمد
واحمد النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا
على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا
للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن
الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها
وقرا ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف
ويقدر ويقدر على البنا للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير
الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القران
البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرا هذه الاية

وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح
ان يفسر بمعنى بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل
بمعنى وكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير
انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطن ثم يردعه ويرده
بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات الشيطن وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه
قوله تعلى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة
المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من
النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر
منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن
النبي صلى الله عليه ما من مكروب يدعو بهذا الدعا الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله
الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته
فجعله فعل وقال نجي النجا المومنين فارسل اليا واسنده الى مصدره ونصب المومنين
بالنجا فمتعسف بارد التعسف سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث
ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي
فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين
خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبيا يريد انهم استحقوا الاجابة الى
طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور
الجادون وقرى رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه
خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل
متواضعين وسيل الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني
قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل

خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام
جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد
عبارة عن احيائه قال الله تعلى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا
ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احيا مريم
قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان
يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد
وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب
درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل ايتين كما قال وجعلنا الليل
والنهار ايتين قلت لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير
فحل الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي
يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم
اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه
رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم
الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه
الى اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولا في دين الله
والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشي ويتقسمونه فيطير
لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى
ثم توعدهم بان هولا الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم الكفران مثل
في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس
ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه
في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه استعير الحرام

للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان
يكونا لهم وقرى وحِرْمٌ وحَرُمٌ بالفتح والكسر وحَرَّمَ وحُرِّمَ ومعنى اهلكناها عزمنا
على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة
ومجاز الاية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصوّر ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم
القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني
انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرى انهم
بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية
اهلكناها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير
المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراة بالفتح يصح حملها
على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة
غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا
يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط
والجزا اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدها كما حذف
المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرى اجوج وهما قبيلتان
من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس
المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز
من الارض وقرا ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثا حجازية والفا تميمية وقرى
ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة
مسد الفا كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جات الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط
فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار
وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا

ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى
الله عليه دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما
فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون
من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره
الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه
فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا
عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملايكة فقال صلى الله عليه بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم الاية يعني عزيرا والمسيح
والملايكة فان قلت لم قرنوا بالهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة
غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم
قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس
ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما يعبدون الاصنام
فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم
زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب
به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرى بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرى
حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا
يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث
الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله
عنه قرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد وعبد
الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس

الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرى لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر
قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح
الموت على صورة كبش املح اى تستقبلهم الملئكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون
هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل العامل في يوم نطوى لا يحزنهم او الفزع
او تتلقيهم وقرى تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ
الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة اى كما يطوى الطومار للكتابة اى ليكتب فيه
او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه
للمكتوبات اى لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بني ادم
اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى
نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابدا في تناول القدرة لهما على السوا
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم
فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا
قلت هو كقولك هو اول رجل جاى تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة
تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر
لا يجمع ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اى
نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اى اول ما خلق او حال من ضمير
الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر موكد لان قوله نعيده
عدة للاعادة انا كنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل ذلك عن الشعبي رحمه الله زبور داود
والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبيا من الكتب والذكر ام الكتاب يعني

بلغ مقابلة بنسخة المصنف رحمه الله وبعدها

اللوح اى يرثها المومنون بعد اجلا الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشا من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة
يرثها امة محمد صلى الله عليه الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية ارسل صلى الله عليه رحمة للعالمين
لانه جا بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه
منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمايها فيفلحوا
ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث
ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شي او لقصر
الشي على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية
لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم
وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله مقصور على استيثار الله بالوحدانية
وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله
وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون
المعنى ان الذي يوحى الي فيكون ما موصولة اذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله
في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة
اذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب
توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركا كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة
فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك على سوا اى مستوين في الاعلام به
لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين

عليكم كاين لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري
متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون
به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين
وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع
لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ قل وقال
على حكاية قول رسول الله ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي
احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا
ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر
قرئ يصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون
ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله والمؤمنين
وخذلهم قال رسول الله صلى الله من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان
خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو
الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز الحكمي
فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع
في الظرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة
في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة
وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم

بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم
حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدايد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي
بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الايتين
نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراها رسول الله صلى الله عليه فلم نر اكثر باكيا من تلك
الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم
يطبخوا قدرا وكانوا بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة
وقرئ تذهل كل مرضعة على البنا للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول
الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت
المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم
تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به
هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضا
عها
اوعن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع
الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وترى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس
منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة
وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى
نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى
على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي
اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل
وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون
ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا
رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا

لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملئكة بنات الله والقران اساطير
الاولين والله غير قادر على احيا من بلى وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما
يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس
قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشوا غير فارق
بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه
من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار
وما ارى رؤسا اهل الاهوا والبدع والحشوية الملقبين بالامة في دين الله الا داخلين
تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث
دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم
عنى من قال ويا رب مقفو الخطى بين قومه طريق نجاه عندهم مستوي نهج
ولو قرءوا في اللوح ما فيه خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجوا
اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك
وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من تولاه
عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرى انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول
فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه
هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب
فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد
كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم
الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملسا من النقصان
والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقا اذا كانت
ملسا كان الله تعلى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها

ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم
وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم
بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة
ثانيا ولا تناسب بين التراب والما وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين
ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل
في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان
افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا
ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرى ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر
ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع عن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر
الما اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشا ان يقره من ذلك
الى اجل مسمى وهو وقت الوضع اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شا وقدر
وما لم يشا اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل
ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر
في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة
قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم
طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد
كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شي واحد فبنيت لذلك على لفظ
الجمع وقرى ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته
الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان
يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى
الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيا اي ليصير نساا بحيث اذا كسب علما في شي لم

يتشبث ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسئل عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول فلان
فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرا ابو عمرو العمري بسكون الميم الهامدة الميتة
اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث لظهورها وكونها مشاهدة معاينة لكررها الله
تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت والبهيج
الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحيا الارض مع ما
في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه
لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احيا الموتى وعلى
كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد
عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في
المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر
لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلثة
وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلا كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر
وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم اليا
وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما
كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى
جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل
على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار
والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الاخرة هو ما قدمت يداه وعدل
الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه
وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون
على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا

نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا
واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري
ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشام بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه
فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضا الله
والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احديهما ذهاب ما اصيب به والثانية
ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا بالنصب والرفع فالنصب على
الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر
مبتدا محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت
وبعدت مسافة ضلاله فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها
في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى
سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه
يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعا وصراخ حين
يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه
شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب
كقوله فبئس القرين هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا
والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه
انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل
ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سما بيته فاختنق فلينظر وليصور

في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان
المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه
وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزا لانه لم يكد به محسوده
انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل
الى السما المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من
المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق
وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته
فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق
فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله
ايات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يومنون او يثبت الذين امنوا ويزيدهم
هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا
فلا يجازيهم جزا واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة
اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابيون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم
يقضي بينهم اي بين المومنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة
التاكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره
لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد
وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس
وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس
دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن

اولا فاسناده الى كثير منهم اخرا مناقضة قلت لا انظمه كثيرا في المفردات
المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد
اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر
بمعنى الطاعة والعبادة في حق هولا لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة
على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتدا والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله
يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس
الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين
بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير
وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرى حق بالضم وقرى حقا اي حق عليه
العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه
فقد بقي مهانا لم يجد له مكرما وقرى مكرم بفتح الرا بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشا
من الاكرام والاهانة ولا يشا من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين
الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان
وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل
هولا خصمان او اختصما جاز يراد المومنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان
الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله
واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه
خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرى قطعت بالتخفيف كان الله تعالى
يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان

تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس فوق بعض^{ها} ونحوه
سرابيلهم من قطران الجحيم الما الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال
الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الها للمبالغة اي اذا صب الحميم
على رووسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاهم واحشاهم كما
يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ما حميما فقطع امعاهم والمقامع السياط في
الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرا الاعمش
ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من
غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها
فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا
عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك يحلون عن ابن عباس
من حليت المرة فهي حال ولولوا بالنصب على ويوتون لولوا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب
الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية يا كادل ولولا كادل
فيمن جر ولولو وليليا بقلبهما يا ين عن ابن عباس وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقرا وينعش
المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشه
في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم دايم مستمر
للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وناي وطاري ومكي
وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قايلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع
جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشفعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج
بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن
الخطاب دارا للسجن من مالكيه او غير مالكيه سوا بالنصب قراة حفص والباقون على الرفع

ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراة
بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد
بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد
فيه مرادا ما عادلا عن القصد ^{ظالما} نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه
ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل
الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا قول الرجل
في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل
والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان
من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرى يرد بفتح اليا من الورود ومعناه
من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على
الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم
من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت
مباة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السما ايام الطوفان وكان
من ياقوتة حمرا فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله
فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك
والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوية قلت كانت التبوية مقصودة من اجل
العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي من الاصنام والاو^{ثان}
والاقذار ان تطرح حوله وقرى يشرك باليا على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرا ابن
محيصن واذن والندا بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال
يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله امر ان يفعل ذلك في حجة

الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بير بعيدة العمق والمعق نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسايكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقرا ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقها ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا واتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار قضا التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضا ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفا نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف

الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر او الشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثني من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله في سورة المايدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسايبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركا عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشي من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون

بطباعكم عن الرجس وتجنبوه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك النفرة ونبه على
هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس
مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس
مبهم يتناول غير شي كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور
والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا
هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله
عليه انه صلى الصبح فلما سلم قام قايما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
وتلا هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا
شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك تجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب
والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا
ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته الطير فتفرق
مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان
مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السما
والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرى فتخطفه
بكسر الخا والطا وبكسر التا مع كسرهما وهي قراة الحسن واصلها تختطفه وقرى الرياح
تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا
غالية الاثمان ويترك المكاس في شراها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن
الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت
منه بثلثمايه دينار فسال رسول الله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك

وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه مايه بدنة فيها جمل لابي جهل في
انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد
ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من
الجزا الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها
وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضا الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويوكل
منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منا فع
كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحنه وتعلى تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها
الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ
الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل
هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد
بالشعاير المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يا باه شرع الله لكل امة ان ينسكوا له
اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماوه
على النسايك وقرى منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور
يكون بمعنى الموضع فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خا لصا
لا تشوبوه باشراك المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمين من الارض
وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على
تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل البدن جمع بدنة سميت لعظم
بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن

سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة
للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن من الابل وعليه تدل الاية وقرا الحسن والبدن
بضمتين كثمر في ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب
والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها
الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شي فيه
خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له
في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابرهيم من احتاج
الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن
من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا
بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس
باريها بسكون اليا وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحايط وجبة اذا سقط ووجبت
الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها والاطعام
القانع السايل من قنعت وقرا ابو رجا القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع اليه
وقنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سوال او القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير سوال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسوال وقرا الحسن
والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى واستشهد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير
الذي اراد علموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوايمها ثم
يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن اعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها
جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة اي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق

بها ولا الدما المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدما والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك
من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم يغن عنهم التضحية والتقريب
وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا
البدن نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا امثال ذلك فنزلت كرر
تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا
وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته خص المومنين بدفعه عنهم
ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون
الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ
في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجئ اقوى وابلغ اذن ويقاتلون
قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف الماذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله كان مشركوا
مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن
فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم مهاجرين فاعترضهم مشركوا
مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونهم قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام
الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا موذن بمثل هذا العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر
على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين
لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله دفع الله الناس بعض
اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل

المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجدا ولغلب المشركون في امة محمد عليه السلم على
المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت
بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية
صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون
عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكناهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون
بامر الدين وعن عثمن رضي الله عنه هذا والله ثنا قبل بلا يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان
يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفا الراشدين لان الله لم يعط
التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقا
وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر
انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما
وعده من اظهار اوليائه واعلا كلمتهم يقول لرسوله صلى الله عليه تسلية له لست باوحدي
في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرايل وانما كذبه غير
قومه وهم القبط وفيه شيء اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى
ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير
حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت
او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى
المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله عز وعلا على عروشها لا يخلو من ان يتعلق
بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقا عروشها وسلامتها

واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قايمة مطلة على عروشها
على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة
فهي مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي
ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها
معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل قرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله
ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الما ومعها الات الاستقا الا انها عطلت اي تركت لا يستقى
منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بير
عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي
هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بير نزل عليها صالح مع اربعة
الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا
حين حضرها مات وثم بلدة عند البير اسمها حاضورا بنوها قوم صالح وامروا عليهم جلهس
بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا
فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب قصورهم يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على
السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد
سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب
بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير
ضمير الشان والقصة يجي مذكرا ومونثا وفي قراة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما
تفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى
بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت
اي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه
البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد

اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج
هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار
كما تقول ليس المضا للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير
لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضا
عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا
انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون
الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده
ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحنه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد
الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم
واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدايد مستطالة او كان ذلك اليوم
الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة
والامهال وقرى تعدون بالتا واليا ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم
حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الى والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفا
وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما
تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف
سنة يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد
منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها
بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها
سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان
القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق
الى المشركين ويا ايها الناس ندا لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما

بلغ المقابلة بنسخة المصنف رحمه الله ونقل منها

اقحم المومنون وثوابهم ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي
صلى الله عليه انه سيل عن الانبيا فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم
قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة
من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه لما اعرض عنه قومه وشاقوه
وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جا به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه
على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم
وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني
في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطن في امنيته التي
تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة
فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلم او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد
في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطن من ذلك محنة
من الله وابتلا زاد المنافقون به شكا وظلمة والمومنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل
والانبيا من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطن ليلقي
في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحنه له ان يمتحن عباده
بما شا من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين
وقيل تمنى قرا وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وامنيته
قرآنه وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملايكة اي هم الشفعا لا الاصنام فينسخ ما يلقي الشيطن
اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون
والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هولا المنافقين والمشركين

واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضا عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي
ليعلموا ان تمكين الشيطن من الالقا هو الحق من ربك و الحكمة وان الله لهادي الذين امنوا
الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل
الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة
ولا تزل اقدامهم وقرى لهاد الذين امنوا بالتنوين الضمير في مرية منه للقران او للرسول
اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن
كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابنا الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب
بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشى مطرا
ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملايكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة
وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكانه
قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت
التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم
تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة
في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا
منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط
منهم بفضله وكرمه روي ان طوايف من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هولا الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فانزل الله هاتين الايتين تسمية الابتدا بالجزا لملابسته له من حيث انه سبب
وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل
على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب

عند الله المدح ع

ان اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يوثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في
قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلزمه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره
في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على
الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل
بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار
في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على
ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الاخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان
ضيا ذاك بغيبوبة الشمس وضيا ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضي السرب
بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادة في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات وقري
يدعون بالياء والتا وقرا اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما
لانه في معنى الالهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك
كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الاهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل
الدعوة وانه لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا قرى مخضرة اي ذات خضر على
مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ
المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول
انعم على فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك
الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى
ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله

ان تقول لصاحبك الم ترانى انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك
تفريطه فيه وان دفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم
بالعلم فى علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شى خبير بمصالح
الخلق ومنا فعهم ما فى الارض من البهايم مذللة للركوب فى البر ومن المراكب جارية فى البحر
وغير ذلك من سائر المسخرات وقرى والفلك على الابتدا ان تقع كراهة ان تقع الا
بمشيته احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما
افاض عليه من ضروب النعم هو نهى لرسول الله اى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان
ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة فى الدين وهم جهال لا علم
عندهم وهم كفار خزاعة روى ان بديل بن ورقا وبشر بن سفين الخزاعيين وغيرهما
قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج
هو نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اى لا تضاربه وهذا جائز فى الفعل
الذى لا يكون الا بين اثنين فى الامر فى امر الدين وقيل فى امر النسايك وقرى فلا ينزعنك
اى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت
لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن ايات
الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله
حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج
هو من نازعته فنزعته انزعه اى غلبته اى لا يغلبنك فى المنازعة فان قلت لم
جات نظيرة هذه الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت
مع ما يدانيها ويناسبها من الاى الواردة فى امر النسايك فعطفت على اخواتها واما
هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا اى وان ابوا للجاجهم الا المجادلة
بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما

تستحقون عليها من الجزا فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم
بينكم خطاب من الله للمومنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلما بالله
انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه والاحاطة
بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق
بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى والسمع
ولا الجاهم اليها علم ضرورى ولا حملهم عليها دليل عقلى وما للذين ارتكبوا مثل هذا
الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور
والانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرى يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرى
النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اى هو النار
وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم وعدها الله استئناف
كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها
او جررتها باضمار قد ان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت
قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها
لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرى تدعون بالتا
واليا ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا فى نفى المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا موكدا
وتاكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال
ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه
قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه
وهذا من ابلغ ما انزل الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطن

قد خزيهم بنحزايه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها
والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه
الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم
وانتفا قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان
يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب
في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد
وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورووسها بالعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما
عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يوهلوه
للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به
هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملايكة
وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك بالمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا
تخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل
وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدبيره واختيار رسله للذكر شان ليس لغيره من
الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المومنين اولا الى الصلاة التي هي
ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عمم بالحث على ساير
الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون
صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن
ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا
هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة
بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا

تقراهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين
في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود
بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس
والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا
من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد
عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة
وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة
تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه
ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين
وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات في الاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وامة محمد هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة
بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت
لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه فكان ابا لامته
لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم وتشهد للقول الاول
قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القران في ساير الكتب وفي القران
اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم
وتكونوا شهدا على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه
وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها

وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المومنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية

وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين لمثل
هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح
الظفر بالمراد وقيل البقا في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال
افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراة طلحة بن مصرف افلح على البنا للمفعول وعنه افلحوا
على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزا بها عنها
كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المومن قلت هو في اللغة المصدق
واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطيا
قلبه لسانه فهو مومن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق
الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود
وعن النبي صلى الله عليه انه كان يصلي رافعا بصره الى السما فلما نزلت هذه الاية رمى
ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلما اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن ان يشد
بصره الى شي او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض
عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه
والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك
والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه انه ابصر رجلا يعبث بلحيته
في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى

وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بيس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت
لم اضيفت الصلاة اليهم قلت لان الصلاة دايرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو
المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة
اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة
الغاه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه
الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا
بنا التكليف الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب
الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين
له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل
تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام
كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض
الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان
يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكاة العين
ويقدر مضاف محذوف وهو الادا وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة
على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على
فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه
قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة
الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه
قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين
عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي

كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فان قلت هلا
قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلا ما يجري مجرى غير العقلا وهم
الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغا وراء هذا
الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاما ما شيئت فاوليك
هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه تحريم المتعة
قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ
لامانتهم تسمى الشي الموتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تودى العيون لا المعاني
ويخان الموتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القايم على الشي بحفظ واصلاح كراعي
الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشي اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في
كل ما ايتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه
من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلاتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة
اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في
صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويودوها في اوقاتها ويقيموا
اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد
وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا لتفاد
المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة
وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقا والكسوف والخسوف وصلاة الضحى
والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اي اوليك الجامعون
لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقا بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين
بقوله الذين يرثون الفردوس فجا بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى

الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع
لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد
الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بنا للقلة
كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين
من ومن قلت الاول للابتدا والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت
ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا
ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي
هي صفة المستقر فيها كقولك طريق ساير او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث
هي واحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا
العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان
ذو عظام كثيرة خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث
جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه
واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضايه وكل جزء من اجزايه عجايب فطرة
وغرايب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة
رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق
اخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن
المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه
في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه لما بلغ قوله خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املايه فقال له رسول الله اكتب

هلذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا
ثم اسلم يوم الفتح قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت
ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان
ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام
الحياة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد
بعد الانشا والاختراع فان قلت فاذن لا حياة الا حياة الانشا وحياة
البعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت
ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض
ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشا والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس
الاعادة الطرايق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شي
فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملئكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق
الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا
عنها غافلين وعن حفظها وامساكها فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها
فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم
وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار
ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل
جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ
ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون
الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم
وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات
واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار

المذهب وانه لا يتعايا عليه شي اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح
ماوكم غورا فمن ياتيكم بما معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الما ويقيدوها
بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر خص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر
وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة
يتفكه بها وطعام يوكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه
صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم
فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها
طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم
منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتدا
اي ومما انشي لكم شجرة طور سينا وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى
بقعة اسمها سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه
كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سينا فقد منع الصرف للتعريف
والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلا لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح
فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحرا وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة
ومنه نودي موسى وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت
وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد
لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني
ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التا وفتح البا
وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الاكلين وغيره تخرج بالدهن
وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرا الاعمش وصبغا وقرئ
وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت

بعد الطوفان ووصفها الله تعلى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة قرئ تسقيكم
بتا مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي يتعلق بها منافع من الركوب والحمل
وغير ذلك كما يتعلق بما لا يوكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زايدة
وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها
في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه غيره بالرفع على المحل وبالجر على
اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون
ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها
واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ان
يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأس لقوله تعلى وتكون لكما الكبريا في الارض
بهذا اشارة الى نوح عليه السلم او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا
بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان
الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل
على انهم واباهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشميرهم لان
يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف
جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به
جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة
فان افاق من جنونه والا قتلتموه في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم
اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني
من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما
كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاءتنا

كان معه من الله حفاظا يكلأونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله
ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه اوحى
اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطاير روي انه قيل لنوح اذا رايت الما يفور من التنور
فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الما من التنور اخبرته امراته فركب وقيل
كان تنور ادم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد
الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن
قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر
وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس
والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا
اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى
كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان
والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة
زوجين اثنين تاكيد وزيادة بيان جي بعلى مع سبق الضار كما جي باللام مع سبق
النافع قال الله تعلى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين ونحوه قوله تعلى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها
كانت كفافا لا علي ولا لي فان قلت لم نهاه عن الدعا لهم بالنجاة قلت لما
تضمنته الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في
المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم
يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد
بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم لقوله عز وجل

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعا هو اهم
وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له
فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعا بالثنا عليه المطابق لمسئلته وهو
قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن
معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم وكان قوله قولهم مع ما فيه
من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها
الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى ان الشان والقصة
كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلا عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات
عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر قرنا اخرين هم عاد
قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم
نوح ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعرا
فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله
عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في
قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا
قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية
جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جا
بعث على ذلك في قوله ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي
قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود في
جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا
لنريك في سفاهة قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وهاهنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت

الذي بغير واو على تقدير سوال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت
واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق
وهذا الباطل وشتان ما هما بلقا الاخرة بلقا ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه
لدلالة ما قبله عليه اذ واقع في جزا الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي
تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم ثني انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول
والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على
معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزا للشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراة ابن مسعود
ايعدكم اذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على
لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما
ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج
في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه
وجه اخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما
جات اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه
واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها
ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شات والمعنى لا حياة الا هذه الحياة
لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي
نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن
اخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما
نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفي معنا

عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبرئيل صاح عليهم فدمرهم
بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان
عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء
فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة
المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا
يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد
نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل
اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة
وقرئ تترا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد
من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا
فاتبعنا الامم او القرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب
منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله ويكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد ههنا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا
لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية
وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها
حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت
به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز ان تراد الايات
انفسها اي هي ايات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في

الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا
سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا
او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى
الكتاب اي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون ن
وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع
الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون
وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى ان قلت لو
قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح
من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير
وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم وربا وة
بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض
الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة
وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر
والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل
الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في
زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه
بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من
الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا

متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصى به
ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه
والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال
الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
او اريد ما يستطاب ويستلذ من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله
وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم
الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل
كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل قرى وان بالكسر على
الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقرى
زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من
زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هؤلاء
المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق الغمرة الماء
الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا
باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي
رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه بذلك
ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرى يمدهم ويسارع ويسرع بالياء
والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا
للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة
الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب
قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك
لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في

ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان
الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به
ويسارع الله به لقوله ان ذلك من عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام
مع امن الالباس يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله وعايشة ياتون
ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق
ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي
ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون في الخيرات
يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني
انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها
لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان
فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرى يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون
السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها
كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر يعني ان هذا الوصف الذي وصف به الصالحين
غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير
ضايع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن
منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد
او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين
بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد
ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا

اي مما عليه هولا الموصوفون من المومنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المومنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطئتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجوار الصراخ باستغاثته قال جار اي رفع الصوت بالدعاء النيام لربه اي يقال لهم حينئذ لا تجاروا فان الجوار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا او سمارا او تهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان القول القران يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاهم ما لم يات اباهم فلذلك انكروه واستبدعوه لقوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاهم من الامن ما لم يات اباهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله

واطاعوه واباوهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وذوي في ازضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمن بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغايها منادياً الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشاوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابايه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحن الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جا به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواهم وانقلب شركا لجا الله بالقيمة ولا هلك العالم ولم يوخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي

كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ يذكراهم
قرئ خرجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة
ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداوه
والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ
لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك
لهم قليلا من عطا الخلق فالكثير من عطا الخالق خير قد الزمهم الحجة في هذه الايات
وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره
وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل
هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطا اموالهم
ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من دوائهم
وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الابا الضلال من غير برهان وتعللهم
بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم
للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان هولا وصفتهم انهم لا يومنون بالاخرة
لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من
لا يومن بالاخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع
الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جا ابو سفين الى رسول الله صلى
الله عليه فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى
فقال قتلت الابا بالسيف والابنا بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال
والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار
وعداوة رسول الله والمومنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين
يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر

من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم
باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت
رقابهم وجا اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل
والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون
كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس
الياس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت
استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال
ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جا بمنتزاح فان قلت
هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم
عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولا ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب
العذاب الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار والافيدة لانه يتعلق بها من
المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم
واسماعهم في ايات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت
له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من
شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا
يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذراكم خلقكم
وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو
مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو
اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة
اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق اي
اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم

بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرى تذكرون بحذف التا الثانية ومعناه
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق
وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخران
باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف
اهل البصرة فاللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على
اللفظ وتجوز قراة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه
فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو
يغيث من يشا ممن يشا ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد
اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب
كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك
كل واحد منهم متميزا من ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم
متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد
بيده ملكوت كل شي فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزا وجواب فكيف
وقع قوله لذهب جزا وجوابا ولم تتقدمه شرط ولا سوال سائل قلت الشرط
محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه
وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة
لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف ما والنون موكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم
من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره
الله ان له في امته نقمة ولم يخبره اني حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعا فان
قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله

معهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه
لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه اذا قام
من مجلسه سبعين مرة او ماية مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر رضي الله عنه
وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المومن يهضم نفسه وقرى اما ترئنهم
بالهمز كما قرى فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط
وقبل الجزا حث على فضل تضرع وجوار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه
واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا
الانكار هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع
بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا
اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازا سيئه
وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة
الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضا والصفح وقيل
هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تود الى ثلم دين
وازرا بمروة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسو ذكرهم
والله اعلم بذلك منك واقدر على جزايهم الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه
مهماز الرايض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز
الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله توزهم ازا امر بالتعوذ من
نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندايه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا
حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى تعلق يصفون اي
لا يزالون على سو الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد
للاغضا عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم

اعوذ بالله من النزغ
عند النزع

اوعلى قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النسا
سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته
الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي
اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي اتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا
كما تقول لعلي ابني على اس تريدا وتسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي
صلى الله عليه اذا عاين المومن الملبكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار
واستبعاد والمراد بالكلمة الطايفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي
اعمل صالحا فيما تركت هو قايلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلا الحسرة
عليه وتسلط الندم او هو قايلها وحده لا تجاب اليها ولا تسمع منه ومن وراهم برزخ
والضمير للجماعة اي امامهم حايل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة الصور
بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور
بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين
ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد
بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المر من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتسالون بادغام التا في السين فان قلت قد ناقض هذا
ونحو قوله ولا يسل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتسالون وقوله يتعارفون
بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون
الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتسالون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا
يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا

كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتسالوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات
من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا
محل لها او خبر بعد خبر لاوليك او خبر مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج
اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان
كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في
السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلثه ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه
انه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلى حتى تبلغ سرته وقري كالحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على
كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سو العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسو
اعمالهم قري شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسوا فيها ذلوا فيها
وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون
في دفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك
الا الشهيق والزفير والعوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم
ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول
مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا
يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا
فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون
اخسوا فيها في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر
مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص
وعن الكسائي والفرا ان المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم

واستبعد وهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة
ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك
الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح
فالكسر استئنافا اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح
على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في
مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسوالهم من الملائكة
وفي قل ضمير الملك او بعض روسا اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما
مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي
في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا
عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله
ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها كم هي فسل
من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار
العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول
وقرئ العاديين اي القدما المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف من دونهم وعن ابن
عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين
او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم تدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان
نستعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى
دار الجزا فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم
ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركهم غير مرجوعين وقرئ ترجعون
بفتح التا الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول

ملكه وصف العرش بالكرم لانه الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم
الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو
العرش المجيد لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله
يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان
ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزا كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان
منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل
حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجميع وكذلك
حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المومنون
واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة المومنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة
قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ
باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه اذا انزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي
النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا
تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا
وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم العشر

كشاف جلد خامس

الجلد الخامس من الكشاف في سورة النور والقصص والعنكبوت والروم ولقمن والسجدة والاحزاب

رضينا قسمة الجبار فينا
لنا علم وللجهال مال
فان المال يفنى عن قريب
وعلم الله باق لا يزال

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف
اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرى بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها
لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها
صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها
واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرايض
شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرايض ولكثرة المفروض عليهم
من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها ورفعهما على الابتدا
والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني
اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفا لكون الالف واللام
بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما
كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة
شهدا فاجلدوهم وقرى بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة
انزلناها لاجل الامر وقرى والزان بلا يا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك
ظهره وبطنه وراسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم
بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم
وشرايط الاحصان عند ابي حنيفة رضي الله عنه ست الاسلام والحرية
والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها
فلا احصان وعند الشافعي رضي الله عنه الاسلام ليس بشرط لما روي ان
رسول الله صلى الله عليه رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه

قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي
تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله تعالى الزانية والزاني عام في الجميع
يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين
المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قايمة في الكل
والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرى
ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب
على المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا فيه الجد والمتانة فيه ولا
ياخذهم اللين والهوادة في استيفا حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه
اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله
ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله
ولدينه وقيل لا ترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما
ضربا وفي الحديث يوتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال
له انت ارحم بهم مني فيومر به الى النار ويوتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا
عن معاصيك فيومر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد في ارض خير
لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما
بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قايما على مجرده ليس عليه الا ازاره
ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى منها الا ثلثة
الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم
الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه
الاية استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان الجلد حد غير المحصن
بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمة الله عليه على وجوب التغريب من قوله عليه

البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة رضى الله عنهم انهم
جلدوا ونفوا منسوخ عنه وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير و
التاديب من غير وجوب وقول الشافعى رضى الله عنه فى تغريب الحر واحد
وله فى العبد ثلثة اقوال يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة
ولا يغرب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى فى قوله
فامسكوهن فى البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة
ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمى نكالا الطايفة الفرقة التى يمكن
ان يكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة وهى صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشئ
وعن ابن عباس رضى الله عنه فى تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله
وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد
الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هى الجماعة التى يثبت بها
هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكباير ولهذا قرنها تعالى بالشرك
وقتل النفس فى قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبى صلى الله عليه يا معشر الناس اتقوا الزنا
فان فيه ست خصال ثلث فى الدنيا وثلث فى الاخرة فاما اللاتى فى الدنيا فيذهب البهاء
ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتى فى الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب
والخلود فى النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف
وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الصولة وهى الرجم ونهى المومنين عن الرافة على
المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان يكون طايفة يحصل بها
التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المومنين لان ذلك
افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا

من

من المصدقين بالله الفاسق الخبيث الذى من شانه الزنا والتقحب لا يرغب فى نكاح
الصوالح من النساء واللاتى على خلاف صفته وانما يرغب فى فاسقة خبيثة من شكله
او فى مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال
وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المومن
محرم عليه محظور لما فيه من التشبيه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب
لسوء القالة لمزاوجة الزوانى والقحاب وقد نبه الله الى ذلك بقوله وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا
المشركين فرغب فقراء المهاجرين فى نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه
فنزلت وعن عايشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها
لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس رضى الله وشبهه بمن سرق
ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبى عليه السلام انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ وليس بقول لامرين
احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت فى القران لم ترد الا فى معنى العقد والثانى فساد
المعنى واداؤه الى قولك الزانى لا يزنى الا بزانية والزانية لا يزنى بها الا زان
وقيل كان نكاح الزانية محرما فى اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا
الايامى منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت
اى فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى
صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفايف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية
صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان
مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزانى اولا ثم قدم
عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة

هى المادة التى منها نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واول ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهى والمرفوع ايضا فيه معنى النهى ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون بالزنا وبغيره والذى دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزوانى والثانى اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زانى يا ابن الزانى يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودى يا مجوسى يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال الامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يجتمعون ومتفرقين قلت الواجب عند ابى حنيفة واصحابه ان يحضروا فى مجلس واحد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى يجوز ان يحضروا متفرقين هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابى حنيفة خلافا للشافعى فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزانى الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو

والقاذفة

والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابى حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار والاتقياء وعند الشافعى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودى الشهادة عنده فى ابدهم وهو مدة حيوتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل فى حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعى رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند ابى حنيفة رضى الله عنه ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذى يقتضيه نظم الآية وظاهرها ان يكون الجمل الثلث مجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت

الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب
عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابى حنيفة رضى الله عنه كان القذف مع الكفر
اهون من القذف مع الايمان قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم
شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين
والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا
عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القذف
قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب
الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف
على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد
فاذا ثبت الحد لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح
عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابى حنيفة رحمه الله
لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب
القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية فى حسان بن ثابت
حين تاب مما قال فى عايشة رضى الله عنها ه قاذف امراته اذا كان مسلما حرا عاقلا
بالغا غير محدود فى القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها
بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج
عبدا او محدودا فى قذف والمراة محصنة حد كما فى قذف الاجنبيات وما لم ترافعه
الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول فى الخامسة ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله
انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول فى الخامسة ان غضب الله عليها

اركان

ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل قايما
حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد حتى تشهد ويامر الامام من يضع
يده على فيه ويقول له انى اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة
بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس فى مسجده ولعان المشرك فى
الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام لقوله تعالى
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضى بينهما ولا تقع الفرقة
بينهما الا بتفريقه عند ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم الا عند زفر رحمه الله
فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتى لا فرقة اصلا وعند الشافعي رحمه الله
تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة فى حكم التطليقة البائنة عند ابى حنيفة
ومحمد رضى الله عنهما ولا يتابد حكمها واذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد
جاز ان يتزوجها وعند ابى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله
هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه
وروى آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه على المنبر فقام عاصم
بن عدى الانصارى فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا
فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت
سكت على غيظ والى ان يجئ باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم
افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت
على بطن امراتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالى ما اسرع
ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه فكلم خولة فقالت لا ادرى
الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته
على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه عند قوله وقولها

ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت
الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو
لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به
قال ابن عباس رضي الله عنه فجاءت به اشبه خلق الله بشريك فقال عليه السلم
لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهدآء جماعة او لانهم
في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر
والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره
فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على
تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب
الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فان قلت ـــــ لم خصت الملاعنة
بان تخمس بغضب الله قلت ـــــ تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه
بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله عليهم
لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله ه الفضل التفضل وجواب لولا متروك
وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به ه
الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترآء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك
واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشة
رضي الله عنها ه والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا
اجتمعوا وهو عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ه وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه
والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وانتهازه الفرص

وطلبه

وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خايض في حديث الافك من تلك العصبة
نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان
منه تحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملاء من قومه فقال من هذه فقال
عايشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى
اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن سآءه ذلك من المومنين
وخاصة رسول الله صلى الله عليه وابو بكر وعايشة وصفوان بن المعطل ومعنى
كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلآء مبينا ومحنة
ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم
لشان رسول الله صلى الله عليه وتسلية له وتنزيه لام المومنين رضوان الله
عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه
وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوايد دينية واحكام
وآداب لا تخفى على متاملها ه بانفسهم اي بالذين منهم من المومنين والمومنات
كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال
لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة
رسول الله سوءا قال لا قال ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله
صلى الله عليه ابدا فعايشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت ـــــ
هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم لم عدل عن الخطاب
الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ـــــ ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا
يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه
على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك

وان يقول بمل فيه بنا على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراة
ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى
قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع ويسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات
جعل الله التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاها
والذين رموا عايشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله
اى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا
فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب
القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نسا المسلمين
فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله
لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشى لوجود غيره والمعنى ولولا انى قضيت
ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم
عليكم فى الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث
الافك يقال افاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض اذ ظرف لمسكم او
لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه
قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقرى على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام
الذال فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القايه بعضهم على بعض
وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة
رضى الله عنها وعن سفين سمعت امى تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف
عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا
بالفم قلت معناه ان الشى المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان
وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على السنتكم ويدور فى افواهكم من غير ترجمة

عن علم

عن علم به فى القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال
اخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشى
من سيآتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلثة
اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقى الافك بالسنتهم وذلك ان
الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر
فلم يبق بيت ولا نادٍ الا طار فيه والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم
لذلك وهو عظيمة من العظايم فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم
قلت للظروف شان وهو تنزيلها من الاشيا منزلة انفسها لوقوعها فيها
وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها فان قلت فاى
فايدة فى تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفايدة فيه بيان انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم
وجب التقديم معناه ينبغى ويصح اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى
ان اقول ما ليس لى بحق ه وسبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى
التعجب فى كلمة التسبيح قلت الاصل فى ذلك ان يسبح الله عند روية العجيب
من صنايعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة
نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون امراة النبى كافرة كامراة نوح ولوط
ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبيا مبعوثون الى الكفار ليدعوهم
ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم
ما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اى كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا
من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه وابدا ما داموا احيا مكلفين وان كنتم مومنين

فان قلت ما معنى [illegible] الكلام [illegible]
لو قلنا ما انا ان نتكلم [illegible]

فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد
عن كل مقبح ويبين الله لكم الايات والدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع
ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شئ فاعل
لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى تشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة
لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن ابي وحسانا
ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد
بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضماير وانتم
لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة
بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثم وفي هذا التكرير مع حذف
الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة
ما افرط قبحه قال ابو ذويب ضرائر حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها
والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرى خطوات بفتح الطاء وسكونها
وزكي بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة
لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم
اذا محصوها وهو سميع لقولهم عليم بضمايرهم واخلاصهم هو من ائتلى اذا حلف
افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيا ويشهد
للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان
او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها
فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة
خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط الى ان لا ينفق

عليه

عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح
نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على
الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم والغافلات السليمات
الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن
الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال الشاعر
ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال
في قوله اكثر اهل الجنة البله وقرى يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو
الجزاء وبالرفع صفة لله تعالى ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به
العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شئ تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها
ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر
العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه
على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل
الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم
بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما
افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك
ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع
في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القرآن
حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا
من خاض في امر عائشة بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى صلع

من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم صلى الله عليها بانطاق ولدها حين
نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عايشة رضى الله عنها بهذه الآيات العظام فى كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين
تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه والتنبيه
على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد
ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق
ذلك من آيات الافك وليتامل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى
التهمة عن حجابه فان قلت ـــــ ان كانت عايشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات
قلت ـــــ فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله وان يخصص
بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند
رسول الله كانت المرادة اولا والثانى انها ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها
من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدنى من نصر الخبيبين قدى
اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداوه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا
وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا فى الاسم وذاك فى الصفة فان قلت ـــــ
ما معنى قوله هو الحق المبين قلت ـــــ معناه ذو الحق المبين اى العادل الظاهر
العدل الذى لا ظلم فى حكمه والمحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط
عنده اساءة مسئ ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه اى الخبيثات
من القول يقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون
للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون اولئك اشارة الى الطيبين
وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل
لعايشة رضى الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب

ويجوز

ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد
بالخبيثات والطيبات النساء اى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث
وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله فى قوله واعتدنا لها رزقا كريما
وعن عايشة رضى الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبرئيل
عليه السلام بصورتى فى راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه ان يتزوجنى
ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان راسه لفى حجرى ولقد
قبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى وان الوحى لينزل عليه وانا معه فى لحافه
وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة
عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستانسوا فيه وجهان احدهما
انه من الاستيناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لان الذى يطرق باب غيره
لا يدرى ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس
والمعنى حتى يوذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يوذن لكم وهذا من باب
الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع
الاذن والثانى ان يكون من الاستيناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف
استفعال من انس الشئ اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا
الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار
احدا اى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة   على مستانس وحد
ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابى ايوب الانصارى
قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة
يتنحنح يوذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرات
فان اذن له والا رجع وعن ابى موسى الاشعرى انه اتى باب عمر رضى الله عنه

فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول الاستيذان ثلث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه فقال
أألج فقال عليه السلام لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن
ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل
وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا
وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله
عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس
كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت
في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام
ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه ولكن
اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس
وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه
الرواية وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم
من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار
وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه
استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه أأستاذن على امي
قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان
يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن
لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا

باذن

باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه
الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس
في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك
فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا
في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين
لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي
مروة مرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة
وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار
وغير ذلك مما يخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله
ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح
ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم
قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار
حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى
فقد الاذن فان قلت فاذا عرض في دار امر من حريق او هجوم سارق
او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذاك مستثنى بالدليل اي الرجوع
اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع
وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا
به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها
ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت
البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال

والتلع والشرى والبيع ويروى ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال يا رسول الله ان الله
قد انزل عليك آية فى الاستيذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات
افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة من
للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش
ان يكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت فى غض البصر
دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم
لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن
وكذلك الجوارى المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها فى احدى
الروايتين واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثنى منه
وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل
حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا
الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف
يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا
عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون النساء مامورات
ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبته
وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها
من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة
قالت كنت عند النبى صلى الله عليه فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا
بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال
افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج

قلت

قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد
يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المراة من حلى او كحل او خضاب
ما كان ظاهرا منها كالخاتم والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفى
منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا
تبديه الا لهولاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتصون
والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد ولا يحل النظر اليها لغير
هولاء وهى الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى
عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل
ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال فى حله كان النظر الى المواقع انفسها
متمكنا فى الحظر ثابت القدم فى الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن
فى سترها ويتقين الله فى الكشف عنها فان قلت ما تقول فى القراميل
هل يحل نظر هولاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها
الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل
على ما يحاذى ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل
خلاف امر سائر الحلى لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع
على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هولاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل
النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد
بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذى تلابسه الزينة منه قلت
الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة
الظاهرة الوجه موقع الكحل فى عينيه والخضاب بالوسمة فى حاجبيه وشاربيه
والغمرة فى خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت

لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة
لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها والاصل فيه الظهور
وانما سومح في الزينة الخفية اوليك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة
المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع
من النفرة عن مماسة القرايب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول
والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدوا منها نحورهن وصدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورايهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها
من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها
ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك
ضربت بيدي على الحايط اذا وضعتها عليه وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت
نسا خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها
المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرى
جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن
المومنات لانه ليس للمومنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس
والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن في صحبتهن وخدمتهن من الحراير
والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت
ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عايشة رضي الله عنها انها اباحت
النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت
حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد
بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا

وعن

وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال
هو خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعن ابي حنيفة رضي الله
عنه لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراهم ولم ينقل عن احد من السلف
امساكهم روي انه اهدي الى رسول الله صلى الله عليه خصي فقبله قلت
لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب
من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة
لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرى غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية
وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه مراد به الجمع ونحوه
نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشي اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة
ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن
اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقرى عورات وهي لغة هذيل
فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سيل الشعبي عن ذلك
فقال ليلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان ساير القرابات يشترك
الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناوهما فاذا راها الاب فربما وصفها
لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات
البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض
برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى
رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد
ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله
ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه

واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المومنين جميعا بالتوبة والاستغفار و
تاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية
لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت ــــــ قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام
يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت ــــــ اراد بها ما قال العلما ان من اذنب ذنبا
ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه
الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المومنون بضم الها ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف
فلما سقطت الالف لالتقا الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى
اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا
بكرين كانا او ثيبين قال ــــــ فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم
وعن رسول الله صلى الله عليه اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة
شهوة اللبن عطش
والكزم والقرم والمراد انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحراير ومن كان فيه صلاح
بخل شهوة اللحم
من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر
مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاوليا عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب
الظواهر النكاح احب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلم من احب فطرتي
فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا
وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض
لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة
وعن النبي صلى الله عليه اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة
والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس زمان لا تنال
المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة فان قلت ــــــ

لم خص

لم خص الصالحين قلت ــــــ ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين
من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة
والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم
واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح
القيام بحقوق النكاح ه ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد
ونظايره وهي مشية ولا يشا الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحو
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت
الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب
كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شي ففنى واصبح مسكينا
وعن النبي صلى الله عليه التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة
فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنا بالباءة
ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت
حاله وحسنت فسالته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان
ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني
زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى
والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزاه غنا الخلايق ولكنه عليم يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس
كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا
اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى
يغنيهم الله ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم

بالغناء ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على
قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن
ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة
المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء
بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون
مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا
فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة والعتاق
والمعاتقة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها
عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي
على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق
ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز
وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز
الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده
حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز
عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم
مؤقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار
قد اراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق
وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ
المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي
هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك

لعزم

بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من
عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود ان علمتم فيهم خيرا قدرة على اداء
ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه
فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم
امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي
جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله فان قلت هل يحل للمولى اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به
عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز
عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب
عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه
قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي
رحمه الله هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا
اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له
من كتابته شيئا وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية
وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال
استعن به على مكاتبتك فقال له اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك
ذلك وهذا عند ابي حنيفة رحمه الله على وجه الندب وقال انه عقد
معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم
وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه
كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه
فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله

راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على
البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت ويكنى
بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل
عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا
قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء
لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات
كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز
الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة
ابن عباس رضي الله عنه لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة
بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت
لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف
او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت
عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة مبينات هي الآيات التي بينت في هذه
السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا
فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل
لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين
ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم
يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله
ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا نظير قوله الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره
ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده

والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه
بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة
على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد
اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة
الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها
مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر
شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة
وسهيل والمريخ ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتدا ثقوبه من شجرة
الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض
التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها اي في هذه الارض حيث دفن فيها
سبعون نبيا وعن النبي صلى الله عليه عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون
فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام
واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل
يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه
لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست
مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي
جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلالؤه
يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف
قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور
ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان

منهم ابرهيم

متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع ينبث فيه وينتشر والقنديل
اعون شى على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدى الله لهذا النور الثاقب من يشاء
من عباده اى يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه
ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذى سوآ عليه
جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن على رضى الله عنه نور السموات والارض
اى نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابى بن كعب مثل
نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب الى الدر
اى ابيض متلالئ ودرئ بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق ودرى كسليه
عن ابى زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف
ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح اليا وحذف التا لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب
ومسنده باليا لان التانيث ليس بحقيقى والضمير فاصل فى بيوت يتعلق بما قبله
اى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى فى المسجد
نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اى يسبح له رجال
فى بيوت وفيها تكرير لقولك زيد فى الدار جالس فيها او بمحذوف لقوله فى تسع
آيات اى سبحوا فى بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها لقوله بناها
رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس هى المساجد امر الله
ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبنا ولكن
بالتعظيم ويذكر فيها اسمه او قوله وهو عام فى كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها
كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلثة اعنى له
فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر البا
وعن ابى جعفر بالتا وفتح البا ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو والاصال

على زيادة البا وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد
وحشهما والاصال جمع اصل وهو العشى والمعنى اوقات الغدو اى بالغدوات وقرئ
والايصال وهو الدخول فى الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر
وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة
ثم خص البيع لانه ادخل فى الالهاء من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة
وهى طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شى يتوقع فيه الربح
فى الوقت الثانى لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا
لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح
او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان فى كذا اذا جلبه التا فى اقامة عوض
من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيف اقيمت الاضافة مقام
حرف التعويض فاسقطت ونحوه قوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا
وتتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير فى انفسها وهو ان تضطرب
من الهول والفزع وتشخص لقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت
مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر احسن ما عملوا
اى احسن جزاء اعمالهم لقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون
ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله
الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى
اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب
فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى
فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجرى

والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار وقرى بقيعات
بتاء ممطوطة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة
كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى
يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة امله ويلقى خلاف
ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه
فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون
صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة
بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام
اللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفى اخرج ضمير
الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة فى لم يرها اى لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها
ومثله قول ذى الرمة   اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
اى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا فى فوات نفعها وحضور
ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا
كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظماه بالماء
وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات
متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته
ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف
انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة
وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى

صافات يصففن اجنحتهن فى الهواء والضمير فى علم لكل او لله وكذلك فى صلوته وتسبيحه
والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة
التى لا يكاد العقلاء يهتدون لها يزجى يسوق ومنه البضاعة المزجاة التى يزجيها
كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد
انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل
فى قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر
من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال جمع جبل وقرئ من خلله وينزل
بالتشديد ويكاد سنا بالادغام وبرقه جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة
واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل فى جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه
على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع
ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابى جعفر المدنى وهذا
من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من فى السموات
والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب
التسخير الذى وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه
يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم
البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب
بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين فى غاية الوضوح
على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
فان قلت متى راى رسول الله صلى الله عليه تسبيح من فى السموات ودعاءهم
وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد فى السماء حتى قيل له الم تر قلت
علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحى فان قلت ما الفرق

يعنى من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من السماء من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء
الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض
ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت
ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله فى السماء
جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر والثانى ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان
يملك جبالا من ذهب وقرى خلق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز
غلب المميز فاعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل
من يمشى فى الماء على بطن والماشى على اربع قوائم فان قلت لم نكر الماء فى قوله من ماء
قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها
من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها
بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل
فان قلت فما باله معرفا فى قوله وجعلنا من الماء كل شى حى قلت
قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو
جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينها وبينه وسايط قالوا خلق الملئكة
من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت
لم جاءت الاجناس الثلثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق فى القدرة
وهو الماشى بغير آلة مشى من ارجل او قوائم ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على اربع
فان قلت لم سمى الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا
فى الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة
مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف
مع الماشين وما اولئك بالمومنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق

المتولى

المتولى منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق
المتولى وحده وعلى الثانى اعلام بان الفريق المتولى لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا
انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد
وطمانينة نفس لم يتعقبه التولى والاعراض والتعريف فى قوله بالمومنين دلالة
على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان
الموصوفون فى قوله انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه قوله غلسته قبل القطاة وفرطه اراد قبل فرط القطا روى انها نزلت
فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى ارض فجعل اليهودى يجره الى
رسول الله صلعم والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف
علينا وروى ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين على بن ابى طالب رضى الله عنه خصومة
فى ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضنى
وانا اخاف ان يحيف على اليه صلة يأتوا لان اتى وجا قد جاءا معديين بالى
او يتصل بمذعنين لانه فى معنى مسرعين فى الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل
البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك
عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك
لتاخذ لهم ما ذاب لهم فى ذمة الخصم ثم قسم الامر فى صدودهم عن حكومته
اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين فى امر نبوته
او خائفين الحيف فى قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون
اى لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا

من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شي لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلعم
فمن ثم يأبون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين
بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يكونوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير
بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا وقرى ليحكم على البناء للمفعول فان قلت الام اسند يحكم
ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم
ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اى
وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا قرى ويتقه بكسر القاف
والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه
بكتف فخفف كقوله قالت سلمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه
الآيات اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله
في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما
يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن آية كافية فتليت له هذه الآية جهد
يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ
غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه
واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر
فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب
حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف
او مبتدا محذوف الخبر اى امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة
لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم
ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة

بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة
وقرى اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير
يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شي من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
على نفاقكم صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ
في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه
الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه
واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم
فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم
من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول
الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم
والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات
والمعجزات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه ولمن معه ومنكم للبيان كالتي
في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض
ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك
الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن
سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح
فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا
العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب
وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم

واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك
الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم ملك الله
من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزبزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال
بغير حقها وقرى كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت
اين القسم الملتقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف
تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه
منزلة القسم فتلقى ما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت
ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قائلا
قال ما لهم يستخلفون ويومنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم
اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر
يريد كفران النعمة لقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم
الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها
فان قلت هل في هذه الاية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت
اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم
واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد
ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف
ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها
وقرى لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان
والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك
وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله
اطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين

ثم حذف

ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان
الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث
وعطف قوله وماواهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل
الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم
امروا ان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا
من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من
المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها
وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب
اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة
لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس
واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان
وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم
حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام
فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج روي ان مدلج بن
عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وقت الظهيرة
الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه
فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا
هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه فوجده وقد انزلت
عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء
بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف
واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلعم

فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم
بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات
وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت
اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات
مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر
بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم
قلت بالابتدا وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف
لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بطوف مضمرا لتلك الدلالة
الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم
من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا
تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون
لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك
ثم خرجوا من حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم
بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع
الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا
مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس
رضي الله عنه اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لامر جاريتي
ان تستاذن علي وساله عطا استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك
تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة
وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وابنائكم واخواتكم وعن الشعبي

ليست

ليست منسوخة فقيل ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد
بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس
تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت
قال ابو حنيفة رضي الله عنه ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة
في الجارية وعامة العلما على خمس عشرة سنة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان
يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله
ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره
الانبات وعن عثمن رضي الله عنه انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره القاعد
التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب
الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير
مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن
اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب
بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى
وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت
تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطا عليها والبرج
سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شي الا انه
اختص بان تتكشف المراة للرجال بابدا زينتها واظهار محاسنها وبرا وبرز
بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك كان المومنون يذهبون بالضعفا
وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم
واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة

في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلاً بغير حق لقوله
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفا ولا على انفسكم
يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة
كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا
وقيل كان هولاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يودي
الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله
اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق
على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن
ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفا في بيوتهم و
يدفعون اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون
حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته
وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شي ولم يحل
لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هولاء الضعفا حرج فيما تحرجوا عنه
ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر
بان هولاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت
المذكورة لالتقاء الطايفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا
ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق
على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم
الحلق على النحر فان قلت ـــــ هلا ذكر الاولاد قلت ـــــ دخل ذكرهم
تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث
ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم

من البيوت

من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات
فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ـــــ
ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت ـــــ اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل
يحفظها له ان ياكل من ثمرة بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها
في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرى مفتاحه
فان قلت ـــــ فما معنى او صديقكم قلت ـــــ معناه او بيوت اصدقائكم
والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن
انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره
فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه
سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين
وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ
ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه
من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة
بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق
اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآبا والامهات وانما
قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك
قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام
فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت
في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا
نهاره الى الليل فلم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم
ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس

فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا
فابدأوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اى
ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة و
حيوة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها
دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين
فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته ولا قال لى لشىء كسرته لم كسرته وكنت
واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث
خصال تنتفع بها قلت بلى بابى انت وامى يا رسول الله قال متى لقيت من امتى
احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن فى البيت احد فليقل
السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على
اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنه اذا دخلت المسجد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب
تحية بسلموا لانها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل
ان يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه
بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه
ثالث الايمان بالله عز وجل والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط
لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول
احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده
على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون

بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وانه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة
الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا
حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر
بعد وجود استيذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر
الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو
مقاتلة عدو او تشاور فى خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او
تماسح فى حلف وغير ذلك او الامر الذى يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع
وفى قوله اذا كانوا معه على امر جامع خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه من ذوى راى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضئ بآرائهم
ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته فمفارقة احدهم فى مثل تلك الحال مما يشق
على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر
فى الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم
ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان
الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت
فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغى ان يكون
الناس مع ائمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم
فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر فى الاذن مفوض الى الامام
ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه اذا احتاج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه
ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا وندائه باسمه الذى سماه به
ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم

والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو
صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده
فان دعوات رسول الله صلى الله عليه مسموعة مستجابة يتسللون
ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو
ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل
الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اى ملاوذين وقيل كان بعضهم
يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يوذن له معه وقرئ
لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه
ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المومنين وهم
المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه
الضمير في امره لله عز وجل او للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته
ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس
فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم
سلطان جائر ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه في المخالفة عن الدين والنفاق
ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع
كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله
فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير
اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع
ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه احوال
المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم

يوم

يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب
والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا
جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما
ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه
من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم البركة كثرة
الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين
اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة
واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله
وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق
بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله
وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير
في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له رفع على الابدال من الذي نزل
او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل و
المبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون
تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير
فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه وقدر كل شيء فقدره قلت

المعنى احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما
يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء
على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة
مطابقا لما قدر غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث
شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة
قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد
كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى
ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما
تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله
سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله
ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم
يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون واذا عجزوا
عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد او جلب نفع
اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب
النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر
عليها الا الله اعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب
بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال
ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاءوا واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان
تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان
يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقف من العجمي الرومي

كلاما

كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو
بريء منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم
واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها
كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها
على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك
من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه
كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب
مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله
فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال
امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او
طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه
يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن
انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام
الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افرح ان رزئ الكرام
وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان
ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض
ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل
وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه وبراءته مما تبهتونه
وهو مجازيكم ومجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق
قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد
عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر

على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب
صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقعت اللام
في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف
سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم
وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام
كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب
ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا
الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا
ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء
يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون له
بستان ياكل منها ويرتزق كما الدهاقين او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به
في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر
ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرى فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء وناكل
بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه
جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل
ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون
مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا
والقايلون هم كفار على غفلة او ذا سحر وهو الرية عنوا انه بشر لا ملك
ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء

وغير

وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا
عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء وهب لك في الدنيا
خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنان والقصور
وقرى ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه
الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز في يجعل لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا
وقرى بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى
عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل
بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف
يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يومنون بالآخرة السعير
النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم
دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كان بعضها
يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا
صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد
اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام
منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة
بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مومن من القصور
والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاب
حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى عن ابن عباس رض
في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق
مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع

وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور
الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك
لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول
ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو
ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته
او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع
الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل
كانت لان ما وعدها الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا
في اللوح قبل ان برأهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم
فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله
نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب
وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يطيب الا بطيب المكان وسعته
وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة
الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك
ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي
كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء
واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم نحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم
بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت

كيف

كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء
وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت
حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم
الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير
افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي
هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه
لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره
وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه فان قلت
فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت
فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا
ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله
وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك
وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من
يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه
أأنتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به
ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم
تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر
ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم
من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم
الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه
التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار

الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازى الذى اسنده الله الى ذاته فى قوله يضل من يشاء
ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم
والمعنى انتم اوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم
وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه
فى هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير فى معنى جعله ضالا
اى ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط فى حفظه قيل اضله
سواء كان منه فعل او لم يكن سبحانك تعجب منه قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم
ملئكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه
او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك
فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون
له ملك او نبى او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون
ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك
او ما كان ينبغى لنا ان نكون امثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار
قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت وقرا ابو جعفر المدنى نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعنى
اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ
فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم خليلا
فالقراءة الاولى من المتعدى الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت
من لتاكيد معنى النفى والثانية من المتعدى الى مفعولين فالاول ما بنى له الفعل
والثانى من اولياء ومن للتبعيض اى لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم
اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن

والشرايع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع باير كعايذ
وعوذ هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها
الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير وقول القايل   قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا
وقرى تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ومعنى
من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء والتاء والياء قلت اى والله
هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد
كذبوا بما تقولون وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرى تستطيعون بالتاء والياء
ايضا يعنى فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة
وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اى يحتال او فما يستطيع الهتكم
ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين
والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم
عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرى يذقه
بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف
محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف
اكتفاء بالجار والمجرور اعنى من المرسلين ونحوه وقوله عز من قايل وما منا الا
له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرى ويمشون على البناء للمفعول اى
اى تمشيهم حوايجهم او الناس ولو قرى يمشون لكان وجها لولا الرواية وقيل
هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق

فتنة محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه على ما قالوه واستبدعوه
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بساير الرسل يقول وجرت
عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين
بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف
وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم في قوله لنبلوكم ايكم احسن عملا
بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم
فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به
من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء
لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل
جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك
وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة
من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد
بن المغيرة والعاص بن وايل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا
عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان
بعضهم ببعض اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر
والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الايات
ان ينزل الله عليهم الملئكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله
جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل

الملئكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون
واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات
التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم
اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم
يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه انهم لم يجسروا
على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو
واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي
اسلوبها قول القايل   وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها
وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى
ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون
منصوب باحد شيين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملئكة يمنعون
البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون
الملئكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع
ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه
في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو
معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو
موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال
سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا
منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى

اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن
تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت
لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فان قلت
فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه
الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى
في الآية انهم يطلبون نزول الملئكة يقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت
او يوم القيمة كرهوا لقاهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون
وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة
وقيل هو من قول الملئكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم
ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم
بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد
الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا والهباء
ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء
منثورا صفة للهباء وشبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع
به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر
وذهب كل مذهب ونحو قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف
حتى جعله مؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او
مفعول ثالث لجعلناه اي جعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله
كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة

المسقر

المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل
المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن
كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب
من نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه
قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلل
على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما
سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن
رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من
التحاسين والزين وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وبعضهم
ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي
تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر
به فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن
النبات قلت معنى انشقت به ان الله تعالى شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى
انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح
بغمام يخرج منها وفي الغمام الملئكة ينزلون وفي ايديهم صحايف اعمال العباد
وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملئكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق
مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة وقرئ ونزل الملئكة وننزل الملئكة
ونزل الملئكة وتنزلت الملائكة وانزل الملئكة ونزل الملئكة ونزل الملائكة
على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة اهل مكة الحق الثابت
لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل

وعن [illegible] ادغمها [illegible]

والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارّم وقرعها كنايات عن
الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة وتدل بها على المردوف
فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة
والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي
معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه فابى ان ياكل من طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال
صبات يا عقبة قال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه
فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت
محمدا فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا
في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه لا القاك خارجا
من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا بقتله وقيل
قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال
الى النار وطعن رسول الله ابيا يوم احد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم
يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة
وغيره لمنى ان لو صحبت رسول الله وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق
الحق ولم يتشعب به طرق الضلال والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي
سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي
بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي
فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى وفلان كناية
عن الاعلام كما ان هن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى

لبتني

ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين
خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن
او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام
والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله
ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة
الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون
وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت يقرأ على الادغام
والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وقومه قريش حكى الله
عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه
لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب
ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومؤسيا واعدا النصرة عليهم وكذلك
كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار
منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي
صلى الله عليه من تعلم القرآن وعلقه مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا
اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار
وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم
كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز
ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو
يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة
تنزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا

من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه
قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وماله
انزل على التفاريق والقايلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة
بما لا طايل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة
او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اى كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوى
بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم
شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا
بحفظه والرسول صلى الله عليه فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان
اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ
فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على
حسب الحوادث وجوابات السايلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى
ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ــــ ذلك وكذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء
تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت
لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض
انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور
فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا
الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى
يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك لانه
قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقيب
وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا
اى اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا

لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال
ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا
على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة
ولا ياتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا
اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى
من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام كيت وكيت
كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت
هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز
او تكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه
ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق
كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم
جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم
على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم
بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم
شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز ان يراد بالمكان
الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اى الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي المجاز الحكمي
وعن النبي صلى الله عليه يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث
على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا الوزارة

لا ينافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويومرون بان يوازر بعضهم بعضا
والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق
اى فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها لانهما
المقصود من القصة بطولها اعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه ودمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرا
بهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا
او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعنى بهم قوم نوح و
اصله اعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يعمهم بعمومه عطف
عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود
على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل
في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله
اليهم شعيبا صلى الله عليه فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائهم
له فبيناهم حول الرس وهو البير غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا
وهم بقية ثمود قوم صالح عليه السلام وقيل هم اصحاب النبي حنظلة
بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم
انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بير

اى

اى دسوه فيها بين ذلك اى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم
يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت
وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود ضربنا له الامثال بينا له القصص
العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء
وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير هو التفتيت والتكسير
ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب
بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ
له اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا
باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة
في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم
يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون
بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع
التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يومن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا
ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المومنون
لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية
ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما
واتخذوه هزوا في معنى استهزاء به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به
اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه
في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم
يستهزؤا لقالوا هذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم
ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع

والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم
ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم
ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم
المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال
ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب
عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه الى الضلال
من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه قول ابي جهل لعنه الله
من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي
الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الاهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا
الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام
وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم
بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا
راى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه
منقطعة معناه بل احسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت
بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون
الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في
الغفلة والضلالة ثم اريح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل
قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول
للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت
ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد
وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام

قلت

قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها
ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشا ربها
وهولاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان
الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع
الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى
مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا
اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد
سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس
دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل
من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل
واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس
يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا
يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا
فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل
الامور الثلثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها
لتباعد ما بينهما من الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو
انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة
ظلها على الارض فيئا ناميا في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا
مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها
عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص

والمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل
ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل
فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضا
الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر
من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع
الحيوة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة
قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية
مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب
بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنيوية والنوم
واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمن
انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر قرئ الريح والرياح
نشرا احيا نشورا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر
جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر
طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا
لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور
على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور
كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به
وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره
سيبويه ومنه قوله عليه السلم لا صلوة الا بطهور اي بطهارة فان قلت
ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على

تغير

تغير احد اوصافه الثلثة اولم يتغير واستعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة
رضي الله عنه وعند مالك بن انس رحمه الله ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور
فان قلت فما تقول في قوله عليه السلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء
طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي
كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد
في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال و
مفعيل وقرئ ونسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا
الاناسي جمع انسي او جمع انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء
والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم
في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء
والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على
فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة
ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من
حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم
ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم
ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب
قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
بخلاف الانعام لانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان
الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى
تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان
علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء

فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله
من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد
هولاء المبتعدين عن مظان الماء فان قلت فلم قدم احياء الارض وسقي
الانعام على سقي الاناسي قلت لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم
وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم
اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم يريد ولقد
صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي ساير الكتب والصحف التي انزلت على
الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا
حق النعمة فيه فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها

ويشكروا

وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات
المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور
وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي
ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده وتلا هذه الاية
وروي ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف
ولكن تختلف فيه البلاد من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه
قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك
البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء قلت
ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان
يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلايل وامارات عليها لم يكفر يقول لرسوله
صلى الله عليه ولو شينا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية
نبيا ينذرها وانما قصرنا عليك الامر وعظمناك به واجللناك وفضلناك على ساير

الرسل

الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما
اراد بهذا تهييجه وتهييج المومنين وتحريكهم والضمير للقران او لترك الطاعة
الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك
فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم
وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير
في به الى ما دل عليه ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة
القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته
فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده
من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى
جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات
البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما
متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا
من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر ممروج وماء العذب
منهما بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته كقوله عز وجل بغير عمد
ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل
كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت
وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها
وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه
ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة
فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه
فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة

اراد قسم البشر قسمين ذوی نسب ای ذکورا ینسب الیهم فیقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان وذوات صهر ای اناثا یصاهر بهن ونحوه قوله تعالی فجعل
منه الزوجین الذکر والانثی وکان ربک قدیرا حیث خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعین ذکرا وانثی الظهیر والمظاهر کالعوین والمعاون وفعیل بمعنی مفاعل
غیر عزیز والمعنی ان الکافر یظاهر الشیطان علی ربه بالعداوة والشرک روی
انها نزلت فی ابی جهل ویجوز ان یرید بالظهیر الجماعة کقوله والملیکة بعد
ذلک ظهیر کما جاء الصدیق والخلیط ویرید بالکافر الجنس وان بعضهم مظاهر
لبعض علی اطفاء نور الله وقیل معناه وکان الذی یفعل هذا الفعل وهو عبادة
ما لا ینفع ولا یضر علی ربه هینا مهینا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف
ظهرک لا تلتفت الیه وهذا نحو قوله اولیک لا خلاق لهم فی الاخرة ولا یکلمهم الله
ولا ینظر الیهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثنایه عن الاجر
قول ذی شفقة علیک قد سعی لک فی تحصیل مال ما اطلب منک ثوابا علی
ما سعیت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضیعه فلیس حفظک المال لنفسک
من جنس الثواب ولکن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فایدتین
احدیهما قلع شبهة الطمع فی الثواب من اصله کانه یقول لک ان کان حفظک
المال ثوابا فانی اطلب الثواب والثانیة اظهار الشفقة البالغة وانک
ان حفظت مالک اعتد بحفظک ثوابا ورضی به کما یرضی المثاب بالثواب
ولعمری ان رسول الله صلی الله علیه کان مع المبعوث الیهم بهذا الصدد
وفوقه ومعنی اتخاذهم الی الله سبیلا سبیل امره بان یثق به ویسند امره
الیه فی استکفاء شرورهم مع التمسک بقاعدة التوکل واساس الالتجاء وهو
طاعته وعبادته وتنزیهه وتحمیده وعرفه ان الحی الذی لا یموت حقیق

بان یتوکل علیه وحده ولا یتکل علی غیره من الاحیاء الذین یموتون وعن بعض السلف
انه قراها فقال لا یصح لذی عقل ان یثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان لیس الیه من
امر عباده شیء آمنوا ام کفروا وانه خبیر باحوالهم کاف فی جزاء اعمالهم
فی ستة ایام یعنی فی مدة مقدارها هذه المدة لانه لم یکن حینیذ نهار ولا
لیل وقیل ستة ایام من ایام الاخرة وکل یوم الف سنة والظاهر انها
من ایام الدنیا وعن مجاهد اولها یوم الاحد واخرها الجمعة ووجهه ان
یسمی الله عز وجل الملایکة تلک الایام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس
وادارها وترتب امر العالم علی ما هو علیه جرت التسمیة علی هذه الایام
واما الداعی الی هذا العدد اعنی الستة دون سایر الاعداد فلا یشک انه
داعی حکمة لعلمنا انه لا یقدر تقدیرا الا بداعی حکمة وان کنا لا نطلع علیه
ولا نهتدی الی معرفته ومن ذلک تقدیر الملایکة الذین هم علی النار تسعة
عشر وحملة العرش ثمانیة والشهور اثنی عشر والسموات سبعا والارض کذلک
والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والکفارات وغیر ذلک والاقرار
بدواعی الحکمة فی جمیع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الایمان وقد نص
علیه فی قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملیکة وما جعلنا عدتهم الا
فتنة للذین کفروا لیستیقن الذین اوتوا الکتاب ویزداد الذین آمنوا ایمانا
ولا یرتاب الذین اوتوا الکتاب والمومنون ولیقول الذین فی قلوبهم مرض
والکافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما یعلم جنود ربک الا
هو وهو الجواب ایضا فی ان لم یخلقها فی لحظة وهو قادر علی ذلک وعن
سعید بن جبیر انما خلقها فی ستة ایام وهو قادر علی ان یخلقها فی لحظة
تعلیما للخلق الرفق والتثبت وقیل اجتمع خلقها یوم الجمعة فجعله الله

منهم اصحاب النار
قال الکاتب خط المصنف

وهو یقدر
قال بخط المصنف

عيا للمسلمين الذى خلق مبتدأ والرحمن خبره او صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ
محذوف او بدل عن المستتر فى استوى وقرى الرحمن بالجر صفة للحي وقرى فاسئل
والباء فى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته
فى نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به
واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة
خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا خبيرا عارفا يخبرك
برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك
رأيت به اسدا اى برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله
حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شىء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله
مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم
من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون
ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة
وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا
الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن
مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا
اطلاقه على الله لما تأمرنا اى للذى تأمرنا بمعنى تأمرنا سجوده على قوله
امرتك الخير او لامرك لنا وقرى بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد
لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفى زادهم ضمير
اسجدوا للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة
السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور

العالية

العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج
لظهوره والسراج الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرى سرجا وهى الشمس
والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهى جمع ليلة قمراء كانه
وذا قمر منيرا لان الليالى تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره فى بقاء حكم
المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى
القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب
وهى الحال التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى
جعلهما ذوى خلفة اى ذوى عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال
الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار
ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرى يذكر
ويذكر وعن ابى بن كعب يتذكر والمعنى لينظر فى اختلافهما الناظر فيعلم
ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل
بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل
والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين
من فاته فى احدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن رحمه الله
من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته
بالليل كان له فى النهار مستعتب وعباد الرحمن مبتدأ خبره فى آخر السورة
كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة
ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا

وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يُمَشّون هونًا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيًا
هينًا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث
احبب حبيبك هونًا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عزّ اخوك فهُن
ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا
يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرًا وبطرًا ولذلك كره بعض العلماء
الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلامًا تسليمًا منكم
لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسليمًا فاقيم السلام مقام
التسليم وقيل قالوا سدادًا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد
بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى
الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة
والشريعة واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك
الليل نمت اولم تنم وقالوا من قرا شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا
وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه
وصفهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائمًا ويبيت قائمًا غرامًا هلاكًا
وخسرانًا ملحًّا لازمًا قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابًا وكانا غرامًا
وقال ان يعاقب يكن غرامًا وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه
والزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه
ايذانًا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم
كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم
يفسره مستقرًا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرًا ومقامًا هي

وهذا

وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرًا لها ويجوز ان يكون ساءت
بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرًا حال او تمييز والتعليلان يصح
ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ
يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار
والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة
ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلعم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف
انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول
لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر
عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت
وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام
فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته
واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية
فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه
كانوا لا ياكلون طعامًا للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبًا للجمال والزينة ولكن كانوا
ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم
ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفًا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه
فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام
من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قوامًا بالكسر وهو ما يقام به الشيء
يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان
اعني بين ذلك قوامًا جائز ان يكونا خبرين معًا وان يجعل بين ذلك لغوًا وقوامًا

مستقرا او ان يكون الظرف خبرا ومقاما حالا موكدة واجاز الفرآء ان يكون بين ذلك
اسم كان على معنى انه مبنى لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها
غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوى لان
ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفايدة
فايدة حرم الله اى حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل
المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال
العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه اعدآء المومنين من قريش وغيرهم
كانه قيل والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد
وغيره وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله
ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اى
قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرى يلق اثاما وقرى يلقى
باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزآء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما
قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل
هو الاثم ومعناه يلق جزآء اثام وقرا ابن مسعود اياما اى شدايد يقال يوم
ذو ايام لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله
متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرى يضعف ونضعف
له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرى بالرفع على الاستيناف او على الحال
وكذلك يخلد وقرى ويخلد على البنآء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد
وقرى وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم
فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيآت قلت
اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا

يضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيآت حسنات انه
يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك
ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصى
ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده
مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تايب متابا الى الله الذى يعرف حق التايبين
ويفعل بهم ما يستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض
العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واى مرجع يحتمل انهم ينفرون
عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة
الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل
فى النظارة الى كل ما لم يسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم
ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلط على
فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى بن مريم
صلوات الله عليه وسلامه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون
شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس
الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغنآء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو
كل ما ينبغى ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو المشتغلين به مروا
معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغى الجاهلين وعن الحسن لم يسفههم المعاصى وقيل اذا سمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يجزوا

عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد
مسلّما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكّروا بها اكبّوا عليها حرصا على
استماعها واقبلوا على المذكّر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية
مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكّرون بها فتراهم مكبّين عليها مقبلين على
من يذكّر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصمّ العميان حيث لا يعونها
ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم وقرئ ذرّيّتنا وذرّيّاتنا وقرة اعين
وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمّالا لله يسرّون بمكانهم
وتقرّ بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقرّ لعين المؤمن من ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الولد
اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرّيّتهم في الجنة
ليتمّ لهم سرورهم اراد ائمّة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس
كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آمّ
كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم
في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل
نزلت هذه الآيات في العشرة المبشّرين بالجنة فان قلت ـــ من في قوله من
ازواجنا ما هي قلت ـــ يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بيّنت
القرة وفسّرت بقوله من ازواجنا وذرّيّاتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين
وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى
هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت ـــ
لم قال قرة اعين فنكّر وقلّل قلت ـــ اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف
لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا

وانما

وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون
غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين
انها اعين خاصة وهي اعين المتقين المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة
فوحّد اقتصارا على الواحد الدالّ على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات
آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة آمنون بما صبروا بصبرهم على الطاعات
وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه
لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله عز وجل ولقاهم نضرة
ويلقون كقوله يلق اثاما التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان
الملئكة يحيّونهم ويسلّمون عليهم او يحيّي بعضهم بعضا ويسلّم عليه او يعطون
التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفّقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل
رحمتك وارزقنا ما رزقتهم في دار رضوانك لما وصف عبادة العباد وعدّد
صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة
اتبع ذلك بيان انه انما اكترث باولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم
لاجل عبادتهم فامر رسوله صلى الله عليه ان يصرّح للناس ويجزم لهم القول
بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم
لم يكترث لهم البتة ولم يعتدّ بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة
وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه
قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم
لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي
ومما يكون عبأ عليّ كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي
ومما يهمّني وقال الزجاج في تاويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده

وحو ان يكون زمانا فيه فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي ان لا اعتد
بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم
حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان
من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى
ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه
اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة
فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق
ومنهم مومنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم
من العبادة والتكذيب وقد قرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب
لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ
لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير
منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما يكتنهه الوصف
والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الفرقان لقي الله
يوم القيمة وهو مومن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب
سورة الشعرا مكية الا قوله والشعرا الى آخر السورة وهي مايتان وسبع وعشرون آية وفي رواية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر
اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات
هذا المولف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع ان يبلغ
بالذبح النخاع بالبا وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل
للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك

ان

ان لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا او لامتناع ايمانهم وخيفة ان يومنوا وعن قتادة
رحمه الله باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه
فظلت معطوف على الجزا الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا
ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شينا لانزلنا وقرئ فتظل
اعناقهم فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت
اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك
الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت
بالخضوع الذي هو للعقلا قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس روساوهم
ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الروس والنواصي والصدور قال
في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جانا عنق من الناس
لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية
فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة
ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا
الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ
والغرض واحد وهي الاعراض والتكذيب والاستهزا قلت انما خولف بينها
لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا
به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزا والسخرية لان من كان
قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان
مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم
عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشي الذي كانوا يستهزءون به وهو القرآن
وسيأتيهم انباوه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف

من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي
في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال
حتى يشق الصفوف من كرمه اى من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم
المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها
قادر على احيا الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو
ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل
صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج
كريم كان كافيا قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل
التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما
وبه نبه على كمال قدرته فان قلت ما معنى وصف الزوج بالكريم
قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة
ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني
ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه
ما انبت شيا الا وفيه فايدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة
بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت
فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها
الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات قلت فيه
وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات
لآية اى آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت
لهذا الوجه نظاير سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم
عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون

وكانهما

وكانهما عبارتان تعتقبان على مودى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين
وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم
بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرايل باستعبادهم لهم قرى الا يتقون
بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة
فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه الله عز وجل
ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلم من حالهم
التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم
من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اى يظلمون غير
متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون
على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم
بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصايه
والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة
صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي
من الناس فان قلت فما فايدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلم
في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك
في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرايه بحضرتهم والقايه الى مسامعهم لانه مبلغه
ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية
انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها واعتبارا بموردها
وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان
وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه

ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان
خوفه متعلق بهذه الثلث فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة
وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر
سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق
الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان
زايدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته
وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع
لان المعنى اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون
هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به و
يجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا
سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به
ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون
ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر
وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل
الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن
قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا اقتصر
على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على
ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله
فاراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت
كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يامره الله بامر فلا يتقبله بالسمع والطاعة
من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورايه قلت قد امتثل

بسمع وطاعة
قال بخط المصنف

ويقبل

ويقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ
رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد
العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل
فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي
وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك
القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى
جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها
تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع
للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل
عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله الاستجابتين
معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف
والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي
طلبته وهرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل
الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون
وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير
لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر
شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا
ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب
المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت
ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع
من السمع بمنزلة النظر من الروية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع

نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اى
اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلم من استمع الى حديث قوم
وهم له كارهون صب فى اذنيه البرم فان قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى
فى قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة
فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجاز
التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل فى الصفة
بالمصادر نحو صوم وزور قال الكنى اليها وخير الرسول اعرفهم بنواحى الخبر
فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز
ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما
لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا
ان ارسل بمعنى اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك
ان افعل كذا لما فى الارسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك
ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازى يريد خلهم
يذهبوا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم
يوذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم
نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع
من الاختصار كثير فى التنزيل الوليد الصبى لقرب عهده بالولادة وفى رواية
عن ابى عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل
وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك

اعلمهم

فعلتك

٢٤٨

فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما
الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه
مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله
وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اى قتلته
وانت لذلك من الكافرين بنعمتى او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد
افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وجل عاصم
من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون
قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران
النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين لفرعون
والاهيته او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها
يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك وقرئ والاهتك فاجابه موسى
صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اى
الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين
فعل اولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطا من غير تعمد للقتل
او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرا ساحته بان
وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر
على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستاصله من سنخه وابى ان
تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته

وكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال
علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاءوا وعبدان فان قلت
اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت
قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له
موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة
بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه
ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان
فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت
ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى
ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما
صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي
ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان ها هنا من يزعم انه رسول رب العالمين
قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال
لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها
فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد
وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما
ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه

بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته ثباته بصفاته استدلالا
بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر
العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي
يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين
رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب
الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه
رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري
وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما
على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر
ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم
موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم
الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع
او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله
فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض
وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك
وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم
وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد
وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال
من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع
الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول

وحساب مسبوق من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله
عن الاحتجاج بالاحيا والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق
والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين
وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد
وقلة الاصغا الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من قوله لاجعلنك
من المسجونين ومود يا موداه قلت اما اخصر فنعم واما مود موداه فلا
لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته
ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق
فردا لا يبصر ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله اولو جئتك
واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك
بشي مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة
الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم
لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي
على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق
الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به
فحذف الجزا لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية
لا شي يشبه الثعبان كما تكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها
انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون
وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا

يجتمع

الهوة الحفرة العميقة

يجتمع النظار على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون
لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال يدك فما فيها
فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق فان قلت
ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل
فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب
على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول
حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبريا الربوبية وارتعدت
فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين
هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذره منه
وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا
لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم تامرون من المؤامرة وهي
المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مامورا
لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى
المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قرئ ارجئه وارجه
بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه
المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله
والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا
يحشرون السحرة عارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاوا بكلمة
الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرا
الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه
الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله

موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اى حدد من
زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم فى الاجتماع
والمراد به استعجالهم اليه واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق
اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا
وهو واقف ومنه قول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
اخا عون بن مخراق ه يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة
اى فى دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة
وانما الغرض الكلى ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا
اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرى نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله
ان لنا لاجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن
المقربين معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى
تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الثواب على سحرهم الذى
قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون
وهى من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا
الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربى
ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال
رسول الله صلى الله عليه لا تحلفوا بابائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت
ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس
فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان
الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شى لم تقبل منه ولم يعتد
بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى

ليس وراءها حلف لحالف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم
وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه
على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روى انهم قالوا ان كان
ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما القى
عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة
وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به
طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا
ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا وطرحوا طرحا فان قلت
ما فاعل الالقاء لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق
او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا
بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان
فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته
اليهما فى ذلك المقام انه الذى يدعو اليه هذان والذى اجرى على ايديهما
ما اجرى فلسوف تعلمون اى وبال ما فعلتم الضر والضير والضور واحد
ارادوا لا علينا ضير فى ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه
لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير
علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب
من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا فى قتلك
انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته
لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير فى ذلك
او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم

اومن رعية فرعون اومن اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى
يجى به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المومنين
ونظيره قول العامل لمن يوخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله عز وجل
ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك
قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسرا باتباع فرعون
وجنوده اثارهم والمعنى انى بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعكم
حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروى
انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد واشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى
بقومه وروى ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرايل كل اربعة ابيات فى بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمايها على ابوابكم فانى سامر الملايكة ان لا يدخلوا بيتا
على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم
اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فياتيك امرى فارسل فرعون فى اثره الف الف
وخمسماية الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت
مقدمته سبعماية الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضه وعن ابن عباس
خرج فرعون فى الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى
وكانوا ستماية الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هولاء لمحكى
بعد قول مضمر والشرذمة الطايفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى
وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع
القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة وقد يجمع
القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد
والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا

تغيظنا

تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم
فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون
وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل
المودى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر القوى السمين
قال احب الصبى السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر
اراد انهم اقويا اشدا وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى
اجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم ينفقونها فى طاعة الله والمقام
المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل
السرر فى الحجال كذلك يحتمل ثلثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج
الذى وصفناه والجر على انه وصف لمقام اى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى
كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى الامر كذلك فاتبعوهم
فلحقوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين فى وقت الشروق من شرقت
الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم
وقرئ انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الرا من ادرك الشى اذا تتابع ففنى ومنه
قوله بل ادرك علمهم فى الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة وفى معناه بيت الحماسه
ابعد بنى امى الذين تتابعوا ارجى الحيوة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون
فى الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق
والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد فى السما وازلفنا ثم حيث انفلق البحر
الاخرين قوم فرعون اى قربناهم من بنى اسرايل او ادنينا بعضهم من بعض
وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف

اى ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبساً وقد ثل عرشها
وذبيان اذ ذلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما
جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء ابن السائب ان جبريل عليه السلم
كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل
القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مومن آل فرعون
وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال
امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى ان يوشع قال كليم الله
اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع
الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى قال عند ذلك يا من
كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكاين بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو
بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لآية اية
آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها
اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين
بالانجاء قد سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة
وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كان ابرهيم صلوات الله
عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس
من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله
الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سوال
عن المعبود فحسب وكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسئلونك ماذا
ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا

قلت هولاء قد جاؤا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين
فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من
الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها
عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار
ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي
وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في يسمعونكم من
تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاكم وقرا قتادة يسمعونكم اي هل
يسمعونكم الجواب عن دعايكم وهل يقدرون على ذلك وجا مضارعا مع ايقاعه
في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها
فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوا بجواب المقلدين
لآبايهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاية وهي عبادة الاقدمين
الاولين من آبايكم فان التقدم والاولية لا تكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له
ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً
ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي
تصوير المسالة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة
للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة
نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا
بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول
وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه
دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه

فربما اداه التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله ان رجلا واجهه بشيء
فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجلا ناسا يتحدثون في الحجر فقال
ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال
وقوم علي ذوي مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو
شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين
استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهديني يريد انه حين اتم خلقه
ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه
والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم امتصاصا في بطن امه ومن هداه الى معرفة الثدي
عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك
من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا
من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير
ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم
وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغاير لان الانبياء
معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله
بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخيلات
للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم
الا الصغاير وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع
ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم
لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة
وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها
وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين

بالدم في البطن امتصاصا
قال خط المصنف

وانما

وانما يغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم
الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين
عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه
وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين والاخزاء
من الخزي ومن الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم
مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين
وان تجعله من جملة الاستغفار لابيه يعني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا
من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع
وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه
سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك
وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه
قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه
لسلامة قلبه كما ان غناه في الدنيا بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا
ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب
وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل
من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سليما قلبه مع ماله حيث انفقه
في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا
الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته
من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في
الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له

في قوله وانّ من شيعته لابرهيم اذ جاء ربّه بقلب سليم ومن بدع
التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي
سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتّب ابرهيم عليه السلام كلامه
مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى
على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم
آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان
يكون حجة ثم صوّر المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله
عز وعلا فعظم شأنه وعدّد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين
وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات
المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله
وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا
فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة قريبة
من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها
والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم
المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فيجمع عليهم الغموم
كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة
ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم
لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار
وهو قوله فكبكبوا فيها هم اى الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت
لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير

في المعنى

في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها
اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه
من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم
رؤساؤهم وكبراؤهم لقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا
وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل
لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم
شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق
في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم اصدقاء وشفعاء لانهم كانوا يعتقدون
في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين
الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم
ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق به من النفع لان ما لا ينفع حكمه
حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او
من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت ـــــ لم جمع الشافع
ووحد الصديق قلت ـــــ لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى
ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته
رحمة له وحسبة وان لم تسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق
في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل
عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع الكثرة

الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك
لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف
الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظيره
قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس
البرود وماله الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب
يا اخا بني تميم يريدون واحدا منهم ومنه بيت الحماسة
لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا كان امينا
فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلوات الله عليه في قريش واطيعون
في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني
دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره
ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل
علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ
واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو
للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة
وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة
وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا
من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة
وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وما زالت
اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل
حين سال ابا سفين عن اتباع رسول الله صلى الله عليه فلما قال ضعفاء
الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي

هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء
علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله تعالى واطلاعه على سر امرهم
وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم
لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله
الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام
فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد
العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك
فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن
قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا
الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون
مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى
المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب
نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم
واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا
ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم
انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب
والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني
وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق
كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه
فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر والواحد بوزن قفل

والجمع بوزن اشد كسروا افعلا على فعل كما السروا فعلا على فعل لانهما اخوان
في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك
ونطيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودرع دلاص فالواحد بوزن
كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملو يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل
ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس
في الال يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك
وهو ارتفاعها والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا
في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم
وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور
المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه
حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا
ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل
الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب
لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث
اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة
غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم
المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة
فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله
نفسه والله رؤف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام
قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فان قلت
لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى

بواحد

بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ
ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك
ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين
او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا
ولا بعث ولا حساب ومن قرأ بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه
من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم
مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها
الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين
كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا
مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله
اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة
فيما ها هنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات
وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله
في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك
من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون
النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت
فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها
على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان
اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو
بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم

خلق صح

وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحا جبل جفاء ولذلك طعم البرني
الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل
وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز
ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من
العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا
وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخيل قد ارطب ثمره وقرا الحسن
وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط
ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر
المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم
لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت
فما فايدة قوله ولا يصلحون قلت فايدته ان فسادهم فساد مصمت
ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض
الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرية
وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد
سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة
ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم
وعن ابي موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان
يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب
او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به
ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم

اشد

اشد وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها
فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين
فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم
فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين
ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور
رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندامة تائبين
ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة الباس وقال عز وجل
وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك
الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم اراد بالعالمين
الناس اي اتاتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم
وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم
او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط
وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من
الحيوان من ازواجكم يجوز ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد
بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم
وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه
المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم
قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء
بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا
وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به او احتباس

ندم صح

معاينة العذاب
كال خط المصنف

تصلح
كال خط المصنف

لا ملايكة وكما يكون حال الظلمة اذا احلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل
اهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان
من العلما فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم
ومعروفة مساهمته لهم في العلم دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين
والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة
الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة
فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه
انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها
راضية ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت
كان اهله مومنين ولولا ذلك لما طلب النجاة لهم فكيف استثنيت الكافرة منهم
قلت الاستثنا انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق
الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه
قيل الا عجوزا غابرة ولم تكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه
الا عجوزا مقدرا غبورها والمعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير
الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة
والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على
شذاذ القوم حجارة من السما فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه
مطرا من حجارة وفاعل سا مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم وانما
هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرى اصحاب الايكة بالهمزة
وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة
بوزن ليلة اسم بلدة فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة

ويجوز ان يريد بعض الكاملين في الكفر والفسق البعض الشديد كانه بعض يعني الفواد ذو الكلمة وفي هذا صح

في هذه

في هذه السورة وفي سورة صاد بغير الف وفي المصحف اشيا كتبت على خلاف
قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ
كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد
كتبت في ساير القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف
وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في ساير المواضع قلت
قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين
ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف
وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفا ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم
يذكر الزايد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم
يفعله فلا عليه قرى بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون
فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس
والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه
ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك
ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا
شرعيا يقال عثى في الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة
واهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا
عن ذلك وقرى الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن
واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين فان قلت
هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت
اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم

التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا
واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم
فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني
مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق
فلما كان البابان اعنى باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل
ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا وقرى كسفا بالسكون
والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع
والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة
وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى
ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا
انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد
ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب فان اراد ان يعاقبكم
باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا باخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم
الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا
المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا
وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا
ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى ان شعيبا
بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت
كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة
منها كتنزيل براسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها

تدلي

تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان
في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق
الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان
امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص
طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ
والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا
او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه
وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد بالتنزيل المنزل
والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل
به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اى حفظكه وفهمك اياه
واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود
وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلام واما ان يتعلق بنزل فيكون
المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي
لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا
الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على
قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك
دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون
الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها
لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف
جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها

ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القرآن
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة
رضوان الله عليه في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن
اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها
وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح
وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ
تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كذلك لوقوع
النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك
فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز
على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز
مع نصب الآية تانيث تكن لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء
وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت
كيف خط المصحف علمؤا بواو وقيل بالالف قلت خط على لغة من يميل
الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي
لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة
زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم
لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل
ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد
ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا

هذا

هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته
وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة
قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت
معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا
فلم يؤمنوا به وجحدوا وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق
محمد صلى الله عليه وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن
العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به
لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك
سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها
وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر والتكذيب له وضعناه فيها
فكيف ما فعل وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم
عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند
السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه
مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه و
فطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان
الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به
اليهم على عقبه وهو قوله تعالى لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون
من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح
والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا
المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد

وبجوز ان يكون حالا اى سلكناه فيها غير مومن به وقرا الحسن فتاتيهم بالتا يعنى
الساعة وبغتة بالتحريك وفى حرف ابى وبر فان قلت ما معنى التعقيب
فى قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رويته العذاب ومفاجاته
وسوال النظرة فيه فى الوجود وانما المعنى ترتبها فى الشدة كانه قيل لا يومنون
بالقرآن حتى تكون رويتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة
فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان
اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله
يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسى
وانه يحصل له بسبب الاساة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو
مقت الله وترى ثم يقع فى هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون
تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب
يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب
اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ
ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل
بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير
باين ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال فى سلامة وامن فقال عز
وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل
ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم
الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب
معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاه
فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت

وقرى يمتعون بالتخفيف منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة
بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون
تذكرة واما لانها حال من الضمير فى منذرون اى ينذرونهم ذوى
تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة
والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى
والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى
او جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة واطنابهم فيها ووجه
آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى
وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة
بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم
فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين
وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو
عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة
صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما
فى قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه
كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين على الكهنة
فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه
لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السما
وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى آخره كاخر يبرين وفلسطين
فتخير بين ان يجرى الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله

فقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان تقولوا اهله يبرون
ويبرين وفلسطون وفلسطين ووجهه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك
كما قيل له الباطل وعن الفرا غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها
النون التي على هجاين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج
ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع
مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون
ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه
لطف لساير المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما ان يومر بانذار الاقرب
من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان تقدم
انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام انه لما دخل
مكة قال كل ربوا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول
ما اضعه ربوا العباس والثاني ان يومر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب
للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروى
انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا
وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس
عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيا سلوني
من مالي ما شيتم وروى انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون
رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة
وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني
عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا كنتم مصدقي

قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروى انه قال
يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار
فاني لا اغني عنكم شيا ثم قال يا عايشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر
ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار
فاني لا اغني عنكن شيا الطاير اذا اراد ان يحط للوقوع كسر جناحه
وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض
جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر
بعد التواضع فان قلت ——— المتبعون للرسول عليه السلام هم
المومنون والمومنون هم المتبعون للرسول عليه السلام فما معنى
قوله لمن اتبعك من المومنين قلت ——— فيه وجهان ان يسميهم
قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمومنين
المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله
صلى الله عليه فيما جا به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب
ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما
الجناح والمعنى من المومنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر
قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك
ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل
على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض
الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل
من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى

هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد
التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي
مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر
وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز
الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع
كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان
يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين
من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم
وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ
فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت الصحابة لينظر ما يصنعون
لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير
الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله
والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم
للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه
وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل
ابا حنيفة رضي الله عنه هل تجد الصلوة في القرآن فقال
لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت
وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله
العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله
عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري
اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك كل افاك اثيم هم الكهنة

والمتنبئة

والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين
كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملائكة الاعلى فيختطفون
بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به
الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم
لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع
من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم
اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون
يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا
وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها
اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر
على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام
الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت
ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف
وانما معناه ان الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال الشاعر
اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر
الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين
لقولك أعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز
ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر
صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف
كأن قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت

كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك
قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم
لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هولاء الافاكين قل من يصدق منهم
فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل
رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبيكم على من تنزل الشياطين
لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات
ليست في معناهن ليرجع الى المجي بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة
بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلت فيه من المعاني التي
اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره
اهتمام بشي منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه
والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم
على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار
ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم
الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين
وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب
المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم
يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب
قرا حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ

يتبعهم الغاوون على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لتبعه
بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول
واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه
حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري
ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمن بن عبد الملك سمع قوله
فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب
عليك الحد فقال يا امير المومنين قد درا الله عني الحد بقوله وانهم
يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المومنين الصالحين الذين يكثرون
ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا
شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد
والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه والصحابة وصلحاء
الامة وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون
بشائنة ولا منقصة وكان هجاوهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله
تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء
ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية
قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا باس به والقول فيه
ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام
وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه
ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول
لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما لا شئ
اهيب منه واهول ولا انكا لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد
المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله
الذين ظلموا واطلاقه وقوله اى منقلب ينقلبون وابهامه وقد
تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح
يتواعظون بها ويبادرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل
ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تامن فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس
اى منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات
وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم
يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم
بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهى ثلث وتسعون وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قرى بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب
المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين
ابانة واما السورة واما القران وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه

من العلوم

من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازها ظاهر مكشوف واضافة الايات
الى القران والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف
الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين
قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى فى مقعد صدق عند
مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القران اذا اريد به
القران قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى فى نحو قولك
هذا فعل السخى والجواد الكريم لان القران هو المنزل المبارك المصدق لما بين
يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات
آيات المنزل المبارك واى كتاب مبين وقرا ابن ابى عبلة وكتاب مبين
بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف
مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات
الكتاب وقران مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى
التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه يترجح فالاول
نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده
والثانى نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
هدى وبشرى فى محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اى هادية
ومبشرة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه
على هى هدى وبشرى وعلى البدل من الايات وعلى ان يكون خبرا
بعد خبر اى جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى فى كونها
هدى للمؤمنين انها زائدة فى هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا

فزادهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل ما قبله
قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة
عنده وتكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو
الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو
هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون
بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق
فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان
في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق
وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله مجاز وله طريقان
في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان
من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة
الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى
اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم
فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم
واليه اشارة الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم واباءهم
حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى
يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه
بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها
زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير
والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل

السوق

السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم
واشغالهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس
خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع
خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم
واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق
بعدها من الاقاصيص وفي ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب
بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة
موسى ويجوز ان ينتصب بعليم وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام
غير امراته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ
الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف
الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين
جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به
عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر
ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاتيقن قلت
قد يقول الراجي اذا قويت رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة
فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله
انه يأتيهم وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت لم جاء
باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا
لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله
انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك
انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا

وعن الاخفش ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك
فان قلت ـــــ هل يجوز ان يكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودى
بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت ـــــ لا لانه لا بد من قد
فان قلت ـــــ فعلى اضمارها قلت ـــــ لا يصح لانها علامة لا تحذف
ومعنى بورك من فى النار ومن حولها بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها
ومكانها البقعة التى حصلت فيها وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى
نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة وتدل عليه قراءة
ابى تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذى بوركت له
البقعة وبورك الارض ومن حولها والذى بوركت النار والذى بوركت
له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر دينى فيها وهو
تكليم الله موسى واستنباؤه واظهار المعجزات عليه ورب خير
يتجدد فى بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير فى اقاصيها ويبث
آثار يمنه فى اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذى جرى
فى تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون
والظاهر انه عام فى كل من كان فى تلك الارض وفى ذلك الوادى
وحواليها من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات
موسومة فى قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين
وحقت ان تكون كذلك فهى مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط
الوحى اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت ـــــ فما معنى ابتداء
خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت ـــــ هى بشارة له بانه
قد قضى امر عظيم تنتشر منه فى ارض الشام كلها البركة وسبحان الله

رب

رب العالمين تعجب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه
رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون
الهاء فى انه يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر
والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله
يعنى ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا
تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوى القادر
على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة
وتدبير فان قلت ـــــ علام عطف قوله والق عصاك قلت ـــــ
على بورك لان المعنى نودى ان بورك من فى النار وان الق عصاك
كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له
الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وان الق عصاك بعد
قوله ان يا موسى انى انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت
اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرا الحسن جان على لغة
من جد فى الهرب من التقاء الساكنين فقال شابة ودابة ومنها قراءة
عمرو بن عبيد ولا الضالين ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة
قال الشاعر
منزلا
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه انى لا يخاف
لدى المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفى الخوف عن الرسل
كان ذلك مظنة لطروء الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى
ولكن من ظلم منهم اى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء
كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمن واخوة يوسف ومن موسى عليه

يوكز القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى من التعريض
التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه
وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات كلام مستانف وحرف
الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه
فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز
ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع
آيات وعدادهن ولقايل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة
ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة
الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتامليها لانهم
لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة
الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملايه
لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي
لا يقدر على الاهتداء فضلا ان يهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء
وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى
لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير فوصفها
بالبصاير كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة
وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو
في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع
عن الايمان بما جاء به موسى لقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين

وقالوا

فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا
بالضم والكسر كما قرئ عتيا وفايدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم
فاستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان ابلغ من الايقان
فاي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة
واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا
مكشوفا لا شبهة فيه علما طايفة من العلم او علما شيا غزيرا
فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك
اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن
عطفه بالواو اشعار بان ما قاله بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم
وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميدة
كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا
حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا
والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما
وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل
على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان
نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد
اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا
العلم درجات وما سماهم رسول الله صلعم ورثة الانبياء
الا لمدانيتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا
من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم
منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم

وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد
فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر وورث
منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود
اكثر تعبدا وسليمن اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس
تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق
بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم
الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير
المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات
الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته
والذى علمه سليمن من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض
من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل فى شجرة يحرك راسه
ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول فقالوا الله ونبيه اعلم
قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة
فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول
كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين
وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال يقول سبحان
ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى فاخبر انه يقول
سبحان ربى الاعلى وقال الحدا يقول كل شى هالك الا الله والقطا
يقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والديك
يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت

آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول
سبحان ربى القدوس واراد بقوله من كل شى كثرة ما اوتى
كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شى تريد كثرة قصاده و
رجوعه الى غزارة فى العلم واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت
من كل شى ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل
الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا ولا اقوله
فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام
المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد به نفسه
واباه والثانى ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان
ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التى كان عليها
وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه و
اظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد
عليه وفد او احتاج ان يرجح فى عين عدو الا ترى كيف امر العباس
بان يحبس ابا سفين حتى تمر عليه الكتائب وروى ان معسكره
كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم
فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب

فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء
على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع
عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى
انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخا تسيره فاوحى الله
اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم
احد بشي الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد
اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى
الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال
لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود يوزعون
يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة
قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى
قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق
فاتى بحرف الاستعلا كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم
لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره
من قولهم اتى على الشي اذا انفده وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا
عند مقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوا لا يخاف
حطمهم وقرى نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان
الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه
كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجا تتكاوس فنادت

يا ايها

يا ايها النمل الاية فسمع سليمن كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها
طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني
عما شئتم وكان ابو حنيفة رضي الله عنه حاضرا وهو غلام حدث
فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال
ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله
وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة
مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة
نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرى مسكنكم ولا
يحطمنكم بتخفيف النون وقرى لا يحطمنكم بفتح الطا وكسرها
واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في
اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت
لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر
وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى
لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا اريتك ههنا اراد
لا يحطمنكم جنود سليمن فجا بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها
ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد
تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة
في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة
انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع ضحكا فان قلت
ما اضحكه قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته

من قولها هم

ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك
قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما
آتاه الله مما لم يوت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي
هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاوه
على استيزاع شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة
العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي
واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه
لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا الراجعة الى الدين فانه
اذا كان تقيا نفعهما بدعايه وشفاعته وبدعا المومنين لهما كلما دعوا له
وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت
الجنود ولا تعلم انهم في الهوا فامر سليمن النبي صلى الله عليه وسلم
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة ام
هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا اراه على معنى
انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غايب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسيل عن صحة ما لاح له
ونحوه قولهم انها لابل ام شا وذكر من قصة الهدهد ان سليمن حين تم له
بنا بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرام واقام به ما شا وكان يقرب
كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين
الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يوم سهيلا
فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا اعجبته

خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الما وكان الهدهد قناقنه وكان
يرى الما من تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فتجي الشياطين فيسلخونه
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الما فتفقده لذلك وحين نزل سليمن حلق
الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن وما سخر له
من كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قايد
تحت كل قايد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر
انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم
قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل
فقصدته فناشدها الله وقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني
فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما
استثنى قالت بلى او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه
وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه
فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمن وعفا عنه ثم
ساله تعذيبه ان يودب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابنا جنسه وقيل كان عذاب
سليمن للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلي بالقطران ويشمس وقيل
ان يلقي للنمل ياكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه
وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة
الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت ـــــــ من اين حل
له تعذيب الهدهد قلت ـــــــ يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى
فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهايم والطيور للاكل وغيره

من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز
أن يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتيني وليأتينن والسلطان الحجة والعذر
فإن قلت قد حلف على أحد ثلثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن
كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله
ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل
كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن
تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس من هذا ادعاء دراية على أنه
يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين
فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وإيقان فمكث قرئ بفتح الكاف
وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر
المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له
ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل أحطت
بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمن
بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه و
أضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه
ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة
والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه
أحد أعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير
في رواية سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب

بن قحطان

بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي أو للأب الأكبر
صرف قال الشاعر من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما
وقال آخر الواردون وتيم في ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس
ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت
معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له
شأن وقوله من سبأ بنبأ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو
من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو بصنعة عالم
بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا
على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر
لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف
الحال المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده
أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها
مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع إلى سبأ فإن أريد به القوم
فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها وقيل في وصف عرشها
كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل بل كان ثلثين وكان من ذهب
وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر
ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق فإن قلت
كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمن قلت يجوز
أن يستصغر حالها إلى حال سليمن عليه السلم فاستعظم لها ذلك العرش
ويجوز أن لا يكون لسليمن مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون
لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم

ويستحمدهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم
وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فرّ من استعظام
الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله تعالى فان قلت
فكيف قال واوتيت من كل شي مع قول سليمن واوتينا من كل شي كانه
سوّى بينهما قلت بينهما فرق بيّن لان سليمن عطف قوله على ما هو
معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة و
الحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد
على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللايقة بحالها فبين
الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على سليمن مكانها وكانت
المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعا ومارب
قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة راها كما اخفى
مكان يوسف على يعقوب فان قلت من اين للهدهد التهدي الى
معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى
الشيطن وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله عز وجل ذلك كما
الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد
العلما العقلا الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقرا ذلك فعليه
بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها
وجعل ذلك معجزة له من قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا
فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون
الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا والا للتنبيه ويا
حرف الندا ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى

وفي حرف عبد الله وهي قراة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين ها وعن
عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراة ابي الا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم سركم وما تعلنون
وسمي المخبو بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه الله عز وعلا
من غيوبه وقرى الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها
بالقلب وهي قراة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة
من يقول في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة
مسترذلة وقرى تخفون وتعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم
هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخب امارة على انه
من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الما تحت الارض وذلك بالهام من
يخرج الخبا في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد
تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن
من العلم في روايه ومنطقه وشمايله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله
عليه ردا عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراتين
جميعا ام في احدهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراتين
امر بالسجود والاخرى ذم لمن تركها وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رضي الله
عنهما على ان سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص
فهي عند ابي حنيفة رضي الله عنه سجدة تلاوة وعند الشافعي
رضي الله عنه سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج

من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان
قلت هل يفرق الواقف بين القرائتين قلت نعم اذا خفف
وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ
اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف
سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله عز وجل في الوصف بالعظيم
قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم
تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله
بالعظم تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات والارض وقرئ
العظيم بالرفع سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد صدقت
ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين
كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق
به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال
دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت
لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه
بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ
الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه
من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلم كرم الكتاب ختمه وكان
عليه السلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم
فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد

استخف

استخف وقيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف وتبيين لما القي اليها
كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمن
وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمن وانه عطفا على اني وقرئ
انه من سليمن وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمن
ويجوز ان يريد لانه من سليمن ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره
باسم الله وقرأ ابي ان من سليمن وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا
تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين
معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله
سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا
تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام جملة
لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها
الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت
المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية
وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف
ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت
قارية كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم
ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين
الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن
والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي
والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع
آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها

قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم
وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف
ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الالات والعدد وبالباس النجدة
والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون
لك فمرنا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال
او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والتدبير فانظري ماذا
تامرين نتبع رايك لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل
الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا
ما ذكروه واريتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة و
قهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها
واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء
مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة
الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو
ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي
السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض
بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد
كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة
اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون
منه حتى اعمل على حسب ذلك فروى انها بعثت خمسمائة غلام عليهم
ثياب الجواري وحليهن الاساورة والاطواق والقرطة راكبي خيل
مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة

جارية

جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا
مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان
فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمن
فامر الجن فضربوا اللبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة
فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن
الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد
الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
عن جانبيه واصطف الشياطين صفوفا فراسخ والسباع والوحوش
والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب
تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما كان معهم ولما وقفوا
بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل
بما فيه وقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها
فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها
فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به
وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي ما لنا به طاقة
فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود
فلما جاءوا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام

كقوله أتحاجوني وبنو زواجة أتمدونني الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم
المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي
أهداها أو أهديت له والمضاف إليه هاهنا هو المهدى إليه والمعنى أن ما عندي
خير مما عندكم وذلك أن الله تعالى آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر
والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن
يمد بمال ويصانع به بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا
فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي
خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح إلا بالإيمان وترك المجوسية
فإن قلت ــــ ما الفرق بين قولك أتمدونني بمال وأنا أغنى منك
وبين أن تقوله بالفاء قلت ــــ إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي
عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته
بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي وأنا أخبره الساعة بما لا
أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه
وعليه ورد قوله تعالى فما آتاني الله خير فإن قلت ــــ فما وجه
الإضراب قلت ــــ لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك
إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا
فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل
الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التي
أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها
ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا
هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر

لا قبل لهم لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن
يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ الذل أن يذهب
عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد
ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا يروى أنها أمرت
عند خروجها إلى سليمن عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها
في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها غلقت الأبواب ووكلت به حرسا
يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمن عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد
أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله عز وجل وعلى ما يشهد لنبوة سليمن
عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها
إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر
أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية
والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن
الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله أمين
آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله الذي عنده علم من الكتاب
رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا
وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام
وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمن وكان
صديقا عالما وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل عليه السلم وقيل
ملك أيد الله به سليمن وقيل هو سليمن نفسه كأنه استبطأ العفريت
فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر علم

علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح
والذي عنده علم منه جبريل عليه السلم وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون
فعلا واسم فاعل الطرف تحريك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما
كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما أتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد
ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن
ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمن عليه السلم
مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين ودعا آصف فغار
العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمن بالشام بقدرة الله قبل أن
يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول
لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك
تريد السرعة شكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها
عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد
للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين
أن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع
شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله
متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على
من يكفر نعمته فالذي قاله سليمن عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى
على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة
القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا
اجعلوا منكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه

قالوا

قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ ننظر بالجزم
على الجواب وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته أو للجواب الصواب
إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمن إذا رأت تلك المعجزة
البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه
الحراس هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة
لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو
ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
وأوتينا العلم من كلام سليمن وملائه فإن قلت ـــ علام عطف هذا
الكلام وبم اتصل قلت ـــ لما كان المقام الذي سئلت فيه عن
عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمن وملاؤه ما يناسب
قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في
جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام
وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة
المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم
وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها
ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم
إلى العلم بالله والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة
الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا
بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن
قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر
ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه

صدّها عن سواء السبيل وقيل وصدّها الله او سليمن عما كانت تعبد بتقدير
حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صدّ او
بمعنى لانها الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير ساقيها ووجهه
انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد والممرد المملس وروى ان سليمن عليه السلم
امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته
الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والانس والجن وانما فعل ذلك ليزيدها
استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن
كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل
خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمن
الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف
ساقها ورجلها فكشفت عنها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها
شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب
في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمن عليه السلم
واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها
في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع
ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه
فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمن عليه السلم ظلمت نفسي
تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمن عليه السلم يغرقها في اللجة
فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمن عليه السلم وقرئ ان اعبدوا بالضم

على

على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين
صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة
العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل
الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى قلت
كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه
تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع
فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال
لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على
الخطا فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير
فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطاير
استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب
في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طاير الله لا طايرك اي قدر الله الغالب الذي
ينسب اليه الخير والشر لا طايرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم
اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طايركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه
خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم
ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم
وفتنة ومنه قوله طايركم معكم وكل انسان الزمناه طايره في عنقه وقرئ
تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم وتطير منه نفر منه تفتنون
تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة المدينة
الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكأنه قيل
تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلثة الى العشرة

او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل
بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم
بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابنا اشرافهم ولا يصلحون
يعني شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشي من الصلاح كما ترى بعض
المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل
الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرى يقسموا وقرى لتبيتنه بالياء والتاء
والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا
والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا
وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من اداب الملوك استراق
الظفر وقرى مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم
من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون
صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت
كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين
ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم
فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح
عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا تخطر ببالهم الا ترى
انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى
سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه
من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح صلوات الله عليه

سجد

مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن
نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم
يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه
وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح
فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استيناف
ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم
او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار
خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع
على خبر المبتدا المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر
القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى
للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه
وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل
على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم
الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها
معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية
وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل
بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون

فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة
مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا
عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم
تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى
وارسخ اصلا من الغيبة وقرا الاعمش جواب قومه والمشهورة احسن يتطهرون
يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم
وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها
لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل
شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين
من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن
بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين
واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء
والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله
امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون
فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي
لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم و
الصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلم
بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه ونجاه من هلكتهم
وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه

وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم
آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه
الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم
لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط
واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير
الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه
انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات
والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما الفرق
بين ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما
خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال آلله خير ام الآلهة قال بل امن
خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من
جماد لا يقدر على شيء وقرا الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا
من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون فان قلت
اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت
تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف
والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر
عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله
بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم الحديقة البستان عليه حائط

من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال
النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به آلهة مع الله اغيره يقرن به
ويجعل شريكا له وقرئ آلها مع الله بمعنى اتدعون او تشركون ولك ان تحقق الهمزتين
وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق
الذى هو التوحيد امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها
وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء
والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى
احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس
هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر
فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر
يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة
ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا
يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على
البعض وهو الذى اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض
خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد
بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام
والحذف وما مزيدة اى تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل
فى معنى النفى يهديكم بالنجوم فى السماء والعلامات فى الارض اذا جن الليل عليكم
مسافرين فى البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم امن يبدأ الخلق ثم
يعيده وهم منكرون الاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين
من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار من السماء الماء ومن الارض

النبات

النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه فان قلت
لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن فى السموات والارض قلت جاء
على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار
كان احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغنى الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم
وقولهم ما اتانى زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعى
الى اختيار مذهب التميمى على الحجازى قلت دعت اليه نكتة سرية
حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى
الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعنى ان علمهم
الغيب فى استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما فى البيت ان كانت
اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت
ان الله ممن فى السموات والارض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى ان علمه
فى الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم قلت يابى
ذلك ان كونه فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من فى السموات
والارض وجمعك بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات
مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس
خطيب القوم انت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم انه يعلم ما فى غد
فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات
والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه
احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت فى المشركين حين سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمى به لكان فعالا

من ان يبين ولا تصرف وقرى ايان بكسر الهمزة وقرى بل ادرك بل اادرك بل ادّرك
بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أدرك على الاستفهام بلى ادرك
بلى أادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادّارك اصله تدارك
فادغمت التا في الدال وادّرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادّارك
تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله
بان القيامة كاينة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا
وانما فعله ناس منهم فان قلت ــــــــ ان الاية سيقت لاختصاص الله بعلم
الغيب وان العباد لا علم لهم بشي منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة
الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين
بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت ــــــــ
لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكاين ووقته الذي
يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا
ابلغ منه وهو انهم يقولون للكاين الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم
لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني
ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما يقول لاجهل الناس ما اعلمك
على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك
علمهم وادّارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك

ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل
علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت ــــــــ فما وجه
قراءة من قرا بل اادرك على سبيل الاستفهام قلت ــــــــ هو استفهام على وجه
الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل
والهمزة فان قلت ــــــــ فمن قرا بلى ادرك وبلى اادرك قلت ــــــــ لما جاء ببلى
بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم
في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم
بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا
بلى اادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا
انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين
تابع للعلم بكون الكاين في الاخرة في شان الاخرة ومعناه فان قلت ــــــــ
هذه الاضرابات الثلث ما معناها قلت ــــــــ ما هي الا تنزيل لاحوالهم
وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة
كاينة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة
الا ترى ان من يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره
اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل
ثم ما هو اسوا حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبداء
عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
جعلهم كالبهايم لا يتدبرون ولا يتبصرون العامل في اذا ما دل عليه ائنا
لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام

وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من
الارض ومن حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا
وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ
فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فان قلت
قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على
هذا قلت ـــ التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان
الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد
بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم تلحق علامة التأنيث
بفعل العاقبة لان تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم
واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين
في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى ان قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا
فيسلموا وهم قومه قريش كقوله لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال
بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر
وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ
مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب
الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت
اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل يتعدى
باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال
فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا

من

من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى
ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا
مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام
لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى
الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل
والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل
عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة
فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش وقرئ
تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم
ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه ومكايدهم وهو
معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية
فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية
والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية
في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة
والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين
لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر
في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه
لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم
وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر
به فان قلت ـــ ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه
ويمنع بمنعه قلت ـــ معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي

إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه
جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي عليه وبمن يقضي له او
العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين امره بالتوكل
على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به
الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته
وان مثله لا يخذل فان قلت ـــ انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا
آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت ـــ وجهه ان الامر بالتوكل جعل
مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه من جهة المشركين واهل الكتاب
من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل
متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم
واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس
لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم
وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين
فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون
وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم
ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ـــ ما معنى قوله اذا ولوا
مدبرين قلت ـــ هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى
عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ لا يسمع الصم وما انت بهادي العمي
على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن
الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال
بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته

اى

اى يصدقون بها فهم مسلمون اى مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو
يعنى جعله سالما لله خالصا له سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من
قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها
وحين لا ينفع التوبة دابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا
لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان
وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة
وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر
ذراعا بذراع آدم عليه السلم وروى لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء
او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن
لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام و
الناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها وعن رسول الله صلى الله عليه انه سئل
من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد
الحرام وروى انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج
بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها
على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج
من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني ان الناس
كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله
على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام
وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم
تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من اجياد

اذا تضطرب الارض
خط المصنف

وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ الارض تضطرب
تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا
موسى وخاتم سليمن فتضرب المومن في مسجده او فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة
بيضا فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضي لها وجهه او فتترك وجهه كانه
كوكب درى وتكتب بين عينيه مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة
حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المومن بالعصا
وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان
انت من اهل النار وقرى تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا
والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم
اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر
لنحرقنه بقراة علي رضي الله عنه لنحرقنه وان يستدل بقراة ابي تنبيهم و
بقراة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراة بان مكسورة
حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول
الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا
كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا قلت قولها حكاية
لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها
من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك
خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار
اي تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا
في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن
بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى

يدخلون

يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل والوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم
الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض
والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي
الراي من غير فكر ولا نظر يودي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها
وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك
ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت
لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا
قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك
وقد علمته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدات به وتجعله
اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك
ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك
بانه لا يجي منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما اشتهر من
خلاف ذلك او اراد ما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله
ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم
لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون
بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد
ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله
فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار
للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا

وبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى
وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب
في المكاسب فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي
الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على السموات والارض
لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند
النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة
قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك
الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله
قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
وقرئ اتوه واتاه داخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر
الصاغر وقيل الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد
رجوعهم الى امره وانقيادهم له جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع
الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة
ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا اجرام العظام
المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله
من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف
وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت اثاب الله
المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا
الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال
صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب

من جملة

من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه اياها على قضايا الحكمة انه
عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص
ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن
نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض
كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر
اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي
ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله
وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله
الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد
لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف
وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل
فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة
كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير
متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين
قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع
وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به كما يدخل
الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز
وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت
فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد
وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى
من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار

والآثار ما يدل عليه من فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف
النار أمن يعذى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله قيل السيئة الاشراك
يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا
فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين
هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول
امر رسول الله صلى الله عليه ان يقول امرت ان اخص الله جل ذكره بالعبادة ولا اتخذ
له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو
القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله
اختصها من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه
واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه
حين خرج من مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال
اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت
واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط
وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها
في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم
مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى
خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن وجعل دخول
كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان
ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا
في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك
وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود

فمن

فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه
والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدايه
راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر
وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة
التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم
الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني
في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله
في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل
يعملونه فالله تعالى عالم به غير غافل لان الغفلة والسهو لا يجوزان على
عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول الله
صلى الله عليه من قرا طس سليمن كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
سليمن وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

من نبا موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين
كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة
انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل
كان قائلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض
مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه
على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى
وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا او يشيع

بعضهم بعضا في طاعته او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط
او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم
يستعمله ضرب عليه الجزية والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء
ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين
على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكاين وان كذب فما
وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف
ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا
فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب
فان قلت ــــ علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف
غير سديد قلت ــــ هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا
في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون
واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف
اي يستضعفهم ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت ــــ كيف يجتمع استضعافهم
وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر
قلت ــــ لما كانت نعمة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت
ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ايمة مقدمين في الدين
والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قادة يقتدى بهم
في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا
الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا
يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض
وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت

في ايام

في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم ونرى ويرى فرعون وهامان
وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم
اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ــــ ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما
ونهى عن الاخر قلت ــــ اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح
خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع
ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان
وغير ذلك من المخاوف فان قلت ــــ ما الفرق بين الخوف والحزن
قلت ــــ الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم لواقع وهو فراقه
والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطا
من قلبها ويملوها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين روي
انه ذبح في طلب موسى عليه السلم تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت و
ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها
فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه
وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك
واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع
لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت
بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فلما
الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته
ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي
التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد

على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا
وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته
شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة
المجي والتاديب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان
هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار
الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين
في كل شي فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله
بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين
وخاطين الصواب الى الخطا روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم
يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات في جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا
فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرا الا من قبل البحر
يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرات
وقيل لما نظرت الى وجهه برات فقالت ان هذه النسمة مباركة فهذا احد
ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فاذن لنا
في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرت عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي
وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا
على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال
مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث والله اعلم بصحته وروي
انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف
ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود

دليل

عاشه من النور
حط الصف

دليل على انه خبر قرا لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما رات من النور وارتضاع
الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا
او نتخذه ولدا فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم
لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرات فرعون كذا وهم
لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه
وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه
مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن
النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
طار عقلها لما دهمها من فرط الدهش والجزع ونحوه قوله تعالى وافئدتهم
هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان
الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب
مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل
عليه قراءة من قرا فزعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء و
قرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها
وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به اي لتصحر به
والضمير لموسى عليه السلام والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا
على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون
من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز
واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه

وتنباه ان كادت لتبدى به انه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت
لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون
من المومنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون وتعطفه وقرى موسى بالهمز
جعلت الضمة فى جارة الواو وهى الميم كانها فيها فهمزت كما همز واو وجوه وقصيه
اتبعى اثره وتتبعى خبره وقرى فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن
جنابة بمعنى عن بعد وقرى عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد
الى جنبه اى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته
وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشى فقد منعه الا ترى
الى قولهم محظور وحجر وذلك ان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى
مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المراة التى ترضع او جمع مرضع
وهو موضع الرضاع يعنى الثدى او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روى انها
لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت
وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها
بامرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع
فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى
كل ثدى الا ثديك فقالت انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى
الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده
فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله تعالى
ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت
كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت
تاخذه على انه اجر على الرضا ولكنه مال حربى كانت تاخذه على وجه

الاستباحة

الاستباحة قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله
حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها
حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فوادها فارغا ويروى انها حين القت
التابوت فى اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون
موسى فهو جرى ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه
قالت وقع فى يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم
ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الدينى وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر
لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلى الذى ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن
واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة
ويروى انه لم يبعث نبى الا على راس اربعين سنة العلم التورية والحكم السنة
وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من ايات الله
والحكمة وقيل معناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل
فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين
غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون
فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل
قرية الا على تغفل وقرا سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه
من بنى اسرائيل وقيل هو السامرى من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون
وكان يتسخر الاسرائيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف
الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله
فان قلت لم جعل قتل الكافر عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه

واستحملوا امركم
خط المصنف

قلت لانه قتله قبل ان يوذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن
ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يومر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه
محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين
وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة
فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد
وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم
كمظاهرة الاسرائيلي مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو
رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين
قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة
واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد فيرمى به في النار وقيل معناه بما انعمت علي من القوة
فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع
قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه
او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل
وهو يقاتل آخر وقرى يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس
على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي
الى فرعون وهموا بقتله قيل الرجل مومن آل فرعون وكان ابن عم فرعون

جهنم
خط المصنف

ويسعى

ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف
بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار
التشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يامر صاحبه بشي او يشير
عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة للناصحين فتعرض
له في الطريق او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام
سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان
موسى صلى الله عليه لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس رضي الله عنه خرج وليس له
علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل
خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه
ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه
وكان بيرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره و
مستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم
في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء
من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل
لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما
ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب
خطبا كما سمي المشئون شانا في قولك ما شانك يقال ما شانت شانه اي قصدت
قصده وقرى لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع
كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن
تسقي لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس
البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة

فالله وحده وروى انه سالهم دلوا من ما فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت
لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما وروى انه دفعهم عن الما حتى سقى لهما وقيل كانت بيرا اخرى عليها
الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل
الى ذلك الما وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى
الضعيفتين من ورايهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين الله
تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه
رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده
وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص
امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة
الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتدا في ذلك
بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت ـــ لم ترك المفعول
غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت ـــ لان الغرض
هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي
ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى
يصدر الرعا المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت ـــ كيف
طابق جوابهما سواله قلت ـــ سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب
في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزا
حمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك
وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما
في توليهما السقي بانفسهما فان قلت ـــ كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب

عليلم ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت ـــ الامر في نفسه ليس بمحظور
فالدين لا يابه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال
العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر
خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اني لاي شي انزلت الي قليل او كثير غث
او سمين لفقير وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سايل وطالب وقيل
ذكر ذلك وان خضرة البقل تترآى في بطنه من الهزال ما سال الله الا اكلة
ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة
من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل
السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحيا في موضع
الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما
رجعتا الى ابيهما قبل الناس وغنمهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى
فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق
فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت ـــ
كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية
قلت ـــ اما العمل بقول امراة فكما عمل بقول الواحد حرا كان او عبدا
ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه
واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في نظاير تلك الحال مع ذلك الاحتياط
والتورع فان قلت ـــ كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت ـــ
يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام
شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا

كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من ولد يعقوب
ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر
ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد
كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع
وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا
حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته
بدعائه ليسمعها فلذلك قيل ليجزيك اجر ما سقيت اي اجر سقيك والقصص
مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيرا
وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته
وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته
رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين
كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية
والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال
هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته
فان قلت ــــ كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين
خبرا قلت ــــ هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير
ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت
حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة
على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود
رضي الله عنه افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله

عسى

عسى ان ينفعنا وابو بكر وعمر رضي الله عنهما روي انه انكحه صفراء وقوله
هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا
كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه
ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به
ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت ــــ كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه
من غير تمييز قلت ــــ لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة
امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت ــــ
فكيف صح ان تمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى
الى ابي حنيفة رضي الله عنه كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز
ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم
نفسه وليس بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو العبد او الدار فان قلت ــــ الامر
على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة
لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك
كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه
هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية
على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة
ويجوز ان يستاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته
ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر
حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني
لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا
عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ــــ

ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر
اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه
او وعد المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له
من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في
مراعات الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا
خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات
الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك
لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يدل
على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز
ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد
باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه
ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك
مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام
يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا
لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك
ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني
فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت
تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة
بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني
ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت
بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر

وان

وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما
التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا
اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي
وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله
تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابي قطيب
عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت
وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا
للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل
الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي
بعلى لذلك روي ان شعيبا عليه السلام كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل
ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم
من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان
مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له
شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى
ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه
بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم
لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما
الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى
عليه السلام وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي
الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له
شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر

الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على
كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين
مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى
عليه السلم والعصا شانا وقال انى وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع و
درعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات
واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه
اى الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما وروى انه قال قضى اوفاهما
وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت الجذوة باللغات الثلث وقرى
بهن جميعا العود الغليظ كانت فى راسه نار او لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى
يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال القى على قبس من النار جذوة
شديدا عليه حرها والتهابها من الاولى والثانية لابتداء الغاية اى اتاه النداء من
شاطى الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطى الوادى بدل
الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطى كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم وقرى البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون
وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ـــــ فما معنى قوله واضمم اليك جناحك
من الرهب قلت ـــــ فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلم لما قلب الله
العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشى فقيل له
ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل
يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب
ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان

يدك

يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه والثانى ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه
وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من
فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه
مشمران ومنه ما حكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين
يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له
عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من احد
اكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اى اذا اصابك
الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان
يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك
جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن
خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك
ان الغرض فى احدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب فان قلت ـــــ
قد جعل الجناح وهو اليد فى احد الموضعين مضموما وفى الاخر مضموما اليه
وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما
التوفيق بينهما قلت ـــــ المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى و
بالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح
ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى
مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات
الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الاية وكيف
تطبيقه المفصل كساير كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه

ماكان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرى محففا
ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان
فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها
من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون
قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط
وهو الزيت لانارتها يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به اسم فعل بمعنى
مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل
وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرى ردا على التخفيف
كما قرى الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء
فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض
بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص
بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق
ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى
الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما
يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل
جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق
الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي
ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب
تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه
الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون
وقراءة من قرا ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني العضد

قوام

قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد
ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضد العدو ومعنى
سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد
تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان
الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتدة
بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا متعلق بنحو ما تعلق
به في تسع ايات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او
بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم
الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه
لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه
على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس
بمعجزة من عند الله في ابائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد
ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا
بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون
بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون
به ما جاءهم من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي
اعلم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى
ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا
لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين
ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل
عليه قوله عز وجل اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم

الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد
بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت. فإن قلت
العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا
إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون
خاتمتها بالشر. قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد
بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير
وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فإذن
عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها
من نتائج تحريف الفجار. وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصحف
أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى
عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم
قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر
فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء. وقرئ يكون بالياء والتاء
روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى
الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير
فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وكان الباني لا يقدر
أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه
فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل
ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك
ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله
أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها

مصاحف
خط المصنف

بعث الله

بعث الله جبريل لهدمه والله أعلم بصحته. قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده
معناه ما لكم من إله غيري كما قال عز وجل قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا
في الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه
فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء
وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده. ويجوز أن يكون على ظاهره وأن
إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين
وإذا ظن موسى كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود
إلها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام
لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف
ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله
موسى وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان
هو في مكان وأنه يطلع عليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء
كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته
وجهل ملائه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه
وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم
أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك
الصفة. وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل
كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة. ويجوز
أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج
ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه
لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه

موجودا لم يتعلق به كان
خط

وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر
فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته
واشبه بكلام الجبابرة وامره هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى
باسمه بيا في وسط الكلام دليل على التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين
سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير
فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى الاستكبار بالحق
انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اى المتبالغ في كبرياء الشان قال
رسول الله صلى الله عليه فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق
يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي
دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا
لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ
في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها رواسي شامخات
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار قلت
معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى
خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا
دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير بخله وفسقه جعله
بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا

ومعنى

ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة ويوم
القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلانهم حتى كانوا ائمة
الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم
على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف
يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى
كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت واي فائدة في ترك
المردوف الى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف
فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره
الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مثبوت حكمه لما منعت
منه الالطاف فيحصل العلم بوجود التصميم على الكفر زيادة وهو قيام
الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه
قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة اى طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين
اى من المطرودين المبعدين بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب
الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة
انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا
لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل
الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي
فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر الغربي
المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور
وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه يقول وما كنت حاضرًا المكان الذي اوحينا
فيه الى موسى ولا كنت في جملة الشاهدين للموحى اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه
الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى
في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك. فان قلت كيف
يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له
قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا
بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهو القرن الذي
انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم
فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت
شاهدًا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي
هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن
هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويًا اي مقيمًا في اهل
مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلمًا
منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك
بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن
علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة
بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قومًا ما انذر
آباؤهم لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية و
احدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر
باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون
اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين

علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة
ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جانا
من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك. فان قلت
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو
المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب
للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال
بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة
لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا
على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على
ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم
ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت
اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي
وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير
الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول
المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق
احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة
ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاوا بالاقتراحات
المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك

وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابنا جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم
وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل
في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفروا آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا
اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين
مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت
بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب
المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه
وبالقران فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا
او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة
يسألونهم عن محمد عليه السلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم
فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران
تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي وهذا الشرط من نحو
ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب
اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك
التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه
في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدى بغير اللام قلت
هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي
الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال
استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف
فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت
قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال

فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق
لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى
من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم
الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني
مخذولا مخلى بينه وبين هواه وقرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القران
اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض
كقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم
وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من ارض
الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن فان قلت
اي فرق بين الاستينافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به
لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه
يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم
لان آباءهم القدماء قرأوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل
وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد
مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن
او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى
المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة
المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن
كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت

من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت ـــــ اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا
سمعوا اللغو لا تهدى من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت
ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره
ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه
وان الالطاف ينفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم
بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في
ابى طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بنى هاشم اطيعوا محمدا
وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه يا عم تامرهم بالنصيحة
لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد منك كلمة واحدة
فانك في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله
قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا
ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك
عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف اموت على
ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت قريش وقيل ان القايل
الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف
ان تبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة راس اى قليلون ان يتخطفونا
من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذى امنه بحرمة البيت وامن
قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم
امنون في حرمهم لا يخافون لحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات
والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن
والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان

يعرضهم للتخوف والتخطف وسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة
الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه تجلب
وتجمع قرى بالتاء والياء وقرى تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى
الى فيه وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت
من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يقرون
بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له
ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا
التخطف اذا امنوا به وخلعوا انداده فان قلت ـــــ بم انتصب رزقا
قلت ـــــ ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه
ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته
بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة
المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل
حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة
وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها
اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف
بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت
ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت
وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا
من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة
ويحتمل ان شوم معاصى المهلكين بقى اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم
لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اى تركناها

على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تتخلف الاثار عن اصحابها حينا
ويدركها الفنا فتتبع وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى
يبعث في القرية التي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا
لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله
وسابق قضايه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا
وهو محمد صلى الله عليه خاتم الانبيا وقرى امها بضم الهمزة وكسرها للاتباع
الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا
اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد
الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته
ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه
وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال
وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شي اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع
وزينة اياما قلايل وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله هو ثوابه خير
في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دايم سرمد وقرى يعقلون بالياء وهو ابلغ
في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها
ثلثة اصناف المومن والمنافق والكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه
منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شي احسن منها
ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا
وعلى عكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين الذين احضروا النار ونحوه لكنت

وعكسه
خط المصنف

من المحضرين

من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون وقيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي جهل لعنه الله وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد
بن المغيرة فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها قلت
قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله
افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الاخرة وابناء
الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء
الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار
عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته وقرى ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد
في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو لهو احسن لان الحرف
الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركاي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت
زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت
محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركاي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت
ولا يجوز الاقتصار على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه
ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وهولاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف
واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا
مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم
والجاء او دعونا الى الغي وسولوا لنا فهولاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم
لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان
تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع
فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة

بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان
وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروا من الكفر بانفسهم
هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا
يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين
من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون لوجه
من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوا
او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا
حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم
عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين
هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم
من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون
به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء
فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال
بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى
الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب
به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في
الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام

الغيوب

الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين من الشرك
وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام
تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح
الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى
المتخير لقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار
لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله
وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب
فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم
فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم
من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة
الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه
الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم
سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجرأة على الله و
اختيارهم عليه لا يختار ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة
وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك
الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما
الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك
على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم

القضا بين العباد ارايتم وقرئ اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه
اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة
ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل
ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه
كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع
التي تتعلق به متكاثرة وليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة
ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر
منافعه ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة
الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض
ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار
ولارادة شكركم وقد سلكت هذه الاية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ
الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل
في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في امثل توحيدك فادخلنا في الناجين
من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم
شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه
من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم وللشياطين
وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قارون
اسم عجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن
لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه امن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى
هو قارون بن يصهر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل
كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتورية

ولكنه

ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان
الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة
لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى
الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست
على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي
باية فامر رؤساء بني اسرائيل بان يجيء كل واحد منهم بعصاه فحزمها والقاها
في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا
واذا عصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون
ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه
فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ
عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب عليهم شبرا المفاتح جمع
مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزاين وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال
ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها و
اعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزاينه ستون بغلا لكل خزانة
مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود وقال ابو رزين يكفي الكوفة
مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي
القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزاين
ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت
اهل اليمامة ومحل اذ نصب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم
وقول القايل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا
من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما هو فيه

عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القايل شعر
أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتاك الله
من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب
والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك
ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او واحسن بشكرك وطاعتك
لله كما احسن اليك والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القايل
موسى صلى الله عليه وقرى واتبع على علم الله على استحقاق واستيجاب لما في
من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرايل بالتورية وقيل
هو علم الكيميا عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلم يعلم علم الكيميا فافاد يوشع
بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف
علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم
الكيميا فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة و
الدهقنة وساير المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا
كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما
اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورايي هكذا ويجوز ان يكون اثباتا
لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه
في التورية واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل
او لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته
ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفخ
بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه
به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي نفسه

مصارع

مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او واكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه
اتصال قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون
من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له
والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم
وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما يعملون والله بما تعملون
عليم وما اشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل
خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة
آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثماية
غلام وعن يساره ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين
الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر كان المتمنون قوما
مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر
وعن قتادة تمنوه لينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما
كفارا الغابط الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد
هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبط قوله تعالى يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه هل يضر الغبط فقال لا الا
كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل
مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ
وجدود ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف
في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب

لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح
الصابرون على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير
كان قارون يؤذي نبي الله موسى صلى الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم
على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى
اراد كم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر
بما شئت فقال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طبقا من ذهب مملوا ذهبا وقيل
حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى
جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه ومن احصن رجمناه فقال قارون وان كنت
انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها الله موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله
فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض
بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما
بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه
يتضرعون الى موسى عليه السلم ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت
اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله تعالى
الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا

مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا
موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله
من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره
من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل
يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا
وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطاء وتندم ومعناه ان القوم
قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا
كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو
مذهب الخليل وسيبويه قال ويكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر
يعش عيش ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه
وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه
لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى
وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله
هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس
من يقف على وي ويبتدى كانه ومنهم من يقف على ويك وقرا الاعمش لولا من الله
علينا وقرى لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف
بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها
ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب
اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه
ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل
تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني هاهنا وعن عمر بن

عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد
لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول
من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين
كما تدبره علي والفضيل وعمر معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع
الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة
تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون
وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة
بعشر امثالها وبسبع مائة وهو معنى قوله فله خير منها فرض عليك القرآن
اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة
هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت
الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل
المراد مكة ووجهه ان يراد ردة اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك
اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وقهره
لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان
الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا
ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد
آبائه وحرم ابرهيم عليه السلم فنزل جبريل عليه السلم فقال له تشتاق
الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل قوله تعالى قل ربي
اعلم بما قبله قلت لما وعد رسول الله عليه السلم الرد الى معاد
قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب
في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم

فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا
كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون
الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك وقرئ يصدنك من
اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم
صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزالها اليك
واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي
عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره الا وجهه
الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه من قرا
طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات
والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت
حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى يقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس
جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار
عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته
عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى
يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه
الحسبان في الاية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي
حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك

الذي هو لمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجي
بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصلين ومستقرين
قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يكون
خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب
والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت
خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما
مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدايد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعدا
وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصايب
في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب
الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون
لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بانواع المحن وضروب البلا حتى يبلو صبرهم
وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص
والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في
اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت
في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه قد جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب
اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فتبعهم المشركون
فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم
فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه

سيد

سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعا الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه
وامراته ولقد فتنا موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن
من هو خير منه يعني ان اتباع الانبيا قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم
او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا
الاية وعن النبي صلى الله عليه قد كان من قبلهم يوخذ فيوضع المنشار على راسه
فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه
من عصب ولحم ما يصرفه ذلك عن دينه وليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا
في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل
قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى
وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال
وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري
وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او وليسمنهم
بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون ان يسبقونا ان
يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به
انفسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي
في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض
ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا
حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين
كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة
ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر
انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بيس الذي

يحكمونه حكمهم هذا او بيس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت
تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان
ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما
سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان
يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة
فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله
والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شي مما يقوله عباده ومما يفعلونه
فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال
اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها ____ فان قلت فان اجل الله لآت كيف
وقع جوابا للشرط قلت ____ اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال
الممثلة والوقت الذي يقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه
قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء
كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس
يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد
لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني
عنهم وعن طاعتهم اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساءوا في بعض اعمالهم
وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات
ويجزيهم احسن الذين كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا
وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم
من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصى حكمه

حكم

حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل
ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف
كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم
بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد
عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه
بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط
حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك
زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان
التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا
تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدا
حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان
جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالاهيته والمراد بنفي
العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه
بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر
على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيان
احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما
ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير
من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع
والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة
بنت ابي سفين بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك صبات فوالله

لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجا سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروى انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسما بنت مخرمة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيدا قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطي لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المومنين وهو متمنى انبيا الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية هم ناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا مستهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمومنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المومنين وغنموا

اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدرنا احد ان يفتننا فاعطونا نصيبا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هولاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمومنين على ما ابطنوه ثم وعد المومنين واوعد المنافقين وقرى ليقولن بفتح اللام امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باوليك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظايم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوايجه فلما قضاها قال يا امير المومنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهولاء فانهم قطاع الطريق في المامن فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله انهم لا يقدرون على الوفا به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفا به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشي لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشي وفي قلوبهم

وانا نحمل خط

نية الخلف وليحملن اثقالهم اى اثقال انفسهم واثقالا يعنى اثقالا آخر غير
الخطايا التى ضمنوا للمومنين حملها وهى اثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وليسئلن
سؤال تقريع عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وروى
من خطيأتهم كان عمر نوح عليه السلم الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين
ولبث فى قومه تسعماية وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش
الفا واربعماية سنة فان قلت هلا قيل تسعماية وخمسين سنة قلت
ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على
اكثره وهذا التوهم زايل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعماية وخمسين سنة
كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفايدة وفيه
نكتة اخرى وهى ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلم
من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذى لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض
من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم جاء المميز اولا بالسنة
وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق
بالاجتناب فى البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم
او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل
او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج وعم طوفان الظلام الاثأبا اصحاب السفينة
كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح
سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال
وخمس نسوة وقد روى عن النبى صلى الله عليه كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه
الثلثة والضمير فى وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة نصب ابرهيم

باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف
على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعنى ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه
لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا
ابرهيم النخعى وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم تعلمون
يعنى ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية
المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم وقرى تخلقون من خلق بمعنى
بمعنى التكثير فى خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرى افكا فيه وجهان
ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما
وان يكون صفة على فعل اى خلقا افكا اى ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان
آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك
فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده
لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرى بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر
له على انعمه وان تكذبونى فلا تضرونى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم اممهم
وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل
واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو
اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى ساير
الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب
وهذه الاية والايات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول
ابرهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة فى شان رسول الله
صلى الله عليه وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت اذا كانت

من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم
وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه
الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على
التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت هي
حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه
كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش
فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل اعتراضية لا بد لها
من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله
قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله
عليه وان يكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني
به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى
انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة
نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم
وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم ساير الآيات الواطئة عقبها من اذيالها
وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلايله وهدم الشرك وتوهين قواعده
وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه وقرى تروا بالتاء
والياء ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية
واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر
في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء
ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت
هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت

هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك قوله واستخلفه معطوف
على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو
اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل
واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت
بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرى النشأة و
والنشاءة كالرأفة والرآفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه
مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدأ الخلق
وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة قلت
الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء
بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء
هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك
الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على
هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته
ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر
والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتايب تقلبون تردون وترجعون وما انتم
بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضايه في الارض الفسيحة
ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما
قال حسان امن يهجو رسول الله منكم وينصره ويمدحه سواء ويحتمل
ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج
والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره

الجاري في السماء والارض ان تجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل
من السماء بايات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقايه والبعث
يئسوا من رحمتي وعيداي يياسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون او هو وصف لحالهم لان المومن انما يكون راجيا خاشيا فاما الكافر فلا يخطر
بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من ييئس من الرحمة
وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اوليك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمومن ان لا ييأس من روح الله ولا من
رحمته وان لا يامن عذابه وعقابه وصفة المومن ان يكون راجيا لله خايفا قرئ
جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون
راضين فكانوا جميعا في حكم القايلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم
القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقرئ على النصب بغير اضافة وباضافة
وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وايتلافكم كما يتفق الناس على مذهب
فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله واتخذ
الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف
او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة
وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب
مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم
ففتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة
الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يقوم

بينكم

بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز وعلا
ويكونون عليهم ضدا كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول من امن له حين راى النار لم تحرقه وقال
يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين
ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة و
هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي
يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي اجره الثناء الحسن والصلوة عليه
آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت
ما بال اسمعيل لم يذكر وذكر اسحق عليهم السلام وعقبه قلت قد دل عليه في قوله
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت
ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته
من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور والانجيل والقرآن ولوطا معطوف على ابرهيم
او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قايلا قال لم كانت
فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط
قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر
على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد
وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون
وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم
السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن
عباس رضي الله عنه هو الخذف بالحصا والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك
والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وعن عايشة رضي الله عنها

كانوا يتحابقون وقيل السخرية لمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل
وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة
له ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين
فيما تعدناه من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي
والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فاراد لوط عليه السلم ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين
في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا
اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور
من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة
وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه
فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم
بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمومن
من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى
او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المومن ان لا يحوط المومن الا ترى الى جوابهم
بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه
وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك
وهون عليك الخطب وقرى لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك
ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل
بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة
من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم

وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن
فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل
اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز
والقدرة الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما
يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرى منزلون مخففا ومشددا منها من القرية
اية بينة هي اثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود
على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او ببينة وارجوا
وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء
والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة
الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة وعن
الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم
او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين
وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه
في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من هلاكهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم
فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم
لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على
السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه
الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة
لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه
ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس

فی الوهن وضعف القوة وهو نسج العنکبوت الا ترى الی مقطع التشبیه وهو
قوله وان اوهن البیوت لبیت العنکبوت فان قلت ما معنی قوله لو کانوا
یعلمون وکل واحد یعلم وهن بیت العنکبوت قلت معناه لو کانوا یعلمون
ان هذا مثلهم وان امر دینهم بالغ هذه الغایة من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح
تشبیه ما اعتمدوه فی دینهم ببیت العنکبوت وقد صح ان اوهن البیوت بیت
العنکبوت فقد تبین ان دینهم اوهن الادیان لو کانوا یعلمون او اخرج الکلام
بعد تصحیح التشبیه مخرج المجاز فکانه قال وان اوهن ما یعتمد علیه فی الدین
عبادة الاوثان لو کانوا یعلمون ولقایل ان یقول مثل المشرك الذی یعبد الوثن
بالقیاس الی المومن الذی یعبد الله مثل عنکبوت یتخذ بالاضافة الی رجل یبنی بیتا
باجر وجص او ینحته من صخر وکما ان اوهن البیوت اذا استقریتها بیتا بیتا
بیت العنکبوت کذلك اضعف الادیان اذا استقریتها دینا دینا عبادة الاوثان
لو کانوا یعلمون قری ویدعون بالیاء والتاء وهذا توکید للمثل وزیادة علیه حیث لم
یجعل ما یدعونه شیا وهو العزیز الحکیم فیه تجهیل لهم حیث عبدوا ما لیس بشی
لانه جماد لیس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وترکوا عبادة القادر القاهر
علی کل شی والحکیم الذی لا یفعل شیا الا بحکمة وتدبیر کان الجهلة والسفها
من قریش یقولون ان رب محمد یضرب المثل بالذباب والعنکبوت ویضحکون
من ذلك فلذلك قال وما یعقلها الا العالمون ای لا یعقل صحتها وجهتها وحسنها
وفایدتها الا هم لان الامثال والتشبیهات انما هی طرق الی المعانی المحتجبة
فی الاستار حتی تبرزها وتکشف عنها وتصورها للافهام کما صور هذا
التشبیه الفرق بین حال المشرك وحال الموحد وعن النبی صلی الله علیه
انه تلا هذه الآیه وقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه

بالحق ای بالغرض الصحیح الذی هو حق لا باطل وهو ان تکونا مساکن عبادة وعبرة للمعتبرین
منهم ودلایل علی عظم قدرته الا تری الی قوله ان فی ذلك لآیة للمومنین ونحوه قوله
تعالی وما خلقنا السما والارض وما بینهما باطلا ذلك ظن الذین کفروا الصلوة تکون
لطفا فی ترك المعاصی فکانها ناهیة عنها فان قلت کم من مصل یرتکب ولا تنهاه صلوته
قلت الصلوة التی هی الصلوة عند الله تعالی المستحق بها الثواب ان یدخل فیها
مقدما للتوبة النصوح متقیا لقوله تعالی انما یتقبل الله من المتقین ویصلیها خاشعا
بالقلب والجوارح فقد روی عن حاتم کان رجلی علی الصراط والجنة عن یمینی
والنار عن یساری وملك الموت من فوقی واصلی بین الخوف والرجا ثم یحوطها بعد
ان یصلیها فلا یحبطها فهی الصلوة التی تنهی عن الفحشا والمنکر وعن ابن عباس
رضی الله عنه من لم تامره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنکر لم یزدد بصلوته
من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلوته عن الفحشا والمنکر فلیست
صلوته بصلوة وهی وبال علیه وقیل من کان مراعیا للصلوة جره ذلك الی ان ینتهی
عن السیات یوما ما فقد روی انه قیل لرسول الله صلی الله علیه ان فلانا یصلی
بالنهار ویسرق باللیل فقال ان صلوته لتردعه وروی ان فتی من الانصار کان یصلی
معه الصلوات ولا یدع شیا من الفواحش الا رکبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه
فلم یلبث ان تاب وعلی کل حال فان المراعی للصلوة لا بد ان یکون ابعد من الفحشا
والمنکر ممن لا یراعیها وایضا فکم من مصلین تنهاهم الصلوة عن الفحشا والمنکر واللفظ
لا یقتضی ان لا یخرج واحد من المصلین عن قضیتها کما تقول ان زیدا ینهی عن المنکر
فلیس غرضك انه ینهی عن جمیع المناکیر وانما ترید ان هذه الخصلة موجودة
فیه وحاصلة منه من غیر اقتضا للعموم ولذکر الله اکبر یرید وللصلوة
اکبر من غیرها من الطاعات وسماها بذکر الله کما قال فاسعوا الی ذکر الله

وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او
ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى
بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنه ولذكر الله اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة
فيثيبكم احسن الثواب بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهو مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فا
فرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق واستعملوا معهم
الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك
وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا
بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة
بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان
حقا لم تكذبوهم ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر
الكتب ~~الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب~~ السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم
الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا
الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه من اهل الكتاب ومن
هؤلاء ممن في عهدهم منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها
الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وانت

امى

امى ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة
والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب
ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت
لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان
اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت
سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم
به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر
وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة
الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى
وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به
وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك
قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه
كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان
اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل القرآن آيات بينات في صدور
العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه
محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن
معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة
صدورهم اناجيلهم وما يجحد بايات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم
المكابرون قرئ آية وآيات وارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة
عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه
لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي

ان الخبر على الله آياته فاقول انزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض
من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم
آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي
تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل
كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة
في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون
وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه
بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم
او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه
ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم
قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم
وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا
بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر
بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا واياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف
واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت كان استعجالهم
العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم امطر
علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء
ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره
الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة

لما روي ان الله عز وجل وعد رسوله عليه السلام ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم
وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم
لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي
التي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة
محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب
كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه معنى الآية ان
المؤمن اذا لم تتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب
فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن
خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا
وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة
واجمع للقلب المتقلب واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان
للملقب حط
وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار
بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من
الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض
ولو كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد
وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني
الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك ضربتك
في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في
فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى

ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف
الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد
وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته
لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي
وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى هو
غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا
نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما
اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة
الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى
الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله لما امر رسول الله
صلى الله عليه من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل
منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت
على وجه الارض عقلت ام لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها
عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله
ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه
لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن
الحسن لا تحمل رزقها لا تدخر وانما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء
يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه

ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم
بما في ضمائركم الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله
وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض قدر الرزق وقتره بمعنى
اذا ضيقه فان قلت الذي رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء
فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر
لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين وكان الضمير مبهما مثله
وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم
يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم استحمد رسول الله صلى الله عليه على انه
ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء والانداد عنه
ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث
نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون
ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون
ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها
ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة
يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة
ثم يتفرقون وان الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة
لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان
فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا
قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء
الحيوة وهي ما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان
واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء

دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع
المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل
قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه
هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله
ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر
وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك
في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود
الى كفرهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف
ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله
في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع
والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى
اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى
بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاءوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت
هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل
قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ
في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه
وقلت انت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر
بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد ابيت
قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك
اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك كانت العرب حول مكة

يغزو

يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون
ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم
بانهم يؤمنون بالباطل الذي هو عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها
من النعم التي لا يقدر عليها الا الله تعالى وحده مكفورة عندهم افتراؤهم على الله
كذبا زعمهم ان لله تعالى شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب
وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا
كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه
الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم
في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا قال ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة
مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى
التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا
مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم
ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة اطلق المجاهدة ولم
يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان
واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم
هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن
ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن
بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا
بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهى ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القراءة المشهورة الكثيرة غُلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح اليآء والارض ارض العرب
لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا فى ادنى ارض العرب منهم
وهى اطراف الشام او اراد وارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى
فى ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس
وعن ابن عباس رضى الله عنه الاردن وفلسطين وقرى فى ادنى الارض والبضع ما بين
الثلث الى العشر عن الاصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى
فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه والمسلمين
لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا
انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن
نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله
لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلايص من كل واحد منهما
وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وظهرت الروم على فارس
يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين
فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان
القرآن من عند الله لانها انبآء عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله وقرى

غَلْبهم بسكون اللام والغَلَب والغَلْب مصدران كالجَلَب والجَلْب والحَلَب والحَلْب
وقرى غَلَبت بالفتح وسيُغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون فى جهاد
الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهى فى احديهما اضافة المصدر
الى المفعول وفى الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم
ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هى قمار
قلت عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب
ابى حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود الفاسدة من عقود الربوا وغيرها جائزة
فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضى الله
عنه بينه وبين ابى بن خلف من قبل ومن بعد اى اول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا
وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا
بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرى من قبلٍ ومن بعدٍ على الجر
من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا
ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار
مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة
الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا
وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفى ذلك قوة للاسلام وعن ابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفى هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم
ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك على الف درهم

عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه
فى معنى وعد ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء فى امور الدنيا بله فى امر الدين
وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم
انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام جيد وقوله يعلمون بدل
من قوله لا يعلمون وفى هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث
يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل
وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان
للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفها الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم
بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة
والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة
ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى
وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبرا للاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم
معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع
فى انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر فى انفسهم اى فى قلوبهم
الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال
المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك واضمره فى نفسك وان يكون صلة للتفكر
كقولك تفكر فى الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه
اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه
الا بالحق واجل مسمى اى ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة
ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل
مسمى لا بد لها من ان تنتهى اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب

والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء فى قوله الا بالحق مثلها فى قولك
دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتريته
وهو ملتبس بسرجه ولجامه غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا
وهى ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت ——— اذا جعلت فى انفسهم
صلة للتفكر فما معناه قلت ——— معناه اولم يتفكروا فى انفسهم التى
هى اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها
منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب
الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت
يجازيها فيه الحكيم الذى دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة
مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة
والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم
الاجل المسمى اولم يسيروا تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى اثار
المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى
لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثورا لاثارته
الارض وبقرة لانها تبقرها اى تشقها وعمروها يعنى اولئك المدمرون اكثر
مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة الارض
اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم فى دنياهم لان
معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا
ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اى من عاد وثمود واضرابهم

من هذا القبيل لقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان
هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تمكينه اياهم ظلما لهم لان حاله
منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم قرئ عاقبة
بالنصب والرفع والسوآى تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث
الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوآى
الا انه وضع المظهر في موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
في الآخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان
يكون ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في
معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساءوا
السوآى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان
لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام ثم اليه يرجعون
اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكنا متحيرا
يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس
التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته من شركائهم من
الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالاهيتهم
ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف
بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوآى بالالف
قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين و
الكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع
بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه

والروض

والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة
في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا
تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن
مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على
رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم
وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي
ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع
الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين
قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل
الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو سمعها
اهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم
بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد
وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه
بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل
لابن عباس رضي الله عنه هل تجد ذكر الصلوات الخمس في القران قال نعم وتلا
هذه الاية تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة
العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد
في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات
والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه الله الى ان الاية مدنية
قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب
بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة

وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله المدينة اقرت
صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه من سره ان يكال له بالقفيز
الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلم من قال
حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته
من يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون
وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
المعنى فيه الحي من الميت الطاير من البيضة والميت من الحي البيضة من الطاير واحيا
الارض بعد موتها اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون
من القبور وتبعثون والمعنى ان الابدا والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على
الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحيا الميت واماتة
الحي وقرى الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء وخلقكم من تراب لانه خلق اصلهم
منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله
وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع آدم والنساء
بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك
لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر
وجعل بينكم التوادد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة
ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال وذكر رحمة ربك عبده ويقال
سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف للسكون
اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطن
الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء

حتى

حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة
ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور
وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت
وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين
يشتبهان في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى
وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها
الا الله مختلفون متفاوتون وقرى للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها
الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار
الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان الواقع فيه
كشي واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم
فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه
بالاذان الواعية في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر
المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القايل وقالوا ما تشاء فقلت الهو
الى الاصباح آثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل
خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق
المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت
فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤن فكانه قيل يجعلكم
رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اى ارادة
خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين
اى خائفين وطامعين وقرى ينزل بالتشديد ومن آياته قيام السموات والارض
واستمساكهما بغير عمد بامره اى بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته

لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع
الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم
خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد
سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال
القايل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات و
الارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول
يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما
قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته
من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل
فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت ___ بم تعلق
من الارض بالفعل ام بالمصدر قلت ___ هيهات اذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل فان قلت ___ ما الفرق بين اذا واذا قلت ___ الاولى للشرط
والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم
التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون
عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد
منكم صنعة شي كانت اسهل عليه واهون من انشائها ويعتذرون للصانع
اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر
في صناعته معاودا يعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها
وهانت عليه فان قلت ___ لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون عليه والمراد
به الاعادة قلت ___ معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت ___ لم اخرت

الصلة

الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت ___ هنالك
قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد
بين هم وعاقر واما هنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون
من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ___
ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام
السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت ___ الاعادة في نفسها
عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه
ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام
اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان يتنقل من احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد
وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير
فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله
لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج
عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان
الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل
ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب
ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب
كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها
في التاتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشا
وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف
في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي
لا يعجز عن شي من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله

وهو العزيز الحكيم اى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته
وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله والمعنى وله الوصف الاعلى الذى
هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج
وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما
يصعب ويسهل يريد التفسير الاول فان قلت ــــــــــ اى فرق بين من الاولى
والثانية والثالثة فى قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء قلت ــــــــــ
الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شىء منكم وهى انفسكم
ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى
ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان
يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء
من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا
بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم
فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده
له شركاء كذلك اى مثل هذا التفصيل نفصل الايات اى نبينها لان التمثيل
مما يكشف المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور
الشرك بالصورة المشوهة الذين ظلموا اى اشركوا كقوله ان الشرك لظلم عظيم
بغير علم اى اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه
وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شىء من اضل الله من خذله
ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم
من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له
وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه

وثباته

وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشىء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره
وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله
الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله
تعالى منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه واقيموا الصلوة
ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله
والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه
مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن
غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادى خلقت حنفاء
فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله
كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل
لخلق الله اى ما ينبغى ان يبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت ــــــــــ لم وحد
الخطاب اولا ثم جمع قلت ــــــــــ خوطب رسول الله صلى الله عليه اولا و
خطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد
ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام
وقرئ فرقوا دينهم اى جعلوا اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا
فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور
يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين
دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله
وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر شدة من هزال او مرض او قحط او غير
ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى ليكفروا مجاز مثلها فى
ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم

وقرا ابن مسعود وليبتغوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا
مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته
وما في بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير
اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا
عليهم ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه
يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة اى بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شوم
معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط
القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى
التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته حق ذى القربى صلة الرحم
وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة
رضى الله عنه بهذه الاية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين
عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين
قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف
تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جى بالفاء قلت لما ذكر
ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل
وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته
وجانبه اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان
متقاربان ولكن الطريقة مختلفة هذه الاية فى معنى قوله عز وعلا يمحق الله
الربوا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربوا

ليربوا فى اموالهم ليزيد ويزكوا فى اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم
من زكوة اى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا يطلبون عليه مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك
هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى
القوة واليسار وقرى بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف كانوا يربون وقيل المراد ان يهب
الرجل للرجل او يهدى له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام
ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يوخذ
فيه اكثر منه او يجر منفعة والذى ليس بحرام ان يستدعى بهبته او بهديته اكثر منها
وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرى وما آتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او
رهقتموه من اعطاء ربوا وقرى لتربوا اى لتزيدوا فى اموالهم كقوله ويربى الصدقات
اى يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته وخواص
خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو
امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من
ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون
والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفائدة
الله مبتدا وخبره الذى خلقكم اى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى
لا يقدر على شى منها احد غيره ثم قال هل من شركائهم الذين اتخذتموهم اندادا
له من الاصنام وغيرها من يفعل شيا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم
اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذى خلقكم صفة للمبتدا
والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله
ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم
وتجهيل عبدتهم الفساد فى البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات

به خط

والزيح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق
الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار
وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت
دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة
العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البحر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب
معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن
عباس رضي الله عنه ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى
كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي
بكسب الناس ذلك فان قلت ــــ ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
قلت ــــ اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم
ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم
يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور
بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم
انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون
ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف
اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين
على ان الشرك فيه عوج من الله اما يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله
يوم لا يرده احد لقوله تعالى فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو
بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون
اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة

لما

لما الاغاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم
يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطيه لئلا
يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض
ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام
فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود
الا على الكافر لا يعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المومن لا تتجاوزه
ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب
من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد
حصول ما هو تبع له او اراد من عطايه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية
عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير
انه لا يفلح عنده الا المومن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على
الطرد والعكس الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله عليه السلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد
الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي
نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب
الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه اذا كثرت المؤتفكات
زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك
ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون
مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا
من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت ــــ بم يتعلق
وليذيقكم قلت ــــ فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى

كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا
ارسلناها اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين
وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع
من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم
مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على
حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله
صلى الله عليه ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه
نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فيبسطه متصلا
تارة ويجعله كسفا اى قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله فى التارتين جميعا
والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها فى السماء وباصابة العباد
اصابة بلادهم وان اصيبهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى
فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم
بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على
قدر اغتمامهم بذلك قرى اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرا ابو حيوة وغيره
كيف تحيى اى الرحمة ان ذلك يعنى ان ذلك القادر الذى يحيى الارض بعد موتها
هو الذى يحيى الناس بعد موتهم وهو على كل شئ من المقدورات قادر وهذا
من جملة المقدورات بدليل الانشاء فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله
هى الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى
آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي
به ما نبت ولئن هى اللام الموطية للقسم دخلت على حرف الشرط وظلوا
جواب القسم سد مسد الجوابين اعنى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه

ليظلن

ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا
اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا
وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم
فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله
فقنطوا وان يشكروا نعمة الله ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار
وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التى اصفر لها النبات يجوز ان يكون حرورا
وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة
حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر قرى بفتح
الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى فى القراءة لما روى ابن عمر قال قراتها
على رسول الله صلى الله عليه من ضعف فاقرانى من ضعف وقوله خلقكم
من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعنى ان اساس امركم وما عليه جبلتكم
وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اى ابتدانكم فى اول الامر ضعافا وذلك
حال الطفولة والنشو حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة
الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة
والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد فى الاحوال
المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد
على الصانع العليم القدير الساعة القيمة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت
علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم فى الدنيا او فى القبور
وفيما بين فناء الدنيا الى البعث وفى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون
قالوا لا نعلم اهى اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه

وينقطع عتابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يوفكون اى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق فى الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق ومثل ذلك الافك كانوا يوفكون فى الاغترار بما تبين لهم الان انه ما كان الا ساعة القايلون هم الملئكة والانبيآء والمومنون فى كتاب الله فى اللوح او فى علم الله وقضايه او فيما كتبه اى اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفآء وما حقيقتها قلت ــــــــــ هى التى فى قوله فقد جينا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جينا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم البعث بالتحريك لا ينفع قرى بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اى ازيل غضبهم والغضب من معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت ــــــــــ كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الايات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت ــــــــــ اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم

جنى

جنى عليهم فهم عاتبون على الجانى غير راضين منه فان يستعتبوا الله اى يسالوه ازالة ما هم فيه من المجانبين الى ازالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جيتهم باية من ايات القرآن قالوا جيتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التى تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما منعها من علم انها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من تبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدآء والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدا قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله فى تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفآء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبعد منهم ذلك وقرى بتخفيف النون وقرا ابن ابى اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المومنين قال ــــــــــ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السمآء والارض وادرك ما ضيع فى يومه وليلته

سورة لقمن مكية وهى اربع وثلثون اية وقيل ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحكيم ذى الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازى ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قايله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب

على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد
خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها
من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي
الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن
الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين
بهذه الثلث لفضل اعتداده بها اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث
نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك
وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه
ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم
فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم
باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون
استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا
انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك
اليه محمد من الصلوة والصيام وان يقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه
لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل
يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر
على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل
الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ــــــ ما معنى
اضافة اللهو الى الحديث قلت ــــــ معناه التبيين وهي الاضافة بمعنى
من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك ثوب خز وباب ساج والمعنى
من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث

والمراد

والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات
كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس
من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشرى على
ما روي عن النضر من شرى كتب الاعاجم او من شرى القيان واما من قوله اشتروا الكفر
بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار
حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام
او القرآن فان قلت ــــــ القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو
ان يصد الناس عن الدخول في دين الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة
بالفتح قلت ــــــ فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصرف
عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه
والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على
المردوف فان قلت ــــــ ما معنى قوله بغير علم قلت ــــــ لما جعله مشتريا
لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل
الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي
وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري
او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به
ويبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله في ذلك
حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيها وقرئ بسكون
الذال فان قلت ــــــ ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت ــــــ الاولى
حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين والاصل في كان
المخففة كانه والضمير ضمير الشان وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول

موكد لنفسه والثاني موكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات
النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على الثبات اكد به معنى الوعد وموكدهما جميعا
قوله جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شي ولا يعجزه يقدر على الشي وضده فيعطي النعيم
من شآ والبوس من شآ وهو الحكيم لا يشآ الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيه
للسموات وهو استشهاد برويتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد ترونها كما تقول
لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت
لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه
عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق
والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشيآ العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني
ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال هو لقمن بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل
كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داوود عليه السلام واخذ منه العلم
وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت
وقيل كان قاضيا في بني اسرايل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس
رضي الله عنه لقمن عليه السلم لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله
العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة
والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب
كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين
متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم
حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه
يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف

عليه

عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى
قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود عليه السلم وهو يسرد
الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له
داود عليه السلم بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب
مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث
مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا
واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان
من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر رضي الله عنهم ولقمن
عليه السلم ان هي المفسرة لان ايتآ الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على
ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله تعالى والشكر له حيث
فسر ايتآ الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد
وان لم يحمده احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته
كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا
نعمة منه البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه اي حملته تهن تضعف
ضعفا فوق ضعف اي تتزايد ضعفها وتتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت
ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن
يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به
نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشي يريد الاصنام كقوله وما يدعون من دونه من شي
معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة
وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المومنين

فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ثم الى مرجعك
ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان
فى صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التى لا يسوغ
الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الاخرة وروى انها نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه وفى
القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى انه قال لو كانت لها
سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت ــــ هذا الكلام كيف وقع
فى اثناء وصية لقمن قلت ــــ هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا
لما فى وصية لقمن من النهى عن الشرك فان قلت ــــ فقوله حملته امه وهنا على وهن
وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت ــــ لما وصى بالوالدين
ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة
ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم
قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول
فى حدايه بنفسه   احمل امى وهى الحمالة ترضعنى الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله
فان قلت ــــ ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت ــــ المعنى فى توقيته
بهذه المدة انها الغاية التى لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام
ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد
الشافعى رحمه الله على ان مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما
وهو مذهب ابى يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابى حنيفة رضى الله عنه
فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابى حنيفة رحمه الله ان فطمته قبل العامين

فاستغنى

فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم تكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن
الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم قرى مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب
كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اى ان كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل
فكانت مع صغرها فى اخفى موضع واحرزه فى جوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى
يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفى
خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرا بالرفع كان
ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم وروى ان ابن لقمن قال له ارايت الحبة تكون فى مقل
البحر اى فى مغاصه يعلمها الله تعالى فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء فى اخفى الامكنة
لان الحبة فى الصخرة اخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين
يكتب فيها اعمال الكفار وقرى فتكن بكسر الكاف من وكن الطاير يكن اذا استقر فى وكنته
وهى مقره ليلا واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وان يكون
خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اذى من يبعثهم على
الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب
والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه بالنية
الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يوخذ برخصه كما يحب
ان يوخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك
ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك
لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته انه من تسمية
المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى مقطوعاتها ومفروضاتها
ويجوز ان يكون مصدرا فى معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى

فاذا عزم الامر لقولك جدّ الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم
هذه الطاعات وانها كانت مأموراً بها في ساير الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان
سابقة القدم على ما سواها موصًى بها في الاديان كلها تصاعر وتصعّر بالتشديد والتخفيف
يقال اصعر خده وصعّره وصاعره كقولك اعلاه وعلّاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء
يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولهم
شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحاً او اوقع
المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن
غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني
او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس
والمختال مقابل للماشي مرحاً وكذلك الفخور للمصعّر خده كبراً واقصد في مشيك
واعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب
الشطار وقال رسول الله صلى الله عليه سرعة المشي تذهب بهاء المومن واما قول
عايشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة
المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من
اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك اي انقص منه
واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا اقصر به ووضع منه انكر الاصوات
اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت
وللحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره
مجرداً وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون
الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب
ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار

استنكافاً وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم
بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان
جعلوا حميراً وصوتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط
عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت
لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد
هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر
اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ما في السموات الشمس
والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب
وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف
تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ونعمة ونعمته فان قلت
ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله
نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة
من حيث ان ايجاده حياً نعمة عليه لانه لولا ايجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل
ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصوداً
به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثاً والعبث لا يجوز
عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق
الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة
قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلاً
فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد
ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن رحمه الله
الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة

ونسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وساير
الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى
صلوات الله عليه الهى دلنى على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتى عليهم النفس
ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس معناه ايتبعونهم ولو كان
الشيطان يدعوهم اى في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب قرا على بن ابى طالب رضى الله عنه
ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت ـــ ماله عدى
بالى وقد عدى باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت ـــ معناه مع اللام انه
جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اى خالصا ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه
كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك
بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق
فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه والى الله
عاقبة الامور اى هى صايرة اليه قرى يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذى عليه
الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده
للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله
يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم
نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار
المضطر الى الشى الذى لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ استعار من الاجرام
الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم
بان الذى خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر
وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا
نبهوا عليه لم يتنبهوا ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه

قرى

قرى والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون
الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو
ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب
ان يحمل على هذا الوجه الاول وقرى يمده ويمده بالياء والتاء فان قلت ـــ كان مقتضى
الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت ـــ اغنى عن ذكر المداد قوله
يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل
الابحر السبعة مملوة مدادا فهى تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى
ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام
وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد لقوله عز
وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى
فان قلت ـــ زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهى الرفع وليس
فيه ضمير راجع الى ذى الحال قلت ـــ هو كقوله وقد اغتدى والطير في وكناتها
وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم الظروف
ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت ـــ لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذى هو شجر قلت ـــ اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة
حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت ـــ الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت ـــ معناه ان
كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود
لما قالوا قد اوتينا التورية وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا اعنى
الوحى كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية
وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هى مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله
صلعم

الست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التورية وفيها علم كل شي ان الله عزيز
لا يعجزه شي حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شي ومثله لا تنفد كلماته وحكمته
الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اى سوآ فى قدرته القليل والكثير والواحد والجمع
لا تتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد
ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع
كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض
فكذلك الخلق والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه الى وقت معلوم
الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه
لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى
النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم
قدرته وحكمته فان قلت ـــــــ يجرى لاجل مسمى ويجرى الى اجل مسمى اهو من تعاقب
الحرفين قلت ـــــــ كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن
ولكن المعنيين اعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملايم لصحة الغرض لان قولك
يجرى الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لاجل مسمى يريد يجرى
لادراك اجل مسمى تجعل الجرى مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جرى الشمس
مختص باخر السنة وجرى القمر باخر الشهر وكلا المعنيين غير ناب به موضعه
ذلك الذى وصف من عجايب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحيآء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق
الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلى الشان الكبير
السلطان او ذلك الذى اوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق
وان الها غيره باطل وان الله هو العلى الكبير عن ان يشرك به وقرى الفلك بضم اللام

وكل

وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون
العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته
صبار على بلايه شكور لنعمايه وهما صفتا المومن فكانه قال ان فى ذلك لايات لكل مومن
يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او
غيرهما وقرى كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط فى الكفر والظلم
خفض من غلوايه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر
يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر
وقيل مومن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك
انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال
ـــــــ
وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر لا يجزى لا يقضى عنه شيا
ومنه قيل للمتقاضى المتجازى ومنه الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى
عن احد بعدك وقرى ولا يجزى لا يغنى يقال اجزات عنك مجزأ فلان والمعنى
لا يجزى فيه فحذف والغرور الشيطن وقيل الدنيا وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة
وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة
وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسياتك غرة وقرى بضم الغين وهو مصدر
غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور
فان قلت ـــــــ قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيا وارد على طريق من
التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت ـــــــ الامر كذلك لان الجملة
الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب
فى مجيه على هذا السنن ان الخطاب للمومنين وعليتهم قبض آباوهم على الكفر وعلى الدين
الجاهلى فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم فى الآخرة وان يشفعوا

لهم

وان تغنوا عنهم من الله شيا فلذلك جى به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود ان
الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من
اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك وروى ان رجلا
من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله اخبرنى
عن الساعة متى قيامها وانى قد القيت حباتى فى الارض وقد ابطأت عنها السماء فمتى تمطر
واخبرنى عن امراتى فقد اشتملت ما فى بطنها اذكر ام انثى وانى علمت ما عملت امس فما
اعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبى صلى الله عليه مفاتح الغيب
خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس رضى الله عنه من ادعى علم هذه الخمسة فقد
كذب واياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله فى النار وعن المنصور
انه اهمه معرفة مدة عمره فراى فى منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار
اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر
وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رضى الله عنه تاويلها ان مفاتح الغيب خمس ولا
يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة وايان
مرساها وينزل الغيث فى ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفى بلد لا يتجاوزه به ويعلم
ما فى الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدرى
نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت
شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدرى نفس اين تموت وربما اقامت بارض
وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان
لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروى ان ملك الموت مر على سليمن عليه السلم فجعل
ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت
فقال كانه يريدنى وسال سليمن عليه السلم ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند

ففعل

ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى امرت ان اقبض
روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من
معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا
يتخطاها ولا شى اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما
كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرى باية ارض وشبه سيبويه تانيث اى بتانيث
كل فى قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة لقمن
كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل
بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهى ثلثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف
ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب فيه
والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له
والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا
من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير كونه من الله وهذا
اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه
ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هى المنقطعة الكائنة بمعنى
بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجبا منه لظهور امره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلث
ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل
العالم فى المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلم
النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التى لا يعرى من وجوبها مكلف ثم

يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى
تقرير كلامه وتثبيته فان قلت ـــــ كيف نفى ان يرتاب فى انه من الله وقد اثبت ما هو
اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت ـــــ معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب فى انه
تنزيل الله لان نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شئ
ابعد شئ من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز
له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما آتاهم من نذير من قبلك
كقوله ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه
فان قلت ـــــ فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت ـــــ اما قيام الحجة
بالشرايع التى لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده و
وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان لعلهم يهتدون فيه
وجهان ان يكون على الترجى من رسول الله صلى الله عليه كما كان لعله يتذكر على الترجى
من موسى وهرون صلى الله عليهما وان يستعار لفظ الترجى للارادة فان قلت ـــــ
ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع قلت ـــــ هو على معنيين احدهما انكم
اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثانى ان الله تعالى
وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم اى ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع
له كقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير الامر
المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم
لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا فى مدة متطاولة
لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود
الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء
الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة

مما

مما تعدون ثم يعرج اليه اى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته
كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى
ان يبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى يوم القيامة وقيل
ينزل الوحى مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى او
رده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف
سنة فى الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسماية سنة وهو يوم
من ايامكم لسرعة جبريل عليه السلم لانه يقطع مسيرة الف سنة فى يوم واحد
وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر
كله اى يصير اليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وقرا ابن
ابى عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرى تعدون بالياء والتاء احسن كل شئ حسنه لانه
ما من شئ خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع
المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان
فى احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن
معرفته اى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرى خلقه على البدل اى احسن
خلق كل شئ وخلقه على الوصف اى كل شئ خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا
لانها تنسل منه اى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل
وسواه قومه كقوله فى احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق
عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسئلونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ
فيه من الشئ الذى اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القايل ابى بن خلف ولرضاهم
بقوله اسند اليهم جميعا وقرى اينا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا
وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن او غبنا فى الارض بالدفن فيها

من قوله وآب ضللنا بعين حائية وقرأ علي وابن عباس صَللنا بكسر اللام يقال صَلَّ يصَلّ
وصَلَّ يصِلّ وقرأ الحسن صَللنا من صل اللحم واصلّ اذا انتن وقيل صِرنا من جنس الصلة
وهي الارض فإن قلت بم انتصب الظرف في أإذا ضللنا قلت بما يدل عليه
انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي
ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم
كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا في ملك الموت
وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا
والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا
انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته
اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه
تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت له الارض لملك
الموت وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه
اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو لا ان
يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال
وليتك ترى كقوله عليه السلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه
كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم
فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت
بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت اسوأ
حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان
احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن
اليه ولو وإذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به

في تحققه

في تحققه ولا تقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون
بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك
تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا لآتينا كل نفس
هداها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا
العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به
من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة
الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات
اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة
اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم
من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام
منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان
اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة
اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من
الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين
له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين
اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا
تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل
خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله
عليه في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله
صلى الله عليه اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت
يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي

لهم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم
الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة
ثم يحاسب ساير الناس وعن انس بن مالك رضي الله عنه كان اناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل
هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفى
لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم
الثلثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرى من قرات اعين وقرات
اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل
اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلايقه لا يعلمه الا
هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمع وراها ثم قال جزاء بما كانوا
يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه يقول الله تعالى اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله
ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن
رحمه الله اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن
سمعت كان مومنا وكان فاسقا محمولان على اللفظ من لا يستوون محمول على المعنى
بدليل قوله فاما الذين آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك وجنات الماوى من الجنات قال عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال تاوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرى جنة الماوى
على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فماواهم النار
اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة ماواهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوى

للمومنين

للمومنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر
وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب
الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون
من الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت
ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل
عليه قراءة من قرا يرجعون على البناء للمفعول فان قلت ـــــ من اين صح تفسير
الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما
لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذايقين العذاب الاكبر قلت ـــــ
ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيا من افعاله كان ولم يمتنع
للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او
مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان
ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا
يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره
لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي
في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي
معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي وانا اشب منك شبابا
واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا
واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق
فنزلت عامة للمومنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن
بن علي رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مومنا
في عشر آيات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان

الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل
والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك
وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت
الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها
فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم
ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر
من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب للجنس والضمير في لقائه
له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك
في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن
حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً وجعلنا الكتاب
المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية
من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب
المنزل اليك هدى ونوراً ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما
صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء
ويوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اى من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ
لما صبروا ولما صبروا اى لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله
التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبده بما فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم
يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل الواو في اولم يهد للعطف على معطوف
عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء

والفاعل

والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا يقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره
اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك
تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة
القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة يمرون في
متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشّون بالتشديد الجرز الارض التي
جرز نباتها اى قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت
كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعاً وعن ابن عباس رضي الله عنه
انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه
وانفسهم من حبه الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان
المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع
المشركون قالوا متى هذا الفتح اى في اى وقت يكون ان كنتم صادقين
في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم
نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت
قد سئلوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً عن سؤالهم قلت
كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا
تستهزؤا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم
في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت من فسره بيوم الفتح او بيوم
بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح
مكة وناساً يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم
في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق وانتظر النصرة عليهم

وقرئ ياكل بالياء مط

وسلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وسلاكم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرا ابن السميفع منتظرون بفتح الظا ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقا بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملٰيكة في السما ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين اية قال فو الذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القران واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها بفضله وتنويها بالفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله وما محمد الا رسول محمد رسول الله قلت ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب

لقد

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمومنين من انفسهم ان الله وملٰيكته يصلون على النبي ولو كانوا يومنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ اخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شي ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعدا الله واعدا المومنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول الله صلى الله عليه ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وعلى المومنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيا ولا يامر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما تصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقري يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه

وكله الى تدبيره وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله
سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلوا اما ان يفعل باحدهما
مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل
بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما
ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له
لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها
بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد
دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق
عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشي الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا
مثل ضربه الله عز وجل في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب
في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله
صلى الله عليه فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية
وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب
وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين
افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق
احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول
وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت
الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني
وعن ابن عباس رضي الله عنه كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل

سها

سها في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في
ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على
قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم
قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فايدة في ذكر الجوف قلت
الفايدة فيه كالفايدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة
التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين
فكان اسرع الى الانكار قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة
وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر
وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل
من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة
عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن
فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند
اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم
تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر
منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امراته لما
ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم
ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت
ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن
الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود
البطن ومنه حديث عمر يجي به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه
آخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة

يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم
الى التغليظ في التحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله
ظهر امه فلم يترك فان قلت ـــــ الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا
فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء
ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ـــــ ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء
واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم
هذا ابني لا غير من غير ان يواطيه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل
لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو
الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لاباىهم وبين ان دعاءهم
لاباىهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجملة ووصلها
من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرا قتادة وهو الذي
يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه
الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه
فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم اباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم
في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي
تريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم
ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت
قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين
قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد
غيركم يا بني على سبيل الخطا والنسيان وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين
ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام

ما احشى

ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما اكرهوا
عليه ثم تناول لعمومه خطا التبني وعمده فان قلت ـــــ فاذا وجد التبني فما حكمه
قلت ـــــ اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه
وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه
يعتق عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا
يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطا وعن العمد
اذا تاب العامد النبي اولى بالمومنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا
اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها
وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه
ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه
انفسهم ولا ما لا تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه
نفوسهم حطي
لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه
فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى
انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمومنين رؤف رحيم وعن النبي
صلى الله عليه ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى
بالمومنين من انفسهم فايما مومن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك
دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه النبي اولى بالمومنين من انفسهم
وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المومنون اخوة لان النبي
صلى الله عليه ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام
وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها

لسنا امهات النسآء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم لتحريمهم
امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن
سائر احكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة
لا بالقرابة كما كانت تتالف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك
لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما
اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله سبحانه
كقوله كتاب الله عليكم من المومنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام
اي الاقربآء من هولآء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون
لابتدآء الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية
في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت —— مم استثنى ان تفعلوا قلت ——
من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية
تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في
الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا
بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاوليآء المومنون والمهاجرون للولاية
في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة
مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم
بتبليغ الرسالة والدعا الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وعيسى
وانما فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المومنين الذين
صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبيآء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم
وكانوا مومنين او ليسال المصدقين للانبيآء عن تصديقهم لان من قال للصادق

صدقت كان صادقا وكانوا مومنين في قوله او ليسال الانبيآء ما الذي اجابتهم به اممهم
وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فان قلت —— قدم رسول الله صلى الله عليه على نوح فمن بعده
قلت —— هذا العطف لبيان فضيلة الانبيآء الذين هم مشاهيرهم ودراريهم
فلما كان محمد صلى الله عليه افضل هولآء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا
ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت —— فقد قدم عليه نوح في الآية التي
هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
ثم قدم على غيره قلت —— مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة
تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة
والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد
القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبيآء عليه السلام في العهد الحديث وبعث
عليه من توسط بينهما من الانبيآء المشاهير فان قلت —— فماذا اراد بالميثاق
قلت —— اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق
ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق
وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوا
فان قلت —— علام عطف قوله واعد للكافرين قلت —— على اخذنا
من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبيآء الدعوة الى دينه لاجل اثابة
المومنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه
قال فاثاب المومنين واعد للكافرين اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب
وهو يوم الخندق اذ جآءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا
قال رسول الله صلى الله عليه نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا

لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية
فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف
في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله
صلى الله عليه باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي
رضي الله عنه ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين
القوم وامر بالذراري والنسا فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن
ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر
لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش
وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفين وخرج غطفان في الف ومن تابعهم
من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود
من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا
الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر يعملون بالياء والتاء من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش
تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا زاغت الابصار مالت عن
سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شي فلم تلتفت الا
على عدوها لشدة الروع الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم
مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب
او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم
قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها

وان لم

وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم
الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون
الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن
ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون
وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف
زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا
وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف
قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا
وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج الا غرورا قيل
قائله معتب حين راى الاحزاب قال محمد يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور طائفة منهم اوس بن قيظي ومن
وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة
وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها
اي لا قرار لكم هنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا الى المدينة امروهم
بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا
واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها
فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل
يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم
معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها
ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت

عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت
هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت
على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة
اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لآتوها لجاؤوها وفعلوها وقرئ لأتوها
لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب
من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم
والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله والمؤمنين
وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا
عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه
وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر
وتهالكهم على حزبه عن ابن عباس رضي الله عنه عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا
لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد
ما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى لن ينفعكم الفرار مما لا بد
لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير
لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل
فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب فان قلت
كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت
معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى مجرى قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع المعوقين
المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم

من سا

من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا
اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفين واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا
انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب
قل هلم شهداءكم الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم
ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا
اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه
المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة
سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو
المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤوا عليكم وضربوكم بالسنتهم
وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم
وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة على الرفع
وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط
قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب
وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل
عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح
وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس
وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان
ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم
حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب

لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف
الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا
به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم
من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة
وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز
وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بدا بوزن عدى ويساءلون اى يتساءلون ومعناه
يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رأينا
الهلال وترائيناه كان عليكم ان تؤاسوا رسول الله صلى الله عليه بانفسكم فتوازروه
وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب
حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت ـــــ فما حقيقة قوله لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت ـــــ فيه وجهان
احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اى قدوة وهو المؤتسى به اى المقتدى به
كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اى هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني
ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل
من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك
رجوت زيدا وفضله اى فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء
بمعنى الامل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر
على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه من كان كذلك وعدهم
الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم
واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا

رانت حط

بالجنة

بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال النبي عليه السلم لاصحابه ان
الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم
قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده
وتسليما لقضاياه واقداره نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله
صلى الله عليه ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمن بن عفان وطلحة بن عبيد الله
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى
نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث
من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ـــــ
ما قضاء النحب قلت ـــــ وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت
فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اى نذره وقوله فمنهم من
قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه فان قلت ـــــ فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه
قلت ـــــ يقال صدقني وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل
صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل
فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل
المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم
وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد
ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه اوجب طلحة
وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون
كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون

عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب
وكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب
عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت
بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون
الثانية بيانا للاولى او استينافا وكفى الله المومنين القتال بالريح والملئكة وانزل
الذين ظاهروهم من الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية
ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي
في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلم اتى رسول الله صلى الله عليه
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا
سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال
ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس
وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملئكة لم تضع السلاح ان الله يامرك
بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا
وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا
في بني قريظة فما صلى بشر من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله
صلى الله عليه فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا
به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي
صلى الله عليه وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم
وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة
الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون

كثير

العين

العين وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه جعل عقارهم
للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر
اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت لي هذه طعمة دون الناس
قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن
قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى
يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم اردن شيا من الدنيا من ثياب
وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه فنزلت فبدا بعايشة
وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله عليه السلم ثم اختارت جميعهن
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل
بهن من ازواج وروي انه قال لعايشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا
تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القران فقالت افي هذا استامر
ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وروي انها قالت لا تخبر
ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت
ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي
او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او
المخيرة وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله واعتبروا
ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر
الشافعي رحمه الله اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب
عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس
وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقهاء الامصار وعن عايشة

رضي الله عنها خيّرنا رسول الله صلى الله عليه فاخترناه ولم يعدّه طلاقا
وروي أو كان طلاقا وعن علي رضي الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية
وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه أيضا أنها إن اختارت زوجها فليس
بشيء أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر
حتى استوت في استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد
أمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام
يهددني أمتعكن أعطكن متعة الطلاق فإن قلت ــــــــ المتعة في الطلاق
واجبة أم لا قلت ــــــــ المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم وأما سائر المطلقات
فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان إحداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل
أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل
وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره
وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة إلا المختلعة
والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن يكون
نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لأن
أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فإن قلت ــــــــ ما وجه قراءة
من قرأ أمتعكن وأسرحكن بالرفع قلت ــــــــ وجهه الاستئناف سراحا
جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة مبينة للتبيين لا للتبعيض الفاحشة السيئة
البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن
من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه ونشوزهن وطلبهن
منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله

عاصم

عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الإفك وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح
من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة
وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله
عليه ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء
عقابا كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء
للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك
فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر
وكان ذلك على الله يسيرا إيذان بأن كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني
عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف
عنه قرئ يأت بالياء والتاء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف
ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ يقنت
وتعمل بالياء والتاء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن
لطلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة
وتوفرهن على عبادة الله والتقوى أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم
وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله
لستن كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت
أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل
والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا
بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم
على الحق المبين إن اتقيتن إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات فلا تخضعن
بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات المومسات

فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على
انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا
يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل
الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد
وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرئ بكسر القاف من وقر
يقر وقارا ومن قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف
كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها
كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار
اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة
والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم
صلى الله عليه كانت المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل
زمن داود وسليمن والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ويجوز
ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام
تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه
قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية
كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان
هاتين الطاعتين البدنية والمالية مما اصل ساير الطاعات من اعتنى بهما حق
اعتنايه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا
يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليهم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى

واستعار

واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس
كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر
وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه
ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح
وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي صلى الله عليه من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن
مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو
آيات بينات يدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة و
علوم وشرايع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم
فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او
حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلى الله عليه
قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا تقبل منا طاعة وقيل السايلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله
عليه ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم
بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله سبحانه المتوكل عليه من اسلم
وجهه الى الله والمومن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت
القايم بالطاعة الدايم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر
الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه
وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل
بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض
من كل شهر فهو من الصايمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله تعالى
بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلعم

من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله
كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل
عليه فان قلت اى فرق بين العطفين اعنى عطف الاناث على الذكور
وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا
فى انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا فى حكم لم يكن بدّ من توسيط العاطف بينهما
واما العطف الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه
ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعدّ الله لهم خطب رسول الله صلعم
زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة
فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه
وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين
مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط
وهى اول من هاجر من النساء ووهبت نفسها للنبى فقال قد قبلت وزوجها
زيدا فسخطت هى واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه فزوجنا
عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله
اى رسول الله او لان قضاء رسول الله صلى الله عليه هو قضاء الله امرا
من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاءوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه
واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول
ما جاءنى من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما
وقعا تحت النفى فعما كل مومن ومومنة فرجع الضمير الى المعنى لا على اللفظ
وقرى يكون بالياء والتاء والخيرة ما يتخير للذى انعم الله عليه بالاسلام الذى
هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله

فيه فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك
يعنى زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه ابصرها بعد ما انكحها
اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت
تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب التسبيحة فذ
كرتها لزيد ففطن والقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله
صلى الله عليه فقال لرسول الله انى فارق صاحبتى فقال ما لك ارابك منها شىء
قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتوذينى فقال له
امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله
صلى الله عليه ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد
فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رايتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع
ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه ذكرها فوليتها ظهرى وقلت
يا زينب ابشرى ان رسول الله صلى الله عليه يخطبك ففرحت وقالت ما انا
بصانعة شيئا حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه ودخل بها وما اولم امراة من نسائه ما اولم
عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت
ماذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد
نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة
الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذى اخفى فى نفسه قلت
تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها
وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه بذلك وعن عايشة رضى الله عنها لو كتم
رسول الله شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الاية فان قلت فماذا اراد الله

منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان تقول له افعل فانى
اريد نكاحها قلت — كان الذى اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول
له انت اعلم بشانك حتى لا تخالف سره فى ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء
تساوى الظاهر والباطن والتصلب فى الامور والتجارب فى الاحوال والاستمرار
على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث ارادة رسول الله عليه السلم قتل عبد الله
بن ابى سرح واعتراض عثمن رضى الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان
عينى اليك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم
وباطنهم واحد فان قلت — كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح به
ولا يستهجن النبى التصريح بشى الا والشى فى نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق
الا بما يستقبح فى العقول والعادات وما له لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يامره
بقمع الشهوة وكف النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة
به وما يعرضه للقالة قلت — كم من شى يتحفظ منه الانسان ويستحيى
من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب
عند الله سبحانه وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم
اثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم
الا من اوتى فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها دون قشورها
الا ترى انهم كانوا اذا طعموا فى بيوت رسول الله صلى الله عليه يقوا مرتكزين
فى مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه يوذيه
قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحيا يصده ان يامرهم بالانتشار الى ان
نزلت ان ذلكم كان يوذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو
ابرز رسول الله صلى الله عليه مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم

ولكان

ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته
من امراة وغيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان
ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح ايضا وهو خطبة
زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه
من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها
فى شى بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه متعلقة بها ولم يكن
مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها
ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شى
حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر
واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة
ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت
عمة رسول الله صلى الله عليه امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت
اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة فى قوله
لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحرى
ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله
وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المومنون
فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت — الواو فى وتخفى فى نفسك
وتخشى الناس والله احق ما هى قلت — واو الحال اى تقول لزيد امسك عليك
زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى
الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك
امسك واخفا خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك

اذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة
وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقرآءة اهل البيت
زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضي الله عنه تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا اله
الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي رضوان الله عليهما على ابيه الا
كذلك ولا قرأها علي بن ابي طالب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه الا كذلك وكان
امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا
مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه زينب
ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجرآء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن
عليهم بعد انقطاع علايق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه
مفعول بكن وهو امر فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان
كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا
وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبيآء
الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح
وغيره وقد كانت تحتهم المهاير والسراري وكانت لداود عليه السلم مائة امراة وثلثمائة
سرية ولسليمن عليه السلم ثلثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبيآء الذين مضوا والذين يبلغون
يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبيآء والرفع والنصب على المدح على
هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبيآء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح
في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد
من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب

وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابا امته فيما يرجع
الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه
لا في ساير الاحكام الثابتة بين الآبآء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاد
حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعآء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير
وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم
الانبيآء كما يروى انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان
ابا للطاهر والطيب والقسم وابرهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله
من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف
الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا الحسن والحسين عليهم
قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشئ
آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن
والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله
بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف
الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التآء
بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قرآءة ابن مسعود ولكن
نبيا ختم النبيين فان قلت كان خاتم الانبيآء وعيسى عليه السلم ينزل في آخر
الزمان قلت معنى كونه آخر الانبيآء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله
وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد عليه السلم مصليا الى قبلته كانه بعض
امته اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثنآء من التقديس والتحميد والتهليل و
التكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات
قال رسول الله صلى الله عليه ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم

ده

آخر الاساس خطه

وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعنى اذكروا وسبحوا
موجهان الى البكرة والاصيل لقولهم صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما
اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملئكة ليبين فضله على ساير الاذكار
لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبريته من القبايح
ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصى
والطهر من ارجاس الماثم على ساير اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات
كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضايل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات
والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح
بكرة واصيلا وهى الصلوة فى جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر
والعشايين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد لما كان من شان المصلى ان ينعطف فى ركوعه
وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كالعايد المريض فى انعطافه
عليه والمراة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه
قولهم صلى الله عليك اى ترحم عليك وتراف فان قلت قوله هو الذى يصلى
عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويتراف فما تصنع بقوله وملايكته وما معنى صلوتهم
قلت هى قولهم اللهم صل على المومنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كانهم
فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قولك حياك الله اى احياك وابقاك وحييتك
اى دعوت لك بان يحييك الله لانك لا تكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على
الحقيقه وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى
ان الله وملايكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اى ادعوا الله
ان يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويتراف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم

باكثار

باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وكان بالمومنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله
ان الله وملئكته يصلون على النبى قال ابو بكر رضى الله عنه ما خصك الله يا رسول الله
بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى
يحيون يوم لقايه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل
بهم ساير انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك
الموت والملئكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملئكة عند الخروج من
القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعث اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
اى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم فان قلت
وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادايها
قلت هى حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صايدا به
غدا اى مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا
انه ماذون له فى الدعاء فما فايدة قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن
وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول فى حق المالك متعذر
فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع
موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرايع امر فى غاية
الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا
اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم فى الشحيح انه غير ماذون له فى الانفاق
اى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حد التعذر جلى به ظلمات الشرك
واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته

نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضي اذا
قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة تضني رسول بطي وسراج لا تضي ومايدة
ينتظر لها من يجي وسيل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل
وذا سراجا منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على ارسلناك
الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكثره فما ظنك
بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم
فضلا كبيرا على ساير الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به ولا
تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى
الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله
في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تومر وعن ابن عباس هي
منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقايل
ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له فابل الشاهد
بقوله وبشر المومنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على ساير الامم
وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم
اقبل جميع اقباله على المومنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه
اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين
به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل
على الله يسر الله عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا
لان من اناره الله برهانه على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفي به عن جميع خلقه
النكاح الوطء وتسميته العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره
تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز

اسنمة الآبال في سحابة سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع
اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطي
من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة و
القربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المومنات والحكم الذي نطقت
به الاية يستوي فيه المومنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه
على ان اصل المومن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مومنة عفيفة ويتنزه
عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد
عدوة الله ووليه فالتي في سورة المايدة تعليم ما هو جايز غير محرم من نكاح
المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمومن من نكاح
المومنات فان قلت ما فايدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت
فايدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد
من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها
فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس
قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه رضوان الله عليهم حكم الخلوة الصحيحة
حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب
على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم
فاعتدها كما تقول كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي
تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت
ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة
الا لها وحدها دون ساير المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها

امر بهم

فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب وسراحا
جميلا من غير ضرار ولا منع واجب اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها
اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت ــــــ لم قال اللاتي
آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فايدة هذه التخصيصات
قلت ــــــ قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما
اختصه بغيرها من الخصايص وآثره بما سواها من الاثرة وذلك ان تسمية المهر
في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جايزا وله ان يماسها وعليه
مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليه عاجلا افضل من ان يسميه
ويوجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف منهم غيره وكذلك الجارية
اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب
احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي
خبيثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان لهم عهد فالمسبي منهم
سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق
الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال
دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه من قرايبه
غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هاني بنت ابي طالب
خطبني رسول الله صلى الله عليه فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك
نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المومنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف
في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه احد منهن
بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة

ام

ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قرى ان وهبت على
الشرط وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا
محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت
هبتها نفسها وقرا ابن مسعود بغير ان فان قلت ــــــ ما معنى الشرط الثاني مع
الاول قلت ــــــ هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة
استنكاح رسول الله صلى الله عليه كانه قال احللناها لك ان وهبت لك
نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت ــــــ
لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع
الى الخطاب قلت ــــــ للايذان بانه مما خص به واوثره ومجيئه على لفظ النبي
للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد
استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله
صلى الله عليه وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي
لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان
اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ــــــ ابو الحسن
الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جايزة لقوله اللاتي آتيت اجورهن
قال ــــــ ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح
موبد فهما متنافيان خالصة مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص
لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر
غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت
على اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه على سبيل التوكيد

لها

قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المومنين
وهى جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المومنين
ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المومنين فى الازواج
والاماء وعلى اى حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص
رسول الله صلى الله عليه بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون
عليك ضيق فى دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل
وفى دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرى
خالصة بالرفع اى ذاك خلوص لك وخصوص من دون المومنين ومن جعل خالصة
نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا
للواقع فى الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روى ان امهات المومنين
حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه هجرهن
شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك
ومالك ما شئت وروى ان عايشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى
ارى ربك يسارع فى هواك ترجى بهمز وبغير همز توخر وتووى تضم يعنى
تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك
وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبى صلى الله عليه اذا خطب امراة لم يكن لاحد
ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما
ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل
فاما ان يخلى المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروى انه ارجا منهن سودة
وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء

وكانت

وكانت ممن آوى اليه عايشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا
وروى انه كان يسوى مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة
وقالت لا تطلقنى حتى احشر فى زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى
قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن فى الايواء والارجاء
والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل
ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب
التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما فى
قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية
رسوله وبعث على تواطو قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله
وما فيه طيب نفسه وقرى تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن
على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق
ان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن
على التقديم وقرى كلهن تاكيدا لهن فى آتيتهن لا تحل وقرى بالتذكير لان تانيث الجمع غير
حقيقى واذا جاز بغير فصل فى قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد
من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه من الازواج كما ان الاربع
نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل
بهولاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على
ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتى مات عنهن عايشة
بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابى سفين سودة بنت زمعة
ام سلمة بنت ابى امية صفية بنت حيى الخيبرية ميمونة بنت الحارث
الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية

من في من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه
لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات
والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي
كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل
كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه
وعنده عائشة من غير استيذان فقال رسول الله يا عيينة اين الاستيذان
قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه
الجميلة الى جنبك فقال عليه السلم هذه عائشة ام المومنين فقال عيينة افلا
انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت
عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن
عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله حتى احل له النساء تعني ان الاية
قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك
وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من
الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل
في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية
امراة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم
عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله
الى حرامه ان يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين
حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا
بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهولاء قوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه

ومعناه لا تدخلوا يا هولاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا
فلو لم يكن لهولاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا
وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام
وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال
غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام
انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله عليه اولم على زينب بتمر وسويق
وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى
ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق
الناس وبقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة
عائشة رضي الله عنها فقال السلم عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلم يا رسول الله
كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلثة جلوس
يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا
فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم
ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه
تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على
ولا تدخلوها مستانسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من
اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيا
منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه
ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها
حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ

لا يستحيي بيانه واحلة الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه ولم يذكرن لان
الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فسألوهن فسألوهن المتاع قيل ان عمر رضي الله
عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل
فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء
في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال
الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم
يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة فكره النبي صلى الله عليه ذلك فنزلت
اية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد
لاتزوجن عايشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله
ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله
وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان
نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته
حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها
شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره
هذا المذهب فلم يزل به حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره
وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلث يجري مجرى العقوبة فان الله يعلم ذلك
فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه
على هذه الطريقة اهول واجزل روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء
والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن

اى

اى لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هولاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى
الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله اباءك ابرهيم واسمعيل
واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما
وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل
تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار
واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى
في حفظها وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن
علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت
في علمه الاحوال قرئ وملايكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين
ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا اي قولوا
الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه واجبة ام مندوبة اليها قلت بل واجبة
وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله
تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي فقال عليه السلم هذا من العلم المكنون
ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند
عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته
جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك
الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملايكته لذينك الملكين امين ومنهم من قال
يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذلك قال

في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد
من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة امي شرط في جوازها ام لا
قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون
عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها
شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة
على كل مومن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم
وقوله عليه السلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها اذا
كانت على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد
غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله
صلى الله عليه ولانه يودي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه
من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم يوذون الله ورسوله
فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر
والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله
من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء
صحيحة في رسول الله صلى الله عليه لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى
المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يوذون رسول الله وقيل في اذى الله هو
قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله
والملئكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته
وعن رسول الله صلى الله عليه فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له
ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يوذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت
ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بداني وعن عكرمة فعل اصحاب

التصاوير

التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر
شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه
في نكاح صفية بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المومنين والمومنات
لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المومنين والمومنات فمنه ومنه
ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين
يوذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان توذي
كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة
لما فيه من الروعة عند كر الحول الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء
تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي
يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره قال
ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها
عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك
على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات
تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون
اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا
للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء
بلبس الاردية والملاحف وستر الروس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن
طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين
ما يكرهن فان قلت ما معنى من في قوله من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان
معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون الحرة

مبتذلة في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني
أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن
ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب
ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر
إلا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء
وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته
بالعقل الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل
هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس
كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه فيقولون
هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال
أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت
من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم
والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن
تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن
المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويتلقطون أنفسهم
وعيالاتهم فسمي ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب
على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف
والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن
أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب
على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين فإن قلت
ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه

يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فإن قلت
أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك
قلت لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا
آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم
عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه
سنة الله في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا
حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا كان المشركون يسألون
رسول الله صلى الله عليه عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء
واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب
فأمر رسول الله صلعم أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا
ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين
قريبا شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب السعير النار
المسعورة الشديدة الإيقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب على معنى
تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها
تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان
من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيآتها أو طرحها في النار
مقلوبين منكوسين وخص الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان
من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف
وهو اذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم
رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة
الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف

والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف وقرى كثيرا تكثيرا لاعداد
اللاعنين وليشيرا الى ذلك على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله
يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شي من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى
قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى
عليه السلم هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم
اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملايكة ومروا به
عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم
ببراءة موسى وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله على انه
بري منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى
ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده
قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبدا لله وجيها
قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقروها وقراة
العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين
وهذه ليست كذلك فان قلت ——— قوله مما قالوا معناه من قولهم او من
مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت
المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا
السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد
الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها
كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير
قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ
اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم

وتسديد

وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل
حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال
التوفيق في المجي بها صالحة مرضية وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك
على النهي عما يوذي رسول الله صلى الله عليه وهذه على الامر باتقاء الله
في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد
من قصة موسى عليه السلم واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى
والداعي الى تركه لما قال من يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم
اتبعه قوله انا عرضنا الامانة ويريد بالامانة الطاعة وعظم امرها
وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض
والجبال قد انقادت لامر الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات
واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيته و
ارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة واشكال متنوعة كما قال
قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به
من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال
تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة
الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات
واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها
تريد انه لا يوديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة
كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه
حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى
لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها

الكثايف

الحاذل ومنه قول القايل اخوك الذي لا يملك الحس نفسه و يرفض عند المحفظات
اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك
ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه
ولم يوده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان
فابين الا ان يوديها واتى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يوديها ثم وصفه بالظلم
لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطايه ما يسعده مع تمكنه منه وهو
اداوها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض
على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به
فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وخاوة
قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها
ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جا القرآن
الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال
اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهايم والجمادات وتصور
مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبحه
كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع
في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير
عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفا بها فان قلت قد علم
وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى
لانه مثلت حالة في تمثله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال
من تردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به
شي مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفه وليس كذلك ما في الاية فان عرض

الامانة على الجماد واباوه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بنا
التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان يشبه شيا والمشبه به غير معقول
قلت الممثل به في الاية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظايره مفروض
والمفروضات تتخيل في الاذهان كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله الحالة المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها واللام في ليعذب لام التعليل على طريق
المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب
نتيجة الضرب وقرا الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل
ويبتدى ويتوب الله ومعنى قراة العامة ليعذب الله حامل الامانة
ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب
الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه من قرا
سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

تم المجلد الخامس نقلا من نسخة نسخ من خط المصنف
جار الله العلامه رحمة الله عليه